تفسير سورة طه

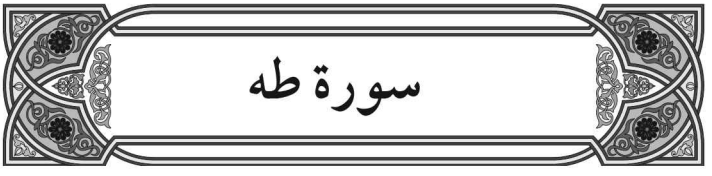

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿طه﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يا رجل ، يريد محمداً ﷺ»[(١)] . وهو قول الحسن ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وقتادة ، وابن أبي نجيح عن مجاهد ، والكلبي[(٢)] .

قال عكرمة : «هي بلسان الحبشة»[(٣)] .

وقال سعيد بن جبير والضحاك : «بالنبطية»[(٤)] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٣٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٢ ، وزاد المسير ٥/ ٣٦٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٧ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٦ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٤ ، وجامع البيان ١٦/ ١٣٥ ، والكشف والبيان ٣/ ١٤ ب ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ١٦٦ .

(٣) زاد المسير ٥/ ٣٦٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٧ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٣ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٣٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٢ ، وزاد المسير ٥/ ٣٦٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٧ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٧ .

وقال قتادة : «بالسريانية»[١] .

وقال الكلبي : «هي بلغة عك»[٢][٣] .

وأنشد لشاعرهم[٤] :

إِنَّ الـسّفَاهَة طَه منْ خَلائِـقكُمْ لَا قَـدَّسَ اللهُ أروَاحَ الـمَلاعـيـن

وقال السُّدِّي : «يا فلان»[٥] .

وروى خصيف عن مجاهد قال : «هي من فواتح السور»[٦] . وهو اختيار أبي إسحاق[٧] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٣٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٣٥ ، وزاد المسير ٥/ ٣٦٩ ، والتفسير الكبير ٣/ ١٥٧ .

(٢) عك : بطن اختُلِف في نسبه ، فقال بعضهم : بنو عك بن عدنان بن عبدالله بن الأزد من كهلان من القحطانية . وذهب آخرون إلى أنهم : من العدنانية ، وعك أصغر من معد بن عدنان ، أبو العدنانية . وقال آخرون : إنه عك بن الديث بن آذر ، أخو معد بن عدنان . حالفوا اليمن ، ونزلوا في الأشعريين ، وقيل غير ذلك . انظر : أنساب العرب ٣٢٨ ، والأنساب للسمعاني ٤/ ٢٢٥ ، ومعجم قبائل العرب ٢/ ٨٠٢ ، والتعريف بالأنساب ١٢٥ ، ومعجم البلدان ٤/ ١٤٣ .

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٩٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٢ ، وتفسير القرطبي ١١/ ١٦٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٤ .

(٤) البيت ليزيد بن المهلهل . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٣٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٢ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٢ ، والكشاف ٢/ ٥٢٨ ، والقرطبي ١١/ ١٦٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٤ ، وأضواء البيان ٤/ ٣٩٩ ، ومجمع البيان ٧/ ٥ .

(٥) الكشف والبيان ٣/ ١٤ ب ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٥٧ ، وتفسير القرطبي ١١/ ١٦٦ .

(٦) بحر العلوم ٢/ ٣٣٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٧ ، وتفسير سفيان الثوري ١٩٢ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٩ .

وقال ابن عباس في رواية الوالبي : «هو قسم أقسم الله به»[١] . وهذا القول اختيار صاحب النظم[٢] .

وفسر القرظي هذا القسم فقال : «أقسم الله -عز وجل - بطَوْلِه وهدايته»[٣] .

وقال مقاتل بن حيان : «معناه : طاء الأرض بقدميك ، يريد به التهجد»[٤] . ومال قوم إلى هذا التفسير ، واحتجوا بما بعده ، وبما ذكر في سبب النزول وهو : «أن النبي ﷺ في ابتداء الوحي ربما علق إحدى رجليه في الصلاة تخشعاً وشكراً ، فقيل له : طأها ؛ أي طاء الأرض برجلك وضعها عليها»[٥] . وقالوا : أصله طأها من[٦] وطئ الأرض ، والهاء كناية عن الأرض ثم لينت الهمزة فقيل : طه .

قال صاحب النظم : «ولو كان الأمر على ما ذهبوا إليه لما كتبت حرفين ، ووجه الكتب أربعة أحرف ، كمن يكتب الكلام المؤلف»[٧] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٣٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٠ ، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٧ .

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٣٩٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٦ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٦٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٠ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٦٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٠ ، والكشف والبيان ٣/ ١٤ ب .

(٥) بحر العلوم ٢/ ٣٣٦ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٢ من دون نسبة ، والكشاف ٢/ ٥٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٧ .

(٦) في نسخة (س) : (أمر) .

(٧) لم أقف عليه .

وروى الفرَّاء بإسناده : «أن رجلاً قرأ على ابن مسعود : ﴿طه﴾ بالكسر . فقال له الرجل : يا أبا عبدالرحمن ، أليس إنما أمر أن يطأ قدمه ؟ فقال له عبدالله : ﴿طه﴾ هكذا أقرأني رسول الله ﷺ»[1][2] .

فلو كان المعنى كما ذهبوا إليه ما أنكر ابن مسعود قراءة مَن قرأ : ﴿طه﴾ بإسكان الهاء[3] . وأصله : طأ بالهمز فأبدلت منها الهاء ، كما قالوا : هياك وهرقت ، في إياك ، وأرقت ، ويجوز أن يكون الأصل طا من وطي على ترك الهمز ، ثم أثبتت

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٨ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٧ .

(٢) اختلف العلماء في الحروف الهجائية في فواتح السور ، وفي المراد بها إلى أقوال كثيرة . والصواب ـ والله أعلم ـ أن علمها إلى الله عز وجل ، وهذا ما ذهب إليه أكثر المحققين من المفسرين . قال ابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ٩٣ : «والصواب من القول عندي في تأويل مفاتيح السور التي هي حروف المعجم : أن الله -جل ثناؤه- جعلها حروفاً مقطعةً ، ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف ، لأنه -عزَّ ذكره- أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معانٍ كثيرة لا على معنى واحد» . وذهب بعض العلماء إلى أن هذه الحروف إنما ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها . وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ في فتح القدير ٣/ ٤٦٤ : «وكما وقع الخلاف في هذا وأمثاله بين الصحابة وقع بين مَن بعدهم ، ليس يصح مرفوعاً في ذلك شيء ، ومَن روي عنه من الصحابة في ذلك شيء فقد روي عن غيره ما يخالفه ، وقد يروى عن الصحابي نفسه التفاسير المتخالفة المتناقضة في هذه الفواتح ، فلا يقوم شيء من ذلك حجة ، بل الحق الوقف ورد العلم في مثلها إلى الله سبحانه» . وقال محمد صالح في كتابه تفسير سورة الرعد ٤٣ بعد أن ذكر بعض الأقوال : «ولكن الأقوال المحكية ، والنقول المروية لا تصح نقلاً ، ولا تسلم عقلاً ، فالله أعلم بحقيقة المراد» . انظر : المحرر الوجيز ١/ ١٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥٤ ، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٣٨ ، والتفسير الكبير ٢/ ٥ ، والتحرير والتنوير ١/ ٢٠٦ ، وأضواء البيان :٤/ ٣٩٩ ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩٩ .

(٣) قرأ الحسن (طه) بسكون الهاء من غير ألف قبلها . انظر : القراءات الشاذة للقاضي ٦٦ ، وإتحاف فضلاء البشر : ص ٣٠١ .

الهاء فيها للوقف ، والوجهان ذكرهما أبو إسحاق[١] . وهذه قراءة شاذة لا يقرأ بها .

قال ابن الأنباري : «وجه قول مَن قال : إن ﴿طه﴾ لغة غير العرب ، أن لغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى من جهة اتفاق اللغتين ؛ لأن الله -تعالى- لم يخاطب نبيه ﷺ بلسان غير قريش»[٢] .

فمَن بنى ﴿طه﴾ على يا رجل قال : موضعه رفع بالنداء المفرد . ووجه قول مَن قال : إنه قسم أن التأويل : وحق طه وحق حروف المعجم التي نزل القرآن بها ، وأثنى على الباري وسبح ومجد بما انتظم من كلمها ، وموضعه خفض بإضمار واو القسم ، أو نصب على أنه حلت محل : حقاً ويقيناً ، ويميناً صادقةً ، وحلفاً باراً . وقول مَن قال : إنه من فواتح السور أن يصرف طه إلى مثل ألا في افتتاح الكلام حين يقال : ألا إن عبدالله مقيم[٣] .

٢. قوله تعالى : ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ ؛ أي لتتعب وتبلغ من الجهد ما بلغت . قال أبو إسحاق : «أي لتصلي على إحدى رجليك فيشتد عليك»[٤] .

قال الكلبي : «لمَّا نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة واشتدت عبادته ، فأمره الله أن يخفف على نفسه ، وذكر له أنه ما أنزل عليه الوحي

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٩ .

(٢) زاد المسير ٥/ ٢٦٩ ، وروح المعاني ١٦/ ١٤٨ ، وفتح القدير ٣/ ٥٠٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٤ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٩ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٨ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٤ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٤٩ .

ليتعب كل ذلك التعب ، وكان بعد نزول هذه الآية ينام بعض الليل ويصلي بعضه»[١] .

وذكر مقاتل في سبب النزول غير هذا وهو أنه قال : «قال أبو جهل والمشركون للنبي ﷺ : إنك لتشقى بترك ديننا ، وذلك لمَّا رأوا من جهده وطول عبادته ، فأنزل الله هذه الآية جواباً للمشركين»[٢] .

٣. قوله تعالى : ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ .قال الفرَّاء : «نصبها على قوله : ما أنزلناه إلَّا تذكرة»[٣] . فأضمر ما أنزلناه لدلالة ما قبله عليه . قال المُبرِّد : «لكن تذكرة ؛ أي لكن أنزلناه تذكرة ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ﴾ [الليل :١٩-٢٠] ؛ أي لكن فعله ابتغاء وجه ربه»[٤] .

وقال صاحب النظم : «﴿إِلَّا﴾ هاهنا بمعنى بل ، المعنى : بل أنزلناه تذكرة»[٥] . وهذا أضعف الوجوه . ومعنى الآية : أنزلنا القرآن لتذكر به مَن يخشى الله ، والتذكرة مصدر كالتذكير .

٤. قوله تعالى : ﴿تَنزِيلًا﴾ .قال الزجَّاج : «المعنى أنزلناه تنزيلاً»[٦] . فعلى هذا ، ينتصب على المصدر ، وأنزلنا ونزلنا بمعنى واحد ، فهو من باب المصدر على غير الصدر .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢٦٣ ، والقرطبي ١١/ ١٦٧ ، والكشف والبيان ٣/ ١٥ أ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٨ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٣ ، وروح المعاني ١٦/ ١٤٩ ، وتفسير مقاتل ٢ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٤ .

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٧/ ٥ ، وذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ٣ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٨ ، وروح المعاني ١٦/ ١٥١ ، وفتح القدير ٣/ ٥٠٩ .

(٥) ذكر بلا نسبة في إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٨ ، والكشاف ٢/ ٥٢٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٥ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٠ .

وقال المُبرِّد : «تنزيلاً بدل من تذكرة»[١] .

وقال ابن الأنباري : «معناه نزلناه تنزيلاً»[٢] . فأكد المصدر فعلاً أتى الكلام السابق بتأويله ، كما قال الهذلي[٣] :

مَا إِنْ يَمَسُّ الأَرْضَ إِلا مَـنْكِبٌ مِنْهُ وَحَرْفُ السَّـاقِ طَـيَّ المُحْمَلِ

نصب طي على المصـدر من غير أن يذكر فعله ؛ لأن ما تقدم من الكلام يدل على طوى ، ومثله قول امرئ القيس[٤] :

وأَلْـقَى بِصَحْرَاءِ الـغَبِيطِ بِقَاعَهُ نُزُولَ اليَـمَانِي ذِي العِيَابِ المُحَمَّلِ

وقولـه تعـالى : ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ . قال ابـن عباس : «أخبر بعظمته وجلاله»[٥] .

---

(١) ذكرته كتب التفسـير من دون نسـبة . انظر : زاد المسير ٥/ ٢٧٠ ، والتفسـير الكبير ٢٢/ ٥ ، وروح المعاني ١٦/ ١٥١ .

(٢) انظر : المصادر السابقة .

(٣) البيت لأبي كبير الهذلي .
المُحَمَّل : مِحْمَلُ السـيف . ويريد الشـاعر أنه إذا اضطجع لم يمس الأرض إلَّا منكبه وحرف ساقه ؛ لأنه خميص البطن فلا يصيب بطنه الأرض . انظر : شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٤ ، وخزانة الأدب ٨/ ١٩٤ ، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٢٤ ، وشرح شواهد الإيضاح ١٤٧ ، والشعر والشعراء ٤٤٧ ، والمقاصد النحوية ٣/ ٥٤ .

(٤) البيت لامرئ القيس في معلقته .
الغبيط : أكمة قد انخفض وسـطها وارتفع طرفاها ، وسميت غبيطاً تشـبيهاً بغبيط البعير ، ويقال : إن صحـراء الغبيط هي أرض بني يربـوع . والبِعَاع : الثقل . ونزول اليماني : نـزول التاجر اليماني . والعِيَاب : جمع عيبـة الثياب . انظر : ديوان امرئ القيس ٦٢ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ٧١ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٥٩ ، والخصائص لابن جني ٢/ ١٢٦ .

(٥) ذكرت كتب التفسـير نحوه من دون نسـبة . انظر : القرطبي ١١/ ١٦٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٦ ، وأنوار التنزيل ٤/ ١٨ .

قال أبو إسحاق : «العلى جمع العليا ، كما يقال : الكبرى والكبر»[١] . قال المُبرِّد : «وهو مثل ظُلْمَة وظُلَم ، ورُكْبَة ورُكَب ، وكذلك العُلْيَا والعُلَى ، والدُنْيَا والدُنَى ، فالألف بحذاء الهاء للتأنيث»[٢] .

٥. قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ .قال الأخفش : «هو الرحمن»[٣] . [قال المُبرِّد : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مرفوع على خبر المبتدأ المضمر»[٤] . لأنه لَمَّا قال : ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾ بيَّنه ، فكأنه قال : هو الرحمن][٥] ، كقوله : ﴿بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ﴾ [الحج :٧٢] المعنى ففي النار .

قوله تعالى : ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ . قال كثير من أهل التأويل : «استوى معناه استولى»[٦] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٠ .

(٢) أورد نحوه بلا نسبة العكبري في إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١١٨ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٩ ، والألوسي في روح المعاني ١٦/ ١٥٢ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٩ .

(٤) انظر : الكشاف ٢/ ٥٢٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٦ ، وفتح القدير ٣/ ٥٠٩ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٦) تفسير الاستواء بالاستعلاء قول المعتزلة والجهمية والحرورية ، قالوا :إن استوى بمعنى استولى وملك وقهر . قال أبو الحسن الأشعري في الإبانة عن أصول الديانة ٤٩ : «فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهو-عز وجل - مستولٍ على الأشياء كلها ، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء . . . لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها . . . ، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش : الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معناه استواء يخص العرش دون الأشياء كلها» . وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموعة الفتاوى ٥/ ١٤٤ ، في الرد على مَن فسَّر ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ بـ (استولى) : «ومن تلك الوجوه أنه لم يرد عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم ، بل تفسير حدث من المبتدعة بعدهم ، ثم هو ضعيف لغة» .

وقد بيَّنَّا استقصاء هذا عند قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة :٢٩][(١)] .

وأخبرني العروضي ، عن الأزهري ، عن المنذري قال : «سُئل أحمد بن يحيى عن قول الله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فقال : الاستواء الإقبال على الشيء»[(٢)] .

وقال الأخفش : «استوى ؛ أي علا . تقول : استويت فوق الدابة ، وعلى ظهر البيت أي علوته»[(٣)] . ونحو هذا قال أبو عبيدة[(٤)] . وعلى هذا التفسير معنى الآية : أنه عز وجل علا على العرش بقدرته وقوته ، وخص العرش بالذكر ؛ لأنه أعظم المخلوقات . وعامة السلف أعرضوا عن الكلام في هذه الآية ونظائرها ، وذلك طريقة مالك ، والشافعي ، والأوزاعي ، والثوري رحمهم الله[(٥)] .

---

(١) انظر : تعليق المحقق عليه .

(٢) تهذيب اللغة (سواء) ٢/ ١٧٩٤ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣١ ، وتهذيب اللغة (سواء) ٢/ ١٧٩٤ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٥ .

(٥) إن أريد إعراضهم عن معانيها ؛ فهذا قول المفوضة لا قول أهل السُّنة ، فإن أهل السُّنة يثبتون الأسماء والمعاني والصفات الثابتة اللائقة بالله عز وجل ، وأمَّا الإعراض في آيات الصفات فإنما يكون للكيفية فهي التي لا يعلمها إلَّا الله تعالى ، ومثل هذا يقال في معنى الاستواء ، فالمنهج السوي أن نثبت لله ما أثبته لنفسه ، فهو ـ سبحانه ـ مستوٍ على عرشه عالٍ على خلقه ، ولا يلزم لهذا أي لازم باطل مما يلزم لاستواء المخلوقين . قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ٢/ ٢٢٠ : «وللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق بن راهوية وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو : إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل فإن الله لا يشبه شيئاً من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾» . انظر : الإبانة عن أصول الديانة ٤٨ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٣١٣ ، والرسالة التدمرية ٨١ ، ومجمع فتاوى شيخ الإسلام لابن تيمية ٥/ ٩٥ ، وأضواء البيان ٢/ ٣١٦ .

٦. قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، تأويلها أنه مالك كل شيء ومدبره. وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ قال المُبرِّد: «يعني الهواء»[١]. ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ الثرى في اللغة معناه: التراب الندي، وثَرَّيْتُ التربة؛ بللتها، ويقال: ثَرِيْتُ الأرضَ ثَرًى فهي ثَرِيَّةٌ؛ إذا ابتل ترابها بعد الجدوبة، وأَثْرَتْ فهي ثَرِيَّة؛ إذا كثر ثَراها، ويقال: أرض ثَرِيَّةٌ؛ أي ذات ثَرَى، والثَرى يستعمل في أشياء كثيرة يقال: قد بدا ثَرَى الماء من الفرس، وهو حين يندى بعرقه[٢].

وقال ابن الأعرابي: «يقال: فلان قريب الثَّرى بعِيد النَّبَط، للذي يعد ولا وفاء له»[٣]. ويقال: إِني لأَرَى ثَرَى الغضب في وجه فلان؛ أي أَثَره، ومنه قول الشاعر[٤]:

وإِنِّي لَتَرَّاكُ الضَّغينَةِ قَدْ أَرَى ثَرَاهَا مِنَ المَوْلَى فَما أَسْتَثِيْرُهَا

ويقال: الثَّرَى بيني وبين فلان نَد، إذا لم ينقطع ما بينك وبينه، ومنه[٥] قول جرير[٦]:

فَلاَ تُوبِسُوا بَيْنِي وبَيْنَكُمُ الثَّرَى فَإِنَّ الذِي بَيْنِي وبَيْنَكُمُ مُثْرى

---

(١) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة. انظر: التفسير الكبير ٢٢/ ٨، ومجمع البيان ٧/ ٥، وروح المعاني ١٦/ ١٦١، قال: «﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الموجودات الكائنة في الجو كالهواء، والسحاب، وخلق لا نعلمهم، هو - سبحانه - يعلمهم».

(٢) انظر: تهذيب اللغة (ثرا) ١/ ٤٧٨، والصحاح (ثرا) ٦/ ٢٢٩١، واللسان (ثرا) ١/ ٤٧٩، والمعجم الوسيط (ثرى) ١/ ٩٥، ومختار الصحاح (ثرى) ٨٣.

(٣) تهذيب اللغة (ثرا) ١/ ٤٧٩، ولسان العرب (ثرا) ١/ ٤٧٩.

(٤) نسبته في الأغاني إلى شبيب بن البرصاء، وذكرته كتب اللغة من دون نسبة. انظر: تهذيب اللغة (ثرى) ١/ ٤٧٩، ولسان العرب (ثرا) ١/ ٤٧٩.

(٥) قول: (ومنه): ساقط من نسخة (ص).

(٦) البيت لجرير. انظر: ديوانه ٢١٣، والصحاح (ثرى) ٦/ ٢٢٩٣، ولسان العرب (ثرا) ١/ ٤٨٠.

والمفسرون يقولون في (الثرى) في هذه الآية : أراد الثرى الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الأرض ، ولا يعلم ما تحت الثرى إلَّا الله عز وجل[١] .

٧. قولـه تعـالى : ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ . اختلفوا في وجه هذا النظم ، ومعنى الآية . وكان من حـق المقابلة أن يقول : وإن أسررت القول فإنه يعلم السر .

فقال المفضـل : «﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ ؛ أي ترفع صوتك بالقراءة ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ، فلا تجهد نفسك بالمبالغة في رفع الصوت ؛ فإنك ، وإن لم تجهر [به وأسررته ، علم ذلك السر»[٢] .

وقال صاحب النظم : «معناه وإن تجهر بالقـول فتظهره][٣] فهو يعلم السر وأخفـى منه ، فكيف الجهر ؟»[٤] . وذكر وجهاً آخـرَ ، وهو أن يكون في الكلام اختصار على معنى : وإن تجهر بالقول ، أو لم تجهر فهو يعلم السر وأخفى منه . أي فما حاجتك إلى الجهر ؛ أي إن في غير الجهر كفاية لك .

---

(١) الكشـف والبيان ٣/ ١٥ أ ، وبحر العلـوم ٢/ ٣٣٦ ، والنكت والعيـون ٣/ ٣٩٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٣ ، وزاد المسـير ٥/ ٢٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٩ . ذكر ابن كثير ـرحمه الله ـ في تفسيره ٣/ ١٥٧ بعض هذه الروايات وضعَّفها ، وقال : «غريبة جداً ، ورفعها فيه نظر» .

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسـبة . انظر : زاد المسير ٥/ ٢٧٠ ، والتفسـير الكبير ٢٢/ ٨ ، والفتوحات الإلهية ٣/ ٨٢ ، ومجمع البيان ٧/ ٦ ، وفتح القدير ٣/ ٥١٠ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير بلا نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٦ ، وروح المعاني ١٦/ ١٦٢ .

فأمَّا معنى : «السر وأخفى» . قال ابن عباس في ما روى عنه سعيد بن جبير : «السر ما علمت أنت مما أسررت في نفسك ، وأخفى من السر ما لم يكن بعد وهو كائن»[١] .

وقال في رواية الوالبي : «السر : ما أسر ابن آدم في نفسه ، وأخفى : ما خفي على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه ، والله يعلم ذلك كله ، فيعلمه في ما مضى من ذلك وما بقي علم واحد»[٢] . وهو قول مجاهد ، وقتادة ، وسفيان ، والضحاك ، وسعيد بن جبير[٣] . وأكثرهم قالوا : «السر : ما أسره في نفسه ، وأخفى : ما لم يحدث به نفسه مما يكون في غد»[٤] .

وقال عكرمة : «السر : ما حدث به الرجل أهله ، وأخفى : ما تكلمت به في نفسك»[٥] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٤٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٠ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٩ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٦٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٨ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٨ .

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٤ ، وجامع البيان ١٦/ ١٤٠ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٤ ، والكشف والبيان ٣/ ١٥ ب .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٤٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٠ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٩ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٣٩ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٦ ، والكشف والبيان ٣/ ١٥ ب .

وهذا قول الحسن[١] . وعلى هذا ، المراد : وأخفى منه ، إلَّا أنه حذف منه للعلم به . قال المفضل : «ومثله قول القائل : الله أكبر ، معناه : أكبر من كل شيء»[٢] . وأنشد قول الفرزدق[٣] :

إِنَّ الذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُه أَعَزُّ وأَطْوَلُ

معناه : أعز وأطول من دعائم بيتك ، فحذفه للعلم به .

قال المُبِّرد : «لم يقل : وأخفى منه ؛ لأنه قد ذكر السر فبان ما يتصل بأخفى ، كقولك : فلان كالفيل أو أعظم ، والعرب تحذف ما لا يبطل المعنى استخفافاً واختصاراً ، ألا تراهم يقولون : أزيد أفضل أم عمرو ؟ وتمام الكلام : أزيد أفضل من عمرو أم عمرو أفضل من زيد ؟»[٤] .

وقال زيد بن أسلم في قوله : ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ : «يعلم أسرار العباد ، وأخفى سره عنهم فلا يعلم»[٥] . فعلى هذا ، لا يحتاج إلى تقدير محذوف ؛ لأن أخفى ، على هذا القول ، أَفْعَل من الإخفاء . وعلى القول الأول أفعل من الخفاء ، والألف للتفضيل .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢٦٤ ، والكشف والبيان ٣/ ١٥ ب ، والدر المنثور ٤/ ٥١٩ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) البيت للفرزدق . انظر : ديوانه ٢/ ١٥٥ ، والأشباه والنظائر ٦/ ٥٠ ، وخزانة الأدب ٦/ ٥٣٩ ، وشرح المفصل ٦/ ٩٧ ، والمقاصد النحوية ٤/ ٤٢ ، ولسان العرب (كبر) ٦/ ٣٨٠٨ .

(٤) ذكره نحوه من دون نسبة الطبرسي في مجمع البيان ٧/ ٦ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٤٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٤ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٦٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧١ .

وذهب قوم إلى أن (أخفى) هاهنا بمعنى الخفي ، وأفعل يأتي في الكلام ولا يراد به التفضيل . كقول الشاعر :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وإِنْ أَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بأَوْحَدِ[١]

أي بواحد . وقيل في بيت الفرزدق : إن قوله : أعز وأطول ؛ بمعنى : عزيزة طويلة ، وهذا قول أبي عبيدة[٢] . قال ابن الأنباري : «وهذا القول يخالف الآثار ، ويبعد متناوله عند أهل النحو ، إذ ترتيب أفعل أن لا يعرى من التزيد حتى يقوم بذلك دليل عند الاضطرار والبناء على الأحرف ، والأشهر عند أهل الأثر أوجب»[٣] . والأولى من هذه الأقاويل ما عليه المفسرون[٤] .

٨. قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ . قال المُبرِّد : «يجوز أن يكون ﴿ٱللَّهُ﴾ ابتداء ، وخبره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، ويجوز أن تكون خبر ابتداء على تقدير : هو الله لا إله إلَّا هو ، نعت»[٥] . والمعنى : لا معبود يستحق

(١) البيت لطرفة بن العبد . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٤٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٠ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٦ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشاف ٢/ ١٦٢ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٧ .

(٤) قال الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره ١٦/ ١٤٠ : «والصواب من القول في ذلك قول مَن قال : معناه يعلم السر وأخفى من السر ؛ لأن ذلك هو الظاهر من الكلام ، ولو كان معنى ذلك ما تأوله ابن زيد لكان الكلام وأخفى الله سره ، لأن أخفى فعل واقع متعد إذ كان بمعنى فعل ، على ما تأوله ابن زيد ، وفي انفراد أخفى من مفعوله والذي يعمل فيه لو كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعل وأن تأويل الكلام : فإنه يعلم السر وأخفى منه ، فإذا كان ذلك تأويله ، فالصواب من القول في معنى (أخفى) من السر أن يقال : هو ما علم الله مما أخفى عن العباد ولم يعلموه مما هو كائن ولما يكن» . انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢/ ٨ ، وغريب القرآن لعبدالله بن المبارك ٢٤٣ ، والمحرر الوجيز ١٦/ ٦ .

(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٣٢ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٧ ، وروح المعاني ١٦/ ١٦٤ ، والفتوحات الإلهية ٣/ ٨٢ .

العبادة غيره . ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ؛ يعني : التسعة والتسعين التي ورد بها الخبر[١] . والحسنى تأنيث الأحسن ، كالكبرى والعليا ، ووحدت الحسنى والأسماء جمع ؛ لأنها مؤنثة والجماعة توصف بصفة المؤنث الواحد كقوله : ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل :٦٠] ، و﴿مَشَارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه :١٨] ، كأنها اسم واحد للجميع[٢] .

٩. قوله تعالى : ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ . روى سلمة عن الفرَّاء : «هل[٣] تكون جحداً ، وتكون خبراً ، قال : وقول الله تعالى : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان :١] ، من الخبر معناه قد أتى ، قال : والجحد أن يقول : وهل يقدر أحد على مثل هذا ؟ قال : ومن الخبر قولك للرجل : هل وعظتك ؟ هل أعطيتك ؟ تقرره بأنك قد وعظته وأعطيته»[٤] .

---

(١) وهو ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لله تسعة وتسعون اسماً مَن أحصاها دخل الجنة» . أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب لله -عز وجل- مائة اسم غير واحد ٨/ ١٦٩ ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب في أسماء الله - تعالى - ٤/ ٢٠٦٢ .
والحديث الذي فيه ذكر الأسماء أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٢٦٩ ، والحاكم في المستدرك ١/ ١٦ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١٥ ، والترمذي ٥/ ٥٣٠ ، وقال : «هذا حديث غريب ، وذكر الأسماء ليس له إسناد صحيح» .
وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الفتاوى ٦/ ٣٧٩ : «وتعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ولم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ» .
وقال النووي في شرح مسلم ١٧/ ٧ : «اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين ، وإنما مقصود الحديث : أن هذه التسعة والتسعين مَن أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصرها» . انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٠٢ ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ٣٦ ، والقواعد المثلى للشيخ محمد بن عثيمين ١٣ .

(٢) الكشاف ٢/ ٥٣٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٧ ، وروح المعاني ١٦/ ١٦٥ .

(٣) في (س) : (هل قد تكون) .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٣ .

فعلى هذا ، قوله : ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ استفهام يراد به التقرير والخبر ؛ أي وقد أتاك حديث موسى .

وقال الكلبي : «لم يكن آتاه حديثه ، ثم أخبره»[١] . والصحيح أنه استفهام تقرير بمعنى الخبر[٢] . وعلى هذا فسره ابن عباس ، فقال : «يريد وقد أتاك»[٣] .

قال أهل المعاني : «معنى ذكر قصة موسى -عليه السلام- هاهنا تسلية للنبي ﷺ مما ناله من أذى قومه ، وتثبيت بالصبر على ذلك ، كما صبر أخوه موسى حتى نال الفوز في الدنيا والآخرة»[٤] .

١٠. قوله تعالى : ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ . قال وهب : «استأذن موسى عليه السلام شعيباً[٥] بالرجوع إلى والديه فأذن له ، فخرج بأهله فولد له ابن في الطريق في ليلة شاتية مثلجة ، وقد حاد عن الطريق فقدح موسى النار فلم تنور المقدحة شيئاً ، فبينما هو في مزاولته ذلك أبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق ، فذلك قوله : ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾»[٦] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٧١ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٤ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٦٤ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٧١ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٤ ، وذكره البغوي في تفسيره ٥/ ٢٦٤ من دون نسبة .

(٤) الكشاف ٢/ ٥٣١ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٩ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٤ ، وروح المعاني ١٦/ ١٦٤ .

(٥) لم يرد دليل صحيح في أن الذي صاهره موسى -عليه السلام- هو نبي الله شعيب ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة في ذلك شيء ، وقد توسَّع شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على مَن يقول بذلك القول في رسالة جميعها في ذلك ضمن جامع الرسائل ١/ ٦٣ ، قال فيها : «وإن كان الثعلبي قد ذكر أنه شعيب النبي ، فقد قال ما ليس له به علم ، وما لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عمن يحتج بقوله من علماء المسلمين ، وخالف في ذلك ما ثبت عن ابن عباس والحسن البصري مع مخالفته أيضاً لأهل الكتاب فإنهم متفقون على أنه ليس هو شعيب النبي ، فإن في التوراة عند اليهود والإنجيل الذي عند النصارى أن اسمه : (يثرون) وليس لشعيب النبي عندهم ذكر في التوراة» .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٤٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧١ ، والكشف والبيان ٣/ ١٦ أ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٩ .

وقال عطاء عن ابن عباس : «كان موسى رجلاً غيوراً لا يصحب الرفقة لئلا ترى امرأته ، فأخطأ الطريق في ليلة مظلمة فرأى ناراً من بعيد»[١] ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ يريد امرأته بنت شعيب :﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾ ؛ أقيموا مكانكم ، الخطاب لامرأته ، ولكنه خرج على ظاهر لفظ الأهل ، فإن الأهل يقع على الجماعة كما يقال : أهل البيت[٢] .

﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ . قال المُبرِّد : «ويقول الذي يبصر الشيء من بعيد مما تسكن إليه نفسه : آنست كذا ؛ أي رأيته لي أنساً ، ويقال : أنس الطائر إذا كان مما يصيد فرأى صيداً»[٣] .

قال العجاج[٤] :

أَنَسَ خِرْبَانَ فَضاَءٍ فَانْكَدَرْ

وذكرنا هذا الحرف عند قوله : ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء :٦] ، والأصل فيه ما ذكره المُبرِّد . والمفسرون يقولون : «رأيت وأبصرت»[٥] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧١ ، وذكره نحوه البغوي في تفسيره ٥/ ٢٦٥ من دون نسبة ، وابن عطية في تفسيره ١٠/ ٧ .

(٢) انظر :و(أهل) في تهذيب اللغة ١/ ٢٢٧ ، والصحاح ٤/ ١٦٢٨ ، والقاموس المحيط ٩٦٣ .

(٣) ذكر بلا نسبة في تهذيب اللغة (أنس) ١/ ٢١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٢ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٠ .

(٤) البيت للعجاج .
الخِرْب : ذكر الحبارى ، وقيل : هو الحبارى كلها . انظر : ديوانه ١٧ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٨٧ .

(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٩٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٥ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٨ ، والكشاف ٢/ ٥٣١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٢ .

وقوله تعالى : ﴿ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ . القبس : شعلة من نار يقتبسها من معظم النار[١] .

قال أبو زيد : «أقبست الرجل علماً ، بالألف ، وقبسته ناراً إذا جئته بها ، فإن كان طلبها قال : أقبسته ، بالألف»[٢] .

وقال الكسائي : «أقبسته ناراً وعلماً سواء ، وقد يجوز طرح الألف منهما»[٣] . قال المُبرِّد : «والأصل واحد ؛ لأن كلاهما مستضاء به»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ . قال ابن عباس : «مَن يدل على الطريق»[٥] . وقال مجاهد : «هادياً يهدي إلى الطريق»[٦] .

قال الفرَّاء : «أراد : هادياً ، فذكره بلفظ المصدر»[٧] .

قال الزجَّاج : «رجاء أن يجد عند النار مَن يهديه للطريق»[٨] . لأن النار لا تخلو من أهل لها ، وناس عندها . قاله السُّدِّي[٩] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (قبس) ٣/ ٢٨٧١ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٨ ، والصحاح ٣/ ٩٦٠ ، ولسان العرب ٦/ ٣٥١٠ .

(٢) تهذيب اللغة (قبس) ٣/ ٢٨٧١ .

(٣) تهذيب اللغة (قبس) ٣/ ٢٨٧١ ، ولسان العرب (قبس) ٦/ ٣٥١٠ .

(٤) انظر : الفتوحات الإلهية ٣/ ٨٣ ، وفتح القدير ٣/ ٥١١ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٤٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٩ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٩ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٤٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥١٩ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٥ .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥١ .

(٩) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشاف ٢/ ٥٣١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٢ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٥ ، ومجمع البيان ٧/ ١٠ ، وروح المعاني ٥/ ٣٦٩ .

١١. قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ قال ابن عباس : «لَمَّا توجه نحو النار فإذا النار في شجرة عناب ، فوقف متعجباً من حسن ضوء تلك النار ، وشدة خضرة تلك الشجرة فلا شدة حر النار تغير حسن خضرة الشجرة ، ولا كثرة ماء الشجرة تغير حسن ضوء النار ، فسمع النداء من الشجرة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾»[١] .

قال نوف[٢] : «فلمَّا سمع النداء قال : مَن أنت الذي تناديني وتدعوني ؟ قال : أنا ربك الأعلى ، فذلك قوله : ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾»[٣] . وقُرئ : (أَنِّي) بالفتح[٤] .

قال الزجَّاج : «مَن فتح كان المعنى نودي أني أنا ربك . وموضع أن نصب ، ومَن كسر فالمعنى : نودي ، فقال الله له : إني ربك» ، هذا كلامه[٥] . وشرحه أبو علي فقال : «مَن كسر ؛ فلأن هذا الكلام حكاية ، كأنه نودي فقيل : يا موسى إني

---

(١) بحر العلوم ٢/ ٣٣٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٥١١ ، والقرطبي ١١/ ١٧٢ . قال الشنقيطي ـرحمه اللهـ في أضواء البيان ٤/ ٢٩٣ : «والنداء المذكور في جميع الآيات المذكورة نداء الله له ، فهو كلام الله أسمعه نبيه موسى ، ولا يعقل أنه كلام مخلوق ولا كلام خلقه الله في مخلوق كما يزعم بعض الملاحدة الجهلة ، فالله هو المتكلم بذلك صراحة لا تحتمل غير ذلك كما هو معلوم عند من له أدنى معرفة بدين الإسلام» . وقال ابن تيمية ـرحمه اللهـ في العقيدة الواسطية ٣٥ : «قول أهل السُّنة في كلام الله أنه صفة من صفاته لم يزل ولا يزال يتكلم بكلام حقيقي بصوت لا يشبه أصوات المخلوقين وحروف يتكلم بما شاء ، ومتى ما شاء ، وكيف شاء ، وأدلتهم على ذلك كثيرة» . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٢ ، والفتاوى لابن تيمية ٥/ ٥٢ .

(٢) قوله : (قال نوف) : ساقط من نسخة (س) .

(٣) أنوار التنزيل ٤/ ١٩ ، والفتوحات الإلهية ٣/ ٨٤ .

(٤) قرأ ابن كثير المكي ، وأبو عمرو البصري (أَنِّيَ) بفتح الألف والياء ، وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، ونافع ﴿إِنِّيٓ﴾ بكسر الألف . انظر : السبعة ٤١٧ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٨ ، والمبسوط : في القراءات ٢٤٧ ، والتبصرة ٢٥٨ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥١ .

أنا ربك . ومَن فتح كان المعنى : نودي بكذا . ونادى قد يوصل بحرف الجر»[١] . قال[٢] :

نَادَيْتُ باسمِ رَبِيْعةَ بَنِ مُكْدَّمٍ أَنَّ المُنَوَّهَ باسْمِهِ المَوْثُوقُ

١٢. وقوله تعالى : ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ . الخلع : النزع ، يقال : خلع ثوبه خلعاً[٣] . والنعل : ما جعلته وقاية لقدميك من الأرض ، يقال : نَعِلَ ، يَنْعَلُ ، فهو نَاعِل ، وانْتَعَل بكذا[٤] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٨ .

(٢) البيت للفرزدق يمدح فيه حمزة بن عبدالله بن الزبير كما في أخباره في الأغاني ، وذكرته كتب التفسير واللغة من دون نسبة . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٨ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٠ ، وخزانة الأدب ٢/ ٥٢١ ، وإيضاح الشعر للفارسي ٤٢٩ ، ومجمع البيان ٧/ ٧ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (خلع) ١/ ١٠٨٤ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٠٩ ، والصحاح ٣/ ١٢٠٥ ، ومختار الصحاح ٧٨ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (نعل) ٤/ ٣٦١٤ ، والقاموس المحيط ١٠٦٣ ، ولسان العرب ٧/ ٤٤٧٧ ، والمفردات في غريب القرآن ٤٤٩ .

واختلفوا لِمَ أمر بخلع النعل ، فروى ابن مسعود عن النبي ﷺ في هذه الآية قال : «كانتا مِن جلد حمار ميت»[١] . وهو [قول علي رضي الله عنه ، وسفيان ، وكعب والأكثرين[٢] .

قال الكلبي : «كانت نعلاً ، فقيل][٣] له : لا تدخل الوادي وهما عليك»[٤] .

وقال ابن عباس : «يريد : باشر الأرض بقدميك فإنك بوادٍ مقدس»[٥] .

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب اللباس ، باب ما جاء في لبس الصوف ٧/ ٢٤٠ ، وقال : «حديث غريب ، وحميد هو ابن علي الكوفي . . . منكر الحديث» ، وأخرجه مالك في الموطأ ، في ما جاء في الانتعال ٧٩٥ موقوفاً على كعب الأحبار ، وذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٢/ ٦٨٨ في ترجمة حميد الأعرج ، وابن جرير في تفسيره ١٦/ ١٤٤ ، وقال : «في إسناده نظر يجب التثبت فيه» ، والذهبي في ميزان الاعتدال ١/ ٦١٤ في ترجمة حميد الأعرج ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٧٩ وصحَّحه ، وقال الذهبي : «في الإسناد حميد بن قيس كذا وهو خطأ ، إنما هو حميد الأعرج الكوفي أحد المتروكين» . وأورده ابن حجر في الكافي ١٠٨ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٦٦ ، وابن كثير في تفسيره ٣/ ١٥٩ ، والسيوطي في تفسيره ٤/ ٥٢٢ . وسبب إعلال العلماء لسند هذا الحديث وجود حميد الأعرج ؛ فقد ضعَّفه جمهور العلماء . انظر : الجرح والتعديل ٣/ ٢٢٦ ، والكامل لابن عدي ٢/ ٦٨٨ ، وميزان الاعتدال ١/ ٦١٤ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٥٣ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ١/ ١٤ ، وجامع البيان ١٦/ ١٤٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٩ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحو من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ١٦ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٧ ، والكشاف ٢/ ٥٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٣ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٧ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٤٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٣ .

وقال الحسن : «كانتا من جلد بقرة ذكية ، ولكنه أمر بخلعها ليباشر تراب الأرض المقدسة فيناله بركتها»[١] . وهذا قول سعيد بن جبير ، وقتادة ، ومجاهد ، وابن جريج[٢] .

قال ابن أبي نجيح : «يقول : أفض بقدميك إلى بركة الوادي»[٣][٤] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ ﴾ ؛ أي المطهر[٥] . قال ابن عباس في رواية عطاء : «قدسته مرتين»[٦] . وهو قول عكرمة[٧] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٤٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٣ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٤ ، وجامع البيان ١٦/ ١٤٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٦ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٤٤ .

(٤) قال الطبري في تفسيره ١٦/ ١٤٤ : «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مَن قال : أمره الله - تعالى - بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي إذ كان وادياً مقدساً ، وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلين بالصواب ؛ لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ، ولا لنجاستهما ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة ، وإن قوله : ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ ﴾ يعقبه دليل واضح على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا ، ولو كان الخبر الذي روي عن ابن مسعود صحيحاً لم نعده إلى غيره ، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه» . وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ١٩٢ : «وأظهرها عندي و - الله تعالى أعلم - أن الله أمره بخلع نعليه ؛ أي نزعهما من قدميه ليعلمه التواضع لربه حين ناداه ، فإن نداء الله لعبده أمر عظيم يستوجب من العبد كمال التواضع والخضوع ، والله أعلم» .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٤٥ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٦ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١٠ .

(٦) النكت والعيون ٣/ ٣٩٦ .

(٧) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ١٦ ب ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٦ ، وجامع البيان ١٦/ ١٤٥ ، ومعالم التنزيل ٣/ ٢١٣ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١٠ ، والكشاف ٢/ ٥٣١ .

وقال في رواية الوالبي : «المقدس المبارك»[١] . وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة :٢١] .

وقوله تعالى : ﴿طُوَىٰ﴾ قال ابن عباس : «هو اسم الوادي»[٢] . وهو قول جميع المفسرين[٣] . وقال الحسن : «أي طوى بالبركة مرتين»[٤] . فعلى هذا ، (طوى) مصدر من قولك : طويته طوى . قال عدي بن زيد[٥] :

أَعاذِلُ إِنَّ اللَّوْمَ في غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَيَّ طُوى مِنْ غَيِّكِ الْمُتَرَدِّدِ

أراد إن لومك مكرر علي ، والصحيح هو الأول .

قال أبو إسحاق : «ويجوز فيه أربعة أوجه ، يعني من القراءة : ضم الطاء ، وكسرها ، والإجراء ، وترك الإجراء[٦] ، فمَن أجرى فلأنه مذكر سُمّيَ بمذكر على فُعَل نحو : حُطَم وصُرَد ، ومَن لم يجرِ ترك صرفه من جهتين إحداهما : أن يكون معدولاً عن طاء ، فيصير مثل عُمَر . والأخرى : أن يكون اسماً للبقعة ، كما قال الله عز وجل : ﴿فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص :٣٠] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٤٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٦ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٣ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٤٥ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٥ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٤٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٣ .

(٥) البيت لعدي بن زيد التميمي . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٣ ، ومجمع البيان ٧/ ٩ ، وروح المعاني ١٦/ ١٧٠ ، ولسان العرب (طوى) ٥/ ٢٧٣٠ .

(٦) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو (طُوى) غير مجراة مضمومة الطاء ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي (طُوى) مجراة مضمومة الطاء ، وقرأ الأعمش ، والحسن (طِوى) بكسر الطاء . انظر : السبعة ٤١٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٩ ، والعنوان في القراءات ١٢٩ ، والنشر ٢/ ٣١٩ ، والقراءات الشاذة للقاضي ٦٦ .

قال : وإذا كُسرَ طِوى فهو مثل : مِعى ، وضِلع . ومَن لم ينون جعله اسماً للبقعة» ، هذا كلامه[١] .

وقال أبو علي : «الصرف من وجهين ؛ أحدهما : أن يجعل اسم الوادي فيصرف ، لأنه مذكر سُمِّي بمذكر . والوجه الآخر : أن يجعل طوى صفة ، وذلك في قول مَن قال : إنه قُدس مرتين ، فيكون طِوى كقولك : ثِنى ، ويكون صفة كقوله : ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ [طه :٥٨] ، وقومٌ عدى ، وجاء في (طوى) الضم والكسر ، ما جاء في قوله : (مكان سوى) الكسر والضم ، وكذلك يقال : ثِنى وثُنى . قال : ومَن لم يصرف احتمل أمرين ؛ أحدهما : أن يكون (طوى) اسماً لبقعة أو أرض وهو مذكر ، فهو بمنزلة امرأة أسميتها باسم مذكر فيجتمع التعريف والتأنيث . والثاني : أن يكون معدولاً كعمر ، فإن قلت : إن عمر معدول عن عامر ، وهذا الاسم لا يعرف عمَّ عُدل ، فإنه لا يمتنع العدل عما لم يخرجوه إلى الاستعمال ، ألا ترى أن جُمَع وكُتَع معدولتان عما لم يستعملا ، فكذلك يكون طوى»[٢] .

١٣. قوله تعالى : ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ . قال الكلبي : «أنا اخترتك برسالتي لكي تقوم بأمري»[٣] . ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ ؛ أي اعمل بما آمرك به وأنهاك عنه .

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥١ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٩ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٦٧ ، والكشاف ٢/ ٥٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٦ ، وروح المعاني ١٦/ ١٧٠١ ، وفتح القدير ٣/ ٥١٢ .

١٤. وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ فيه وجهان: أحدهما - وهو الذي عليه العامة- أن معناه أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة، كنت في وقتها أو لم تكن[١].

وهذا المعنى ما روي أن النبي ﷺ قال: «مَن نسي صلاة، أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾»[٢].

والثاني: معناه أقم الصلاة لأن تذكرني؛ لأن الصلاة لا تكون إلَّا بذكر الله. وهذا قول الحسن[٣].

ومجاهد قال: «إذا صلى عبد ذكر ربه»[٤]. واختاره ابن قتيبة فقال: «لتذكرني فيها»[٥].

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١١٢، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٨، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٧، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٧، وزاد المسير ٥/ ٢٧٥، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت، باب مَن نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ٢/ ٧٠، ومسلم في كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة ١/ ٤٧٧، والترمذي في كتاب الصلاة ١/ ١١٤، وأبو داود في كتاب الصلاة ١/ ٢٥٠، والطبري في جامع البيان ١٦/ ١٤٨، والصنعاني في تفسيره ١/ ١٥، والإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٠٠.

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: جامع البيان ١٦/ ١٤٨، والمحرر الوجيز ١٠/ ١١، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٧، والكشاف ٢/ ٥٣٢، وزاد المسير ٥/ ٢٧٥، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٧، والتفسير القيم ٣٥٧.

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٤٨، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٧، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٧، والدر المنثور ٤/ ٥٢٤.

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢/ ٨.

١٥. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾. قال أكثر المفسرين: «أخفيها من نفسي»، وهذا قول سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء بن السائب[١]. وهذا التفسير موافق لما روي: أن في مصحف أُبي: (أكاد أخفيها من نفسي)[٢] فكيف يعلمها مخلوق)، وفي بعض القراءات: (أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها)[٣].

قال أبو إسحاق: «والله أعلم بحقيقة هذا التفسير»[٤]. وكأنه لم يعلم (معنى)[٥] هذا، وعلمه قطرب، والمُبرِّد، وابن الأنباري، قال قطرب: «هذا على عادة مخاطبة العرب بعضهم بعضاً، إذا بالغوا في كتمان السر: كتمته حتى من نفسي، والمعنى لم أطلع عليه أحداً»[٦]. وأنشد[٧]:

أيامَ تَصْحَبُني هِنْدٌ وَأخبرُها ... مَا أَكتمُ النَّفْسَ مِنْ حَاجِي وأَسْرَارِي

أي أخبرها بما لا أطلع عليه أحداً، هذا معناه.

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٤٩، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٨، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٧، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٧، وزاد المسير ٥/ ٢٧٥.

(٢) بحر العلوم ٢/ ٣٣٨، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٧، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٧، والكشاف ٢/ ٥٣٢، وزاد المسير ٥/ ٢٧٦.

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٦٧، والكشاف ٢/ ٥٣٢، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٨٥، والكشف والبيان ٣/ ١٦.

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٢.

(٥) زيادة من (ص).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٧٦، والقرطبي ١١/ ١٨٥.

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ١٦ ب من دون نسبة، وكذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٨٥، وذكر في البحر المحيط ٦/ ٢٣٣ من دون نسبة بلفظ:

أيامَ تصحبُني هندٌ وأخبرُها ... ما كدتُ أكتمُهُ عنِّي منَ الخبرِ

وقال المُبرِّد : «هذا مستعمل في الكلام وجارٍ على الأفواه أن يقول القائل إذا أراد أن يستر شيئاً ستراً شديداً : أنا أسر هذا من نفسي ، وأكاد أسره من نفسي ؛ أي أقارب ذلك ، فيأتي على جهة المثل ، وعلى المبالغة في ستر الشيء» ، هذا كلامه[١] .
وعلى هذا معنى الآية : أن الله - تعالى - بالغ في إخفاء الساعة ، فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب في مثله . وهذا موافق لما قال ابن عباس في تفسيره : «قد أخفيها من الملائكة ؛ يقول : لا أظهر عليها أحداً» . قاله في رواية سعيد بن جبير والوالبي[٢] .

والمعنى : أنه لم يطلع على وقت قيام الساعة ملكاً مقرباً ، ولا نبيّاً ، حتى لو جاز أن يخفيه عن نفسه أخفاها .

قال ابن الأنباري : «والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف ؛ لأن الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت»[٣] . هذا معنى قول المفسرين في هذه الآية[٤] . وكاد -على قولهم- للمقاربة .

ولأهل المعنى وجوه من التأويل ، قال ابن الأنباري وهو قول الأخفش : «﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ : أريد أخفيها»[٥] .

وعلى هذا ﴿أَكَادُ﴾ لا يكون للمقاربة ، ولا يحتاج أن يقال : من نفسي ، يقول الله تعالى : أريد إخفاء الساعة .

---

(١) ذكرته كتب التفسير . انظر : زاد المسير ٥/ ٢٧٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٣ ، وجامع البيان ٧/ ١١ ، وفتح القدير ٣/ ٥١٣ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٨٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٥ .
(٣) ذكرته كتب التفسير . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ١٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٣ .
(٤) جامع البيان ١٦/ ١٤٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٧ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٥ .
(٥) و الأضداد لابن الأنباري : ص٩٧ .

قال أبو بكر : «ويجوز أن يكون ﴿أَكَادُ﴾ مزيداً للتوكيد فيكون المعنى : أن الساعة آتية أخفيها»[١] . ونذكر جواز زيادة كاد عند قوله : ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور : ٤٠] ، إن شاء الله .

وقال قطرب : «يقال : أخفيت الشيء : إذا كتمته ، وأخفيته : إذا أظهرته ، كما يقال : أسررت الشيء بالمعنيين»[٢] .

وذكر أبو عبيد : أخفيت بالمعنيين جميعاً[٣] .

وهذا أيضاً مذهب أبي عبيدة في هذه الآية قال : «أخفيها أظهرها»[٤] . واحتج بقول الشاعر[٥] :

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدِ

رواه بضم النون ، وغيره يرويه بفتحها من خفاء إذا أظهر .

وقال أبو الفتح الموصلي : «﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ تأويله عند أهل النظر : أكاد أظهرها . وتلخيص هذه اللفظة : أكاد أزيل عنها خفاها ، وخفاء كل شيء : غطاؤه ، من ذلك خفاء القِرْبة للكساء الذي يكون عليها . وأَفْعلت يأتي والمراد به السَّلْب والنفي ، كقولهم : أَعْجَمْت الكتاب وأَشْكَلته ؛ أي أزلت عجمته وإشكاله ، وأَشْكيته أزلت ما يشكوه»[٦] .

---

(١)] الأضداد لابن الأنباري ٩٧ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (خفي) ١/ ١٠٧٠ ، ولسان العرب (خفا) ٢/ ١٢١٦ .

(٣) تهذيب اللغة (خفى) ١/ ١٠٧٠ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٦ .

(٥) البيت لامرئ القيس . انظر : ديوانه ١/ ١٠٧٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٧ ، والأضداد لابن الأنباري ٩٦ ، وتهذيب اللغة (خفى) ١/ ١٠٧٠ ، ولسان العرب (خفا) ٢/ ١٢١٦ .

(٦) سر صناعة الإعراب ١/ ٣٨ .

وهـذا الذي ذهبوا إليه في معنى الآية يوافق قـول ابن عباس في رواية عطاء قال : «يريد : أكاد أظهرهـا»[١] . وعلى هذا ، معنى الآية : أن الله - تعالى - أخبر عن إرادته إظهار الساعة كما قال : ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف :١٨٧] . غير أن هذا المعنى أصح في قراءة مَن قـرأ : (أَخفيها) بفتح الألف[٢] ؛ لأن كلام العرب الجيد : خفيت الشيء : أظهرته ، وأخفيته : سترته .

قال الأزهـري : «هذه اللغـة الجيـدة»[٣] . وقد روي : خفيـت بالمعنيين المتضاديـن ، كما روى أخفيـت ، وكتاب الله - تعالى - يفـسر بأفصح اللغات . وروي عن بعض أهل اللغة في هذه الآية وجه آخر ، وهو أن المعنى : السـاعة آتية أكاد ، وتم الكلام هاهنا[٤] . والمعنـى : أكاد أن آتي بها ، ثم ابتدأ فقال : أخفيها ، والمعنى : لكني أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، وهذا وجه لا بأس فيه[٥] .

---

(١) ذكرته كتب التفسـير من دون نسـبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٤٩ ، والكشف والبيان ٣/ ١٦ ب ، وبحر العلوم ٣/ ٣٣٨ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١٥ ، وزاد المسـير ٥/ ٢٧٧ ، وتفسـير القرآن العظيم ٣/ ١٦٠ .

(٢) قرأ سعيد بن جبير (أكاد أَخفيها) بفتح الألف . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٥٠ ، والكشاف ٢/ ٤٣٠ ، وتهذيب اللغة (خفى) ١/ ١٠٧٠ ، والمحتسب ٢/ ٤٧ .

(٣) تهذيب اللغة (خفى) ١/ ١٠٧٠ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٥٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٧ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١٥ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٩ .

(٥) القـول الأول هو قول جمهور المفسرين ، قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسـيره ١٦/ ١٥٠ : «والذي هو أولى بتأويل الآية مـن القول قول مَن قال : معناه أكاد أخفيها من نفسي ؛ لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء . وإنما وجهنا معنى أُخفيها بضم الألف إلى معنى أسترها من نفسي ؛ لأن المعروف مـن معنى الإخفاء في كلام العرب السـتر ، يقال : قد أخفيت الشيء ، إذا سـترته ، وأمَّا وجه صحة القـول في ذلك فهو أن الله - تعالى ذكره - خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى بـه خطابهم بينهم ، وإنما اخترنا هذا القول على غيره من الأقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين ؛ إذ كنا لا نسـتجيز الخلاف عليهم في ما اسـتفاض القول به منهم ، وجاء عنهم مجيئاً يقطع العذر ، والذي ذكر عن سـعيد بن جبير من قـراءة ذلك بفتح الألف ، قراءة لا أسـتجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها في ما جاءت به نقلاً مستفيضاً» .

وقوله تعالى : ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ . قال ابن الأنباري : «مَن قال : أخفيها معناه : أظهرها ، جعل اللام في ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ من صلة أخفيها ، والمعنى : أظهرها للجزاء ، ومَن قال : أخفيها : أسترها ، جعل اللام معلقة بقوله : إن الساعة آتية لتجزي كل نفس»[(١)] .

وبهذا قال الزجَّاج[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ بما تعمل من خير وشر .

١٦. قوله تعالى : ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ . الصد : الصرف عن الخير ، يقال : صده عن الإيمان وعن الحق ، ولا يقال : صده عن الشر . والمعنى لا يمنعنك ولا يصرفنك[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿عَنْهَا﴾ . قال الفرَّاء : «يريد عن الإيمان بها»[(٤)] .

وقال الزجَّاج : «عن التصديق بها»[(٥)] . ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ ؛ أي مَن لا يؤمن بأنها تكون .

---

(١) الأضداد لابن الأنباري ٩٦ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (صد) ٢/ ١٩٨٤ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٨٢ ، والقاموس المحيط ١/ ٢٩٢ ، ولسان العرب ٧/ ٢٤٠٩ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٧ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٣ .

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ ؛ مـراده ، وخالف أمـر الله ، ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ ؛ فتهلك ، يقال : رَدِيَ ، يَرْدَى ، ردىً فهو رَدٍ ، ومثله تَرَدَّى ؛ إذا هلك[١] ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل :١١] . والظاهر أن هذا خطاب لموسى ، ثم هو نهي لجميع المكلفين عن ترك الإيمان بالساعة والتأهب لها ، وإنذار بالهلاك لَمن فعل ذلك[٢] . وجعل أبو إسحاق هذا خطاباً للنبي ﷺ فقال : «وخطاب النبي ﷺ هو خطاب سائر أمته»[٣] .

ومعنى ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ : لا يصدنكم ، قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق :١] ، فَنَبَّه النبي ﷺ وخوطب هو وأمته بقوله : ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ .

١٧ . قوله تعالى : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ . قال أبو إسحاق : «﴿تِلْكَ﴾ اسم مبهم يجري مجرى التي ، ويوصل كما توصل التي ، المعنى : ما التي بيمينك ؟»[٤] .

وقال الفرَّاء : «معنى : ﴿تِلْكَ﴾ هذه»[٥] . و﴿بِيَمِينِكَ﴾ في مذهب صلة لتلك ؛ لأن تلك وهذه توصلان كما توصل الذي . فتلك على قول الزجَّاج بمعنى : التي ، وعلى قول الفرَّاء بمعنى : هذه ، كما أن ذلك يكون بمعنى : هذا ، كما بيَّنَّا في قوله : ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة :٢] . وقال أهل المعاني : «معنى

---

(١) انظر : القاموس المحيط (ردى) ٤/ ١٢٨٧ ، والصحاح (ردى) ٦/ ٢٣٥٤ ، ولسان العرب (ردى) ٥/ ١٦٣٠ ، والمفردات في غريب القرآن (ردأ) ١٩٤ .

(٢) المحرر الوجيز ١٠/ ١٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٣ ، وروح المعاني ١٦/ ١٧٣ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٣ . الراجح ـ والله أعلم ـ أن الخطاب لموسى ـ عليه السلام ـ ، وهو ما عليه جمهور المفسرين . انظر : المحرر الوجيز : ١٠/ ١٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٣ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٢٣ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٣ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٧ .

سؤال موسى عما في يده من العصا التنبيه له عليها ، ليقع المعجز بها بعد التثبيت فيها والتأمل لها»[١] .

وقد كشف أبو إسحاق عن هذا المعنى فقال : «هذا الكلام لفظه لفظ الاستفهام ومجراه في الكلام مجرى ما يسأل عنه ، ويجيب المخاطب بالإقرار به لتثبت عليه الحجة بعد ما اعترف ، فيستغنى بإقراره عن أن يجحد بعد وقوع الحجة ، ومثله من الكلام أن تُرِي المخاطب ماءً فتقول : ما هذا ؟ فيقول ماء . ثم تحيله بشيء من الصبغ فإن قال : إنه لم يزل هكذا ، قلت : ألست قد اعترفت بأنه ماء ؟»[٢] .

١٨ . قوله تعالى : ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ جواب الاستفهام والسؤال عما في يده ، قال وهب : «لَمَّا قال موسى : ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ ، قال الله تعالى : وما تصنع بها ؟»[٣] ، ولا أحد أعلم منه بذلك ، قال موسى : ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ ؛ لأن هذا جواب السؤال عما يصنع بها ، والسؤال الأول يكفيه من الجواب قوله : ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ . ومعنى التَوكُؤ[٤] : التحامل على العصا في المشي ، ومنه الاتِكَاء ، أصله : الاوتكاء ، والمعنى : أعتمد عليها إذا مشيت[٥] .

---

(١) بحر العلوم ٢/ ٣٣٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٩ ، والكشاف ٢/ ٥٣٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٣ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٤ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : زاد المسير ٥/ ٢٧٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٨٦ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٢٦ ، وروح المعاني ١٦/ ١٧٧ .

(٤) في (س) : (التوكيد) ، وهو تصحيف .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (تكئ) ١/ ٤٤٥ ، ولسان العرب (وكأ) ٨/ ٤٩٠٤ ، والمعجم الوسيط (أوكأ) ٢/ ١٠٥٢ ، والمفردات في غريب القرآن (وكأ) ٥٣٢ ، والقاموس المحيط (توكأ) ٥٦ .

وقوله تعالى : ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ . قال الأصمعي : «هَشَّ يَهِشُّ هَشّاً : إذا خبط الشجر فألقاه لغنمه»[١] .

قال الفرَّاء : «أي أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه الغنم»[٢] . قال الراجز[٣] :

أَهُشُّ بالعَصَا عَلَى أَغْنَامِي
مِنْ نَاعِمِ الأَرَاكِ وَالبَشَامِ

قال الزجَّاج : «واشتقاقه من أني أُحيلُ الشيء إلى الهشاشة والإمكان»[٤] . وذلك أن الهش من كل شيء فيه رخاوة ، يقال : رجل هَش ، وجوز هَش ، وإذا خبط الشجر فسقط ورقه سهل على الغنم تناوله .

قال عكرمة : «يقال : أضرب الشجر فيتساقط الورق على غنمي»[٥] .

وقوله : ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ . المآرب : الحوائج ، واحدتها مأرَبة ، بفتح الراء وضمها ، حكاهما جميع أهل اللغة[٦] .

---

(١) لسان العرب (هش) ٨/ ٤٦٦٧ ، والصحاح (هشش) ٣/ ١٠٢٧ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٧ .

(٣) لم أهتدِ إلى قائله ، وقد ذكرته كتب التفسير واللغة من دون نسبة . الأراك ، والبَشَام : نوعان من الشجر تأكلهما الماشية ، وفي أغصانها لين ، ولها ريح طيب ، ويستاك بها . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٥٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٨٧ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٧ ، وفتح القدير ٣/ ٥١٧ ، وتهذيب اللغة (بشم) ١/ ٣٤٠ ، ولسان العرب (أرك) ١/ ٦٤ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٤ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٥٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٦ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (أرب) ١/ ١٤٢ ، ومقاييس اللغة ١/ ٨٩ ، والصحاح ١/ ٨٧ ، ولسان العرب ١/ ٥٥ ، والمفردات في غريب القرآن ١٥ .

وحكى ابن الأعرابي : «مأربِة بكسر الراء»[١] . ومنه المثل : مَأْرُبَة لا حَفَاوة[٢] . وكذلك الأرب والإربة ومنه قوله تعالى : ﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ [النور :٣١] .

وقوله تعالى : ﴿أُخَرَىٰ﴾ جاء على لفظ صيغة الواحدة ؛ لأن مأرب في معنى جماعة ، فكأنه جماعة من الحاجات أخرى . وقاله الزجَّاج[٣] . وذكرنا مثل هذا في قوله : ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه :٨] ، قال مجاهد ، وسفيان ، والمفسرون : «ولي فيها حاجات أخرى»[٤] .

وقال عطاء ، وقتادة : «منافع أخرى»[٥] . وذكر المفسرون تلك الحوائج التي كانت في عصاه ، فقال ابن عباس في رواية عطاء : «إذا أتيت إلى بئر فقصر الرشا ، وصلته بالعصا حتى ينال الماء ، وإذا أصابني حر الشمس أقمتها في الأرض ، وجعلت لي عليها ظلاً بثوب يسترني من الشمس ، وإذا خفت شيئاً من هوام الأرض قتلتها بالعصا»[٦] .

وقال وهب : «كان لها شعبتان ومحجن[٧] تحت الشعبتين ، فإذا طال الغصن حناه بالمحجن ، وإذا أراد كسره لواه بالشعبتين ، وكان إذا شاء ألقاها على عاتقه ،

---

(١) تهذيب اللغة (أرب) ١/ ١٤٢ ، ولسان العرب (أرب) ١/ ٥٥ .

(٢) مجمع الأمثال للميداني ، وفرائد اللآل في مجمع الأمثال ٢/ ٢٧٣ . والمعنى : إنما يكرمك لأرب له فيك ، لا لمحبته لك .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٥ .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٥ ، وجامع البيان ١٦/ ١٥٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٨ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٦ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٥ ، والطبري ١٦/ ١٥٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٦ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ١٧ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٨٧ .

(٧) الحجن : اعوجاج الخشبة وغيرها ، والمحجن : خشبة أو عصا معقفة الرأس . انظر : تهذيب اللغة (حجن) ١/ ٧٥٣ ، ومقاييس اللغة (حجن) ٢/ ١٤١ ، والقاموس المحيط (حجن) ٤/ ١١٨٨ ، ولسان العرب (حجن) ١/ ٧٩١ .

فعلق بها قوسه ، وكنانته[١] ، ومَرْجونَته[٢] ، ومِخْلاته[٣] ، وثوبه وزاداً إن كان معه ، وكان يقاتل بها السباع عن غنمه»[٤] .

١٩. قوله تعالى : ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ . قال الكلبي : «ألقها من يدك»[٥] . وقال وهب : «قال له الرب : ألقها يا موسى ، فظن موسى أنه يقول ارفضها فألقاها على وجه الرفض»[٦] . ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون .

٢٠. فذلك قوله : ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ ؛ تشد وتمشي مسرعة على بطنها .

قال ابن عباس : «فابتلعت الصخور والشجر وكل ما مرت به»[٧] .

---

(١) الكنانة : الجعبة تتخذ للنبل والسهام . انظر : تهذيب اللغة (كن) ٤/ ٣١٩٦ ، والصحاح (كن) ٦/ ٢١٨٨ ، ولسان العرب (كنن) ٧/ ٣٩٤٣ ، والمعجم الوسيط (الكنانة) ٢/ ٨٠١ .

(٢) المَرْجُونة : القفة ، وهي الزبيل ، لها معاليق تعلق بها في آخر الزاد ، يوضع فيها الزاد والتمر . انظر : تهذيب اللغة (قفف) ٣/ ٣٠٢١ ، والقاموس المحيط (رجن) ٤/ ١١٩٩ ، ولسان العرب (قفف) ٦/ ٣٧٠٤ .

(٣) المخلات : ما يوضع فيه الحشيش الرطب ، وبه سميت المخلاة ، والخلي : الحشيش الذي يحتش من بقول الربيع ، وقد اختليته ، وبه سميت المخلات ، والواحدة خلاة ، وأعطني مخلاة أخلي فيها . انظر : القاموس المحيط (الخلي) ٤/ ١٢٨١ ، ولسان العرب (خلا) ٢/ ١٢٥٨ ، والصحاح (خلا) ٦/ ٢٣٣١ .

(٤) الدر المنثور ٤/ ٥٢٠ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٢٧ ، وروح المعاني ١٦/ ١٧٦ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ١٧ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦١ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٥٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٩ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٠ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ١٥٦ ، والكشاف ٢/ ٥٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٧ .

٢١. وخاف موسى فناداه ربه : ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ ، وذلك أن الله - تعالى - أراد أن يري موسى ما أعطاه من الآيات التي لا يقدر عليها مخلوق ؛ لئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون ولا يولي مدبراً . ولم يذكر خوف موسى في هذه السورة ، وذكر في سورة القصص[١] . وقوله هاهنا : ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ يدل على خوفه .

وقوله تعالى : ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ . قال عطاء والسُّدِّي : «نردها عصا كما كانت»[٢] .

قال ابن عباس : «﴿سِيرَتَهَا﴾ حالتها»[٣] .

وقال مجاهد : «هيئتها»[٤] . وقال أبو عبيدة : «خلقتها الأولى»[٥] . يقال لمَن كان على شيء فتركه ، ثم عاد فتحول إليه : عاد إلى سيرته . وقال المُبرِّد : «أي يجعلها كما كانت»[٦] . والسيرة : الهيئة[٧] .

والمعنى في الآية : أنها تجري على ما كانت تجري عليه من قبل ، من كونها عصا ، ونحو هذا قال أبو إسحاق في السيرة : «إنها الهيئة ، يقال إذا كان القوم مشتبهين :

---

(١) عند قوله تعالى : ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص :٣١] .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٥٧ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ أ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٣٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٧٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦١ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٥٧ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٧ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٥٧ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٧ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨ .

(٦) ذكر بلا نسبة في المحرر الوجيز ١٠/ ٢١ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٥ .

(٧) انظر : القاموس المحيط (السير) ٢/ ٤ ، والصحاح (سير) ٢/ ٦٩١ ، ولسان العرب (سير) ٤/ ٢١٦٩ ، والمفردات في غريب القرآن (سار) ٢٤٧ .

هم على سيرة واحدة . قال : و﴿سِيرَتَهَا﴾ منصوبة على إسقاط الخافض ، وأفضى الفعل إليها ، والمعنى : إلى سيرتها ، فلمَّا حذفت (إلى) أفضى الفعل ، وهو ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ فنصب»[١] .

قال وهب : «لمَّا أمره الله بأخذها أدنى طرف المدرعة[٢] على يده ، فقال له مَلك : أرأيت يا موسى ، لو أذن الله بما تحاذر ، أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً ؟ قال : لا ، ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت . فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية وقبض ، فإذا عصاه التي عهدها ، وإذا يده في موضعها التي كان عهدها إذا توكأ بين الشعبتين»[٣] .

٢٢. قوله تعالى : ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ . اختلفوا في الجناح هاهنا ، فقال أبو عبيدة : «كل ناحيتين جناحان»[٤] .

وقال المُبرِّد : «الجناح الجانب»[٥] . فعلى هذا ، الجنب والإبط جناح ، وهذا قول الكلبي ، والسُّدِّي في هذه الآية[٦] . واختيار ابن قتيبة[٧] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٥ .

(٢) المدرعة : ضرب من الثياب التي تلبس ولا تكون إلا من الصوف . انظر : تهذيب اللغة (درع) ٢/ ١١٧٥ ، ومقاييس اللغة (درع) ٢/ ٢٦٨ ، والقاموس المحيط (درع) ٤/ ٧ ، والصحاح (درع) ٣/ ١٢٠٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٠ ، وروح المعاني ١٦/ ١٧٩ ، والزهد للإمام أحمد ٦٣ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨ .

(٥) ورد نحوه بلا نسبة في بحر العلوم ٢/ ٣٣٩ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩١ .

(٦) بحر العلوم ٢/ ٣٣٩ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ أ .

(٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٨ .

وقال الفرَّاء ، والزجَّاج : «جناح الإنسان عضده إلى أصل إبطه»[١] . وهذا قول مجاهد قال : «﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ تحت عضدك»[٢] . وهذا القول أشبه ؛ لأن يدي الإنسان مشبهتان بجناح الطائر ؛ ولأنه قال : ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ ، والمعنى : أدخل يدك تحت عضدك تخرج بيضاء ، ولو كان المراد بالجناح الجنب والإبط لم يقل : تخرج .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد إلى صدرك»[٣] . ولا أدري كيف فسر الجناح بالصدر !

وقوله تعالى : ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ . أراد وأخرجها تخرج بيضاء ، وكذلك قوله : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ﴾ [النمل :١٢] ، المعنى : أخرجها تخرج ، وذكرنا مثل هذا في قوله تعالى : ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ [البقرة :٦١] .

قال ابن عباس : «كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار ، كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءاً»[٤] . فذلك قوله : ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ من غير برص ، في قول جميع المفسرين[٥] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٨ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٥ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٥٧ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٣٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٢ .

(٣) التفسير الكبير ٢٢/ ٣٠ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩١ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٥ ، وجامع البيان ١٦/ ١٥٨ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٣٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٠ .

قال الليث : «ويكنى بالسوء عن اسم البرص»[١] . وقال أبو عمرو : «﴿سُوٓءٍ﴾ ؛ أي برص»[٢] .

وقال المُبرِّد : «السوء إذا أطلق فهو البرص ، وإذا وصلوه بشيء فهو كل ما يسوء ، والأغلب عليه عند العرب من الأدواء البرص»[٣] .

وقوله تعالى : (آية أخرى) . قال الأخفش : «جعل ﴿ءَايَةً﴾ بدلاً من ﴿بَيْضَآءَ﴾»[٤] .

وقال الزجَّاج : «هي اسم في موضع الحال ، المعنى : تخرج بيضاء مبينة آية أخرى . قال : ويجوز أن تكون منصوبة على (آتيناك آية أخرى ، أو نؤتيك آية) ؛ لأنه لمَّا قال : ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ كان في ذلك دليل أنه يعطى آية ، فلم يحتج إلى ذكر آتينا ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه»[٥] . قال المُبرِّد : «ولا تكون أخرى إلَّا بعد الأولى[٦] قوله : ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه :٢٠]» .

٢٣. قوله تعالى : ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ تأنيث الأكبر ، وهي نعت الآيات ، ولم يقل الأكبر لما ذكرنا في قوله : ﴿مَشَارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه :١٨] . ولو قيل الكبر لجاز وحسن ، ولكن لوفاق رؤوس الآي جاءت الكبرى ، ويجوز أن تكون ﴿ٱلْكُبْرَى﴾ نعتاً لمنعوت محذوف على تقدير :

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (ساء) ٢/ ١٥٨٣ ، ولسان العرب (سوأ) ٤/ ٢١٦٠ .

(٢) ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (ساء) ٢/ ١٥٨٣ ، ولسان العرب (سوأ) ٤/ ٢١٦٠ ، والمفردات في غريب القرآن (سوأ) ٢٥٢ ، ومختار الصحاح (سوأ) ١٣٤ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة في المحرر الوجيز ١٠/ ٢٢ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ أ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٣٦ ، وتهذيب اللغة (ساء) ٢/ ١٥٨٣ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٩ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٥ .

(٦) ذكره بلا نسبة القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩١ ، والرازي في التفسير الكبير ٢٢/ ٣٠ .

لنريــك من آياتنا الآية الكبرى ، وهذا مذهــب أبي عبيدة[١] . وبه قال جماعة من المفسرين[٢] .

قال ابن عباس : «كانت يد موسى أكبر آياته»[٣] .

وقال الكلبي : «يده أعظم ما رأى من الآيات»[٤] .

وقال الثوري : «يده هي الآية الكبرى»[٥] .

٢٤. قوله تعالى : ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ ؛ أي جاوز القدر في العصيان ، وذلك أنه خرج من معصيته إلى فاحش تجاوز به معاصي الناس .

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٠ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٢٢ ، والكشاف ٢/ ٥٣٤ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٣٠ .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ١٧ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩١ .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ١٧ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩١ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٣٠ ، وفتح القدير ٣/ ٥١٨ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسـبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٧٠ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩١ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٣٠ ، والفتوحات الإلهية ٣/ ٨٨ . قال أبو حيان في البحـر المحيط ٦/ ٢٣٧ : «ويبعد ما قيل من أن اليد أعظم في الإعجاز من العصا ؛ لأنه ذكر عقيب اليد : ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ ؛ لأنه جعل الكبرى مفعولاً ثانياً لـ(نريك) ، وجعل ذلك راجعاً إلى الآية القريبة وهي إخراج اليد بيضاء من غير سوء ، وقد ضعف قوله هذا ؛ لأنه ليس في اليد إلَّا تغيير اللون ، وأمَّا العصا ففيها تغيير اللون ، وخلق الزيادة في الجسم ، وخلق الحياة ، والقدرة ، والأعضاء المختلفة ، وابتلاع الشجر والحجر ثم عادت عصا بعد ذلك ، فقد وقع التغيير مراراً فكانت أعظم من اليد» .

قال أهل المعاني : «وفي الآية محذوف ؛ لأن المعنى : اذهب إلى فرعون فادعه إلى توحيد الله ، ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ ؛ لأنه أمر بالذهاب إليه ، وأن يدعوه إلى التوحيد»[١] .

٢٥. قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ . ذكرنا الكلام في معنى شرح الصدر في سورة الأنعام[٢] . يقول افتح صدري ووسِّعه لقبول الحق .

قال ابن عباس : «يريد حتى لا أخاف غيرك . وذلك أنه كان يضيق صدره بما كلف من مقاومة فرعون وحده ، فسأل الله - تعالى - أن يوسِّع قلبه للحق حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرته إلَّا بإذن الله ، وإذا علم ذلك حق العلم لم يخف فرعون ، وإن اشتدت شوكته ، وكثر جنوده»[٣] .

٢٦. قوله تعالى : ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ . قال ابن عباس : «يريد سهل عليَّ ما بعثتني له»[٤] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٥٨ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام :١٢٥] .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٧٠ .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٥٩ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٢٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨١ .

٢٧. ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ . العقدة : الربطة في الحبل والخيط[١] . وأراد بالعقدة هاهنا رتة[٢] كانت في لسانه ، تمنعه من الانطلاق في الكلام . قال سعيد بن جبير ، وهو قول العامة : «عجمة من جمرة نار أدخلها في فيه»[٣] . والقصة في ذلك معروفة[٤] . قال ابن عباس : «يريد أطلق عن لساني العقدة التي فيه حتى يفهموا كلامي»[٥] .

٢٩. قوله تعالى : ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾ ؛ قال المفسرون : «عوناً وظهيراً من أهل بيتي»[٦] .

قال أبو إسحاق : «الوزير في اللغة اشتقاقه من الوَزَرِ ، وهو الجبل الذي يعتصم به لينجي من الهلكة . وزير الخليفة معناه : الذي يعتمد على رأيه في أموره ويلتجأ إليه . وقوله تعالى : ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة :١١] معناه : لا شيء يعتصم به من أمر الله»[٧] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (قعد) ٣/ ٢٥١١ ، ومقاييس اللغة (عقد) ٤/ ٨٦ ، والمعجم الوسيط (عقد) ٢/ ٦١٣ ، والمفردات في غريب القرآن (عقد) ٣٤١ .

(٢) الرتة عجلة في الكلام ، وقلة أناة ، وقلب لبعض الحروف ، فتسمع الصوت ولا يبين لك تقطيع الكلام . الأرت : الذي في لسانه عقدة وحبسة ، ويعجل في كلامه ، فلا يطاوعه لسانه . انظر : تهذيب اللغة (رت) ٢/ ١٣٥٩ ، والقاموس المحيط (الرث) ١٦٩ ، ولسان العرب (رتت) ٣/ ١٥٨٠ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٥٩ ، وتفسير القرطبي ١٦/ ١١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٨ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٣٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧١ . ذكر بعض المفسرين هذه القصة وبها فسروا العقدة ، ولم يثبت في هذا خبر صحيح عن الرسول ﷺ ، وقد نُسب هذا التفسير إلى بعض التابعين الذي يظهر ـ والله أعلم ـ أنه من قبيل الإسرائيليات ، وأول ما فُسِّرت به العقدة ما ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٨ ؛ إذ قال : «مجاز العقدة في اللسان كل ما لم ينطق بحرف أو كانت منه مسكة من تمتمة أو فأفأة» .

(٥) الكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، والكشاف ٢/ ٥٣٥ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٦٠ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧١ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٧ .

وقال غيره : «قيل لوزير السلطان : وزير ؛ لأنه يَزِرُ عن السلطان أثقال ما أسند إليه من تدبير الولاية ؛ أي يحمل . وزَرْتُ الشيء ؛ أي حملته ، أَزِرُه وَزْراً»[١] . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ [الأنعام :٣١] الآية .

وقال الليث : «الوَزِيرُ الذي يَسْتَوزره الملك فيستعين به ، وصناعته الوزارة ، وهو يُوَازر الملك مُوَازَرة ؛ أي يعاونه ، والزرع يُوَازِر بعضه بعضاً إذا تلاحق والتفَّ»[٢] . وذكر المفضل الوجهين اللذين ذكرناهما في الوزير[٣] .

٣٠. قوله تعالى : ﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾ . يجوز في نصب ﴿هَٰرُونَ﴾ وجهان ؛ أحدهما : أنه مفعول جعل على تقدير : اجعل هارون أخي وزيري . والثاني : على البدل من وزير . والوجهان ذكرهما الفرَّاء ، والزجَّاج[٤] . و﴿أَخِي﴾ نعت لهارون .

٣١. قوله تعالى : ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي﴾ . قال المفسرون : «قوِّ ظهري وأعني به»[٥] .

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٢٣٩ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٨ ، وتهذيب اللغة (وزر) ٤/ ٣٨٨٣ ، والقاموس المحيط (الوزر) ٢/ ٥٢٨ ، ولسان العرب (وزر) ٨/ ٤٨٢٤ .

(٢) ذكرت نحوه كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (وزر) ٤/ ٣٨٨٣ ، والصحاح (وزر) ٢/ ٨٤٥ ، والقاموس المحيط (الوزر) ٥٢٨ ، ولسان العرب (وزر) ٨/ ٤٨٢٤ .

(٣) ذكرت نحوه كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (وزر) ٤/ ٣٨٨٣ ، والصحاح (وزر) ٢/ ٨٤٥ ، والقاموس المحيط (الوزر) ٢/ ٥٢٨ ، ولسان العرب (وزر) ٨/ ٤٨٢٤ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٨ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٦ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٦٠ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٢ .

قال ابن الأعرابي : «الأَزْرُ : القوة ، والأَزْرُ : الظهر ، والأَزْرُ : الضعف . وفسر قوله : ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ بالقوة ، والظهر والضعف»[(١)] . وأنشد أبو عبيدة -على أن الأَزْرَ في هذه الآية الظهر[(٢)]- قول ذي الرمة[(٣)] :

إِذَا مُدَّتِ الأَيْدِي الكِرَامُ إِلى العُلَى وشُدَّ لأَيَّامِ المُحَافَظَةِ الأَزْرُ

ويقال : آزَرَه ووَازَرَه : إذا عاونه . ونذكر الكلام فيه عند قوله : ﴿فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ﴾ [الفتح :٢٩] إن شاء الله .

٣٢. ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ ؛ أي اجمع بيني وبينه في النبوة ، فالمراد بالأمر هاهنا : النبوة ، قاله ابن عباس ، والكلبي[(٤)] .

وقراءة العامة : ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ على الدعاء ، وقرأ ابن عامر : «أَشدد به أزري وأُشركه» على الجواب والمجازاة[(٥)] ، والوجه الدعاء ؛ لأنه معطوف على ما تقدمه من قوله : ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه :٢٥ ، ٢٦] ، فكما أن ذلك كله دعاء ، فكذلك ما عطف عليه . وأمَّا الاشتراك في النبوة فلا يكون إلَّا من الله سبحانه ، اللهم إلَّا أن يجعل أمره : شأنه الذي هو غير

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٨ ، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ٢٤٥ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٨٨٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٣٧ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨ .

(٣) البيت لذي الرمة . المحافظة : الذب عن المحارم ، والمنع لها عند الحروب . انظر : ديوان ذي الرمة ٢٢٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨ .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٦١ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٢٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٢ .

(٥) قرأ ابن عامر الشامي (أَشدد به) بفتح الهمزة وجعلها ألف المتكلم ، وقرأ (وأُشْرِكْهُ) بضم الهمزة على الجواب والمجازاة ، وقرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ﴾ بوصل الألف والابتداء بالضم ، وقرؤوا ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾ بفتح الهمزة على الدعاء . انظر : السبعة ٤١٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢١ ، والتبصرة ٢٥٩ ، وحجة القراءات ٤٥٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٧ .

النبـــوة ، وإنما ينبغي أن يكون النبوة ، كما فسره ابن عباس . فأمَّا ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾ فحمله على الإخبار وغير الدعاء أسهل ، ولا يسوغ أن يحمل ﴿وَأَشۡرِكۡهُ﴾ في أمري على غير النبوة ؛ لأنه قد جاء ما يعلم فيه مســألة موسى لذلك[١] ، وذلك قوله : ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي﴾ [القصص :٣٤] الآية .

٣٣. قولــه تعــالى : ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا﴾ . [قال الكلبــي : «يقول : نصلي لك كثيراً»][٢] .

٣٤. ﴿وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ ؛ بحمــدك والثنــاء عليك بــما أوليتنا مــن نعمك ، ومننت به علينا من تحميل رســالتك[٣] . فاستجاب الله دعاءه وقال : ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ ؛ أي أعطيت ما سألت .

قال الكلبي : «فلق الله له صدره ، وحل عقدة من لســانه ، وبعث معه أخاه هارون»[٤] .

قال الأزهري : «سُؤل الإنســان : أمنيته التي يطلبها ، والتسويل تفعيل منه وهو تزين ذلك ، وأصل السؤال مهموز ، غير أن العرب استثقلوا فيه الهمز لمَّا كثر في كلامهم»[٥] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٢ .

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س) .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٧٢ .

(٤) ذكره الطبري في جامع البيان ١٦/ ١٦١ من دون نسبة ، وكذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ١٠/ ٢٦ .

(٥) تهذيب اللغة (سول) ٢/ ١٧٩١ .

وقال الراعي فلم يهمز السول[١] :

اخْتَرْتُكَ النَّاسَ إِذْ رَثَّتْ خَلاَئِقُهُمْ واعْتَلَّ مَنْ كَانَ يُرْجَى عِنْدَهُ السُّولُ

٣٧. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ ؛ أي أحسنَّا إليك وأنعمنا عليك قبل هذه المرة . والمن : الإحسان إلى مَن لا يَسْتَثِيبه[٢] . وذكرنا معاني المَن عند قوله : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران :١٦٤] الآية .

٣٨. وقوله تعالى : ﴿مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ تفسيره قوله : ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ قال المفسرون : «وحي إلهام»[٣] . مثل : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل :٦٨] أي ألهمناها حين عيت بأمرك ، بلطف إلهامنا إياها ما كان فيه سبب نجاتك من القتل .

وقوله تعالى : ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ ؛ أي ما يلهم ، ثم فسر هذا الملهم بقوله :

٣٩. ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ . وذكر ابن الأنباري في قوله : ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ وجهين ؛ أحدهما : «أن معناه وأوحينا إلى أمك الذي يجوز أن يوحى إليها ، والضرب الذي يمكن أن تكون مختصة به ؛ لأنه ليس كل الأمور يصلح وحيها إليها ، فكأنها اختصت بما يجوز أن يختص به أمثالها ممن ليس بنبي ولا رسول . والثاني : أن ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ أفاد في الآية توكيد

---

(١) البيت للراعي . رثت : الرثأة قلة الفطنة ، وضعف الفؤاد . والخليقة : الفطرة . يقال : إنه لكريم الطبيعة ، والخليقة ، والسليقة بمعنى واحد . انظر : تهذيب اللغة (سول) ٢/ ١٧٩١ ، ولسان العرب (سول) ٤/ ٢١٥٧ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (منَّ) ٤/ ٣٤٥٣ ، والقاموس المحيط (منَّ) ١٢٣٣ ، والصحاح (منن) ٦/ ٢٢٠٧ ، ولسان العرب (منن) ٧/ ٤٢٧٧ ، والمفردات في غريب القرآن (منن) ٤٧٤ .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٣٧ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٢ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٢٦ .

أوحينا ، كأنه قيل : أوحينا إلى أمك إيحاء»[١] . ومعنى : ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ اجعليه فيه بأن ترميه فيه ، واستعمل لفظ القذف هاهنا للعجلة ، كي تعجل قبل أن يطلع عليها الذابحون . ومعنى القذف في اللغة : الرمي بالسهم والحصى والكلام وكل شيء ، ويقال للسب : القذف ؛ لأنه رمي بالقبيح من القول[٢] .

وقوله تعالى : ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ ؛ قال ابن عباس : «يريد النيل»[٣] .

قال الليث : «﴿ٱلْيَمِّ﴾ البحر الذي لا يدرك قعره ولا شطَّاه»[٤] .

قال الأزهري : «﴿ٱلْيَمِّ﴾ البحر ، وهو معرب ، وأصله بالسريانية ، فعربته العرب وأصله : يم ، ويقع اسم اليم على ما كان ماؤه ملحاً زعاقاً ، وعلى النهر الكبير العذب الماء كالذي في هذه الآية ، وهو نهر النيل بمصر وماؤه عذب . قال الله تعالى : ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ ، فجعل له ساحلاً ، وهذا كله دليل على بطلان قول الليث في اليم»[٥] .

قال صاحب النظم : «اشترك في قوله : ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ﴾ الأمر والجزاء ؛ لأنه جواب لقوله : ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ ، وهو أمر بالإلقاء ، فصار كقوله : ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت :١٢] ، فقوله : ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾ أمر وله

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٨٣ ، والطبرسي في مجمع البيان ٥/ ١٧ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (قذف) ٣/ ٢٩٠٧ ، ومقاييس اللغة ، والقاموس المحيط ٨٤٣ ، والصحاح ٤/ ١٤١٤ ، ولسان العرب ٦/ ٣٥٦٠ ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور :٢٣] .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٦١ ، والكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٥ .

(٤) تهذيب اللغة (يم) ٤/ ٣٩٨٤ .

(٥) نفسه .

جواب ، وجوابه في قوله : (نحمل) ، ودخول الواو واللام دلالة على استئناف أمر لنفسه ، كما قال الشاعر[١] :

فَقُلْتُ ادْعِي وأَدْعُ فَإِنَّ أَنْدَى لِصَوْتٍ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

بمعنى : ولأَدْعُ أنا ، فهو جواب وأمر لنفسه بذلك ، وذكرنا هذا في قوله : ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ﴾ [مريم :٧٥]»[٢] .

وهذا الذي ذكره صاحب النظم شرح ما ذكره الفرَّاء وبيانه[٣] . والساحل : شاطئ البحر ، والوادي سمي ساحلاً ؛ لأن الماء يسحله ؛ أي يقشره إذا علاه ، وهو فاعل بمعنى مفعول هاهنا ، ذكره الأزهري[٤] . وذكر في التفسير أن النيل ألقاه إلى مشرعة[٥] آل فرعون[٦] .

---

(١) اختُلِف في نسبة هذا البيت ، فنُسب إلى الأعشى في الكتاب ١/ ٤٢٦ ، والرد على النحاة ١٢٨ ، والعيني ٤/ ٣٩٢ ، والدرر ٢/ ٩ ، وليس في ديوانه ، ونُسب إلى الفرزدق في أمالي القالي ٢/ ٩٢ ، وليس في ديوانه ، ونُسب إلى دثار بن شيبان النمري ، ذكر ذلك : الأغاني ٢/ ١٥٩ ، وسمط اللآلي ٧٢٦ ، ولسان العرب (ندى) ٧/ ٤٣٨٨ ، وذكر بغير نسبة في الإنصاف ٩/ ٤ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٩٢ ، ومجالس ثعلب ٤٥٦ ، ومغني اللبيب ١/ ٣٩٧ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ٢٦ ، والكشاف ٢/ ٥٣٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٤١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٦ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٩ .

(٤) تهذيب اللغة (سحل) ٢/ ١٦٤٥ .

(٥) المُشْرَعةُ : التي يَشْرَعها الناس فيشربون منها ويستقون ، وربما شرعوها دوابهم حتى تشرعها وتشرب منها ، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عدّاً لا انقطاع له ، ويكون ظاهراً معيناً لا يستقى منه بالرشاء . انظر : تهذيب اللغة (شرع) ٢/ ١٨٥٨ ، والقاموس المحيط (الشريعة) ٧٣٢ ، والصحاح (شرع) ٣/ ١٢٣٦ ، ولسان العرب (شرع) ٤/ ٢٢٣٨ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٢٦ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٥ .

وقوله تعالى : ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ يعني فرعون ، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «لا يراك أحد إلَّا أحبك ، لا مؤمن ولا كافر»[١] .

وقال سلمة بن كهيل[٢] : «حبَّبتك إلى عبادي»[٣] .

وقال عكرمة : «حسن وملاحة»[٤] . فحيث أبصرَتْ وجهَهُ آسيةُ[٥] ، قالت لفرعون : ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ ، وروي عن ابن عباس أنه قال : «أحبه ، وحببه إلى خلقه»[٦] .

وقال العوفي : «جعل عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه مَن رآه»[٧] .

---

(١) زاد المسير ٥/ ٢٨٤ .

(٢) سلمة بن كهيل الحضرمي التنعي الكوفي أبو يحيى ، من كبار التابعين ، روى له الستة ، وروى عن سعيد بن جبير ومجاهد وغيرهما ، وروى عنه الثوري وغيره ، وهو ثقة ، ثبت في الحديث ، وكان فيه تشيع قليل ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٢١هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : طبقات ابن سعد ٦/ ٢٢١ ، والجرح والتعديل ٢/ ١٧٠ ، والكامل ٥/ ٩٦ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١٥ ، وشذرات الذهب ١/ ١٥٩ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٦١ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٩ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٦١ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٩ .

(٥) آسية بنت مزاحم ، زوجة الطاغية فرعون ، وهي من أفضل النساء لإيمانها وصبرها ، وقد ورد بذلك الخبر عن النبي ﷺ كما رواه الإمام أحمد ١/ ٣١٦ ، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٢/ ٥٩٤ ، قال : «أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٦ .

(٧) الكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٦ .

وقال قتادة : «ملاحة كانت في عيني موسى ما رآه أحد إلَّا عشقه»[١] .

وقال في رواية سعيد بن جبير : «ألقى عليه منها محبة لم يلق منها على أحد من البشر»[٢] . وهذا كلام المفسرين .

فأمَّا ظاهر اللفظ فإنه يقتضي أن الله – تعالى – أحبه ، وحب الله – تعالى – إياه أعظم نعمة وأجمل إحسان[٣] . ومَن قال : إنه حبَّبه إلى خلقه كان المعنى : ألقيت عليك محبة للعباد ، وهي مني مخلوقة لي . ومَن فسَّر هذه المحبة بالحسن والجمال كان المعنى : ألقيت عليك سبب محبة ، فسمي سبب الحب حبّاً ، و حذف المضاف .

وقال أبو عبيدة في هذه الآية : «يقول : جعلت لك محبة عندي وعند غيري»[٤] . أحبك فرعون فسلمت من شره ، وأحبتك امرأته آسية فتبنَّتك . واستعملت لفظة الإلقاء للمبالغة في هذا المعنى ، والعرب تقول إذا أحب الواحد منهم أخاه : ألقيت عليك رحمتي وشفقتي ، فيكون هذا أبلغ من قولهم : رحمتك وأشفقت عليك[٥] .

---

(١) الكشف والبيان ٣/ ١٧ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٩ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٦١ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٢٩ ، والتسهيل لعلوم التنزيل ٤٠٣ ، ومجمع البيان ٧/ ١٨ ، وروح المعاني ١٦/ ١٨٩ .

(٣) قال الإمام الطبري في تفسيره ١٦/ ١٦١ : «والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله ألقى محبته على موسى كما قال جل ثناؤه : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ فحببه إلى آسية امرأة فرعون حتى تبنَّته وغذَّته وربَّته» . وقال ابن تيمية في العقيدة الواسطية ٢٠ : «ومحبة الله صفة من صفاته الفعلية ودليلها قوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ، ويشهد لهذا ما رواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل . قال ﷺ : «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إني أحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء أن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ويوضع له القبول في الأرض» .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٩

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٩ .

وقولـــه تعالى : ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ قال المفسرون : «ولتربى تغذى»[١] . يقال : صنع الرجل جاريته ، وصنعها إذا رباها ، وصنع فرسه إذا داوم على علفه والقيام عليه ، ومن هذا يقال : فلان صنيع فلان ، وصنيعته ، إذا رباه وأدبه حتى يخرجه[٢] .

وقوله تعالى : ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ ذكر المفسرون في تفسيره : «مرأى مني»[٣] . وهو جائز من حيث اللفظ ، ولكن لا يكون في هذا تخصيص لموسى ، فإن جميع الأشياء بمرأى من الله لا يغيب عن رؤيته شيء . والصحيح في هذا ما روى قتادة أنه قال : «لتغذى على محبتـــي وإرادتي»[٤] . واختاره أبو عبيدة وذكـــره فقال : «أي لتربى وتغذى على محبتـــي وما أريد . قال : والعرب تقول : اتخذه لي على عيني ، أي على محبتي»[٥] .

وقال ابن الأنباري : «العين في هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاختيار ، من قول العرب : غُذِّي فلان على عيني ؛ أي على المحبة مني والإشفاق»[٦] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٦٢ ، والكشـــف والبيان ٣/ ١٧ ب ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٩ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (صنع) ٢/ ٢٠٦٥ ، والقاموس المحيط ٧٣٨ ، والصحاح ٣/ ١٢٤٥ ، ولســـان العرب ٤/ ٢٥٠٨ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٦٣ ، والكشـــف والبيان ٣/ ١٧ ب ، ومعـــالم التنزيل ٥/ ٢٧٣ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٣٠ .

(٤) النكت والعيون ٣/ ٤٠٢ ، وذكرته كتب التفسير من دون لفظ الإرادة . انظر : تفسير القرآن للصنعاني ١/ ١٦ ، وجامع البيان ١٦/ ١٦٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٩ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٩ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٩ .

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المســـير ٥/ ٢٨٤ ، والألوسي في روح المعـــاني ١٦/ ١٩٠ . قال ابن تيمية في العقيدة الواســـطية ٢٢ : «إن عيني الله من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به ينظر بها ويبصر ويرى ، ودليل ذلك قوله : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ ولا يجوز تفسيرها بالعلم ولا بالرؤية مع نفي العين لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف على ثبوت العين لله» . وأولى ما حملت عليه هذه الآية أن يقـــال فيها : أي على نظر مني ومرأى ؛ فأنت بحفظي ورعايتي . انظر : الفتاوى لابن تيمية ٣/ ١٣٣ ، وتيسير الكريم الرحمن ٥/ ١٥٦ ، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ٩٠ .

وأنشد لخفاف بن ندبة[١] :

وإن تَكُ خَيْلِي قَدْ أُصِيبَ صَمِيمُها فَعَمْداً عَلى عَـيْنٍ تَيَمَّمْـتُ مَالِكَا

وذكر صاحب النظم في اللام التي في قوله : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ أوجهاً أحدها : «أنها متصلة بما قبلها ، وهو قوله : ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ ؛ لأن ذلك الإيحاء كان من أسباب تربية موسى على ما أراد الله ، وعلى هذا ، يجب أن تكون الواو مقحمة زائدة في ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ . الثاني : أن اللام متصلة بما بعدها ، وهو قوله تعالى : ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ كأن المعنى : ولتصنع على عيني قدرنا مشي أختك ، وقولها : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ . قال : وقيل أيضاً : ولتصنع على عيني فعلمنا ذلك ، كما قلنا في مثل هذا في مواضع»[٢] .

٤٠. قوله تعالى : ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ يعني حين قالت لها أم موسى : قصيه ، فاتبعت موسى على أثر الماء .

وقوله تعالى : ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ [القصص :١٢] الآية[٣] ، قال الفرَّاء : «كثير وهو من كلام العرب أن تجتزي بحذف كثير من الكلام إذا كان المعنى معروفاً»[٤] .

---

(١) البيت لخفاف بن ندبة ، قاله بعد قتله لمالك بن حمار ، سيد بني شمخ بن فزارة . انظر : الشعر والشعراء ٢١٢ ، والخزانة ٥/ ٤٤٣ ، والأغاني ١٣/ ١٣٥ ، ولسان العرب (عين) ٦/ ٣١٩٩ .

(٢) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٥٣٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٢ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٥٤ ، وقال : «ويجوز أن تكون الواو مقحمة ؛ أي ألقيت عليك محبة مني لتصنع ، وهذا بعيد» . وقال الألوسي في روح المعاني ١٦/ ١٩٠ : «وزعم أنه متعلق بـ(ألقت) على أن الواو مقحمة ليس بشيء» .

(٣) في (ص) : (قال : حين تركت موسى المراضع) .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٩ .

وقوله تعالى : ﴿عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ ؛ أي يرضعه ويضمه إليه[١] ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران :٣٧] . فقيل له : ثم رددناك إليها كي تقر عينها بك وبرؤيتك . وذكرنا الكلام في قرة العين عند قوله : ﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾ [مريم :٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ ؛ يعني القبطي الذي وكزه موسى فقضى عليه[٢] .

وقوله تعالى : ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ . قال ابن عباس : [«يريد الهم الذي كنت تخافه من عذاب الله ، ومن قتل فرعون ، فخلصناك منه حين هربت إلى مدين»[٣] .

وقوله : ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ . قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة : «اختبرناك اختباراً»[٤] . واختاره الزجَّاج ، وابن قتيبة[٥] .

وقال الفرَّاء : «ابتليناك بغم القتل»[٦] .

وتفسير ﴿وَفَتَنَّٰكَ﴾ بالاختبار والابتلاء صحيح ، إلَّا أنه لا يأتي بالمعنى هاهنا ، والوجه ما ذكره ابن عباس في رواية عطاء قال : «يريد خلصناك إخلاصاً من

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٦٣ ، والكشف والبيان ٣/ ١٨ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٥ .

(٢) مثل قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص :١٥] .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٦٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٤ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٥٤ ، وإرشاد العقل السليم ٦/ ١٦ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٦٤ ، والكشف والبيان ٣/ ١٨ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٢٩ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٧ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٩ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٩ .

الذبح وغيره»[١] . وهذا قول سعيد بن جبير حين سأله عن الفتون ، ما هو ؟ في حديث طويل[٢] .

وعن مجاهد في رواية ابن أبي نجيح قال : «الفتون وقوعه في محنة خلصه الله منها ، أولها : أن أمه حملته في السنة التي كان يذبح الأطفال فيها ، ثم إلقاؤه في البحر ، ثم منعه الرضاع إلَّا من ثدي أمه ، ثم : جره لحية فرعون حتى هم بقتله ، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة ، ثم مجيء رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله»[٣] . وهذا معنى قولهما وقد اختصرته . وكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبير ويقول عند كل بلية : «هذا من الفتون يا ابن جبير»[٤] . ويؤكد هذا ما روي عن سفيان أنه قال : «بلغني عن ابن عباس في هذه : ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ قال : بلاء على كل بلاء»[٥] . وعلى هذا معنى ﴿وَفَتَنَّاكَ﴾ : خلصناك من تلك المحن ، كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبيث وشائب[٦] . والفتون مصدر .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٦٤ ، والكشاف ٢/ ٢٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٥ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٦٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٠ ، والكشاف ٢/ ٥٣٧ ، وابن كثير ٣/ ١٦٤ ، وقال ـ رحمه الله ـ بعد أن ساق الحديث بطوله : «وهو موقوف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلَّا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنه مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره ، والله أعلم» . انظر : الدر المنثور ٤/ ٥٣٠ ، ومجمع الزوائد للهيثمي ٧/ ٦٦ ، وقال : «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد ، والقاسم بن أبي أيوب ، وهما ثقتان» .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٦٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٣ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٨ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٦٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤١ ، والكشاف ٢/ ٥٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥٣٠ .

(٥) زاد المسير ٥/ ٢٨٥ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (فتن) ٣/ ٢٧٤ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٧٢ ، والقاموس المحيط ١٢٢٠ ، ولسان العرب ٣٣٤٤ .

قال ابـــن الأنباري في القول الأول : «معناه الامتحـــان الذي يبتلى معه صبر الممتحن ، والأنبياء وأهل الخير يختبرهم الله - تعالى - ليســـعدهم ، ويجعل حسن العقبـــى لهم ، فتفســـير : ﴿وَفَتَنَّاكَ﴾ ابتليناك بغـــم القتل ، يعني : قتـــل القبطي . والفتنـــة][1] في القول الثـــاني : الإخلاص من قولهم : فتنتـــه[2] فتنة في النار ، إذا خلصته مما يتعلق به مما يفسده»[3] .

وقوله تعالى : ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ [نظم الآية : وفتناك فتوناً ، فخرجت خائفاً إلى أهل مدين ، فلبثت سنين][4] ولكنه من الحذف الذي ذكره الفرَّاء[5] .

وقوله تعالى : ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ يعني بلد شعيب ، وكان على ثماني مراحل من مـــصر . ﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ﴾ . قال ابن عبـــاس : «يريد موافقاً للنبوة ؛ لأن الأنبياء لا يبعثون إلَّا أبناء أربعين سنة»[6] .

وقال قتادة : «على قدر الرسالة والنبوة»[7] .

---

(١) من قوله : (يعني حين قالت لها أم موســـى . . . .) إلى هنا ســـاقط من نسخة (س) ، ومن قوله : (يريد الهم الذي كنت تخافه . . . .) إلى هنا ساقط من نسخة (ص) .

(٢) قوله : (فتنه) : ساقط من نسخة (س) و(ص) .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٥٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٣ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٦٧ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٩ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٨ .

(٧) تفســـير القرآن للصنعاني ٢/ ١٦ ، وجامع البيان ١٦/ ١٦٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٣ ، وابن كثير ٣/ ١٦٤ .

وقال ابن كيسان : «على رأس أربعين سنة ، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء»[١] . والعرب تقول : جاء فلان على قدر ، إذا جاء لميقات الحاجة إليه[٢] ، قال جرير[٣] :

نَالَ الخِلافَةَ إذْ كَانَتْ لَه قَدَراً كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

وعلى هذا معنى القدر : قدر السن [الذي هو : أربعون سنة][٤] وهو مبلغه . قال الزجَّاج : «قيل : على قدر من تكليمي إياك»[٥] . وهو هذا المعنى الذي ذكرناه ، وإنما لم يوصف القدر وهو نكره ؛ لأنه معلوم عند الله ، وعند الناس كم هو . وقال مجاهد : «﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ على موعد»[٦] . وهذا أيضاً بالمعنى الأول ؛ لأنه لم يسبق بين الله وموسى مواعدة للمجيء حتى يقال : إن موسى أتى على ذلك الوعد ، ولكن المعنى : على الموعد الذي وعده الله وقدره في علمه أن يوحي إليه الرسالة ، وهو أربعون سنة . وهذا معنى قول محمد بن كعب : «ثم جئت على القدر الذي قدرت أنك تجيء»[٧] .

---

(١) الكشف والبيان ٣/ ١٨ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٤ ، والقرطبي ١١/ ١٩٨ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٦٧ ، وتهذيب اللغة (قدر) ٣/ ٢٨٩٦ ، ولسان العرب (قدر) ١١/ ٣٥٤٥ .

(٣) البيت لجرير من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبدالعزيز رحمه الله . انظر : ديوانه ٢١١ ، وجامع البيان ١٦/ ١٦٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٤ ، والأضداد ٢٧٩ ، وأمالي المرتضى ٢/ ٥٧ ، وهمع الهوامع ١/ ١٦٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٧ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٦٨ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٣٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٨ ، وابن كثير ٣/ ١٥٧ .

(٧) الكشف والبيان ٣/ ١٨ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٤ ، والقرطبي ١١/ ١٩٨ .

وقال الفرَّاء : «يريد على ما أراد الله من تكليمه»[١] . يعني على ذلك السن . وقال الكلبي : «وافق الكلام عند الشجرة»[٢] .

وقال الليث : «وإذا وافق الشيء الشيء قلت : جاء قدره»[٣] . وروى مغيرة[٤] عن إبراهيم : «أنه كان يكره أن يضرب المثل في القرآن»[٥] . مثل قوله : ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ .

٤١. قوله تعالى : ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ . الاصطناع : اتخاذ الصنيعة ، وهي الخير تسديه إلى الإنسان ، وهذا افتعال من الصنع[٦] . قال الشاعر[٧] :

فَإِذَا اصْطَنَعْتَ صَنِيعَةً فَاقْصدْ بِها ... اللهَ أو لِذَوي القَرَابةِ أَوْ دَعْ

ومعنى ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ قال ابن عباس : «يريد اصطنعتك لوحيي ورسالتي»[٨] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٩ .

(٢) الكشف والبيان ٣/ ١٨ أ .

(٣) تهذيب اللغة (قدر) ٣/ ٢٨٩٦ .

(٤) مغيرة بن مقسم الضبي أبو هاشم ، مولاهم ، الكوفي الأعمى ، أحد الأئمة الأعلام ، ومن رواة السُّنة ، روى عن إبراهيم النخعي ، وروى عنه الثوري ، وثقه العلماء وكان ذكياً ، حافظاً ، صاحب سُنَّة ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٦ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : الطبقات لابن سعد ٦/ ٢٣٥ ، والجرح والتعديل ٤/ ٢٢٨ ، والتذكرة للذهبي ١/ ١٣٥ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٤٩٦ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٦٩ ، وشذرات الذهب ١/ ١٩١ .

(٥) لم أهتدِ إليه .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (صنع) ٢/ ٢٠٦٥ ، والقاموس المحيط ٧٣٨ ، والصحاح ٣/ ١٢٤٥ ، ولسان العرب ٤/ ٢٥٠٨ .

(٧) البيت لهذيل الأشجعي . انظر : تهذيب اللغة (صنع) ٢/ ٢٠٦٥ ، والكامل ٢/ ١٢٣ .

(٨) زاد المسير ٥/ ٢٨٦ ، والقرطبي ١١/ ١٩٨ ، وروح المعاني ١٦/ ١٩٣ .

وقال الكلبي[١] : «اخترتك بالرسالة لنفسي ، لكي تحبني وتقوم بأمري»[٢] .

قال أهل المعاني : «معنى ﴿لِنَفْسِى﴾ لتتصرف بإرادتي ومحبتي» . وجاز ﴿لِنَفْسِى﴾ بمعنى لمحبتي ؛ لأن المحبة أخص شيء بالنفس ، فحسن أن يجعل ما اختص بها مختصّاً بالنفس على هذا الوجه . وهذا معنى قول ابن عباس : «لوحيي ورسالتي»[٣] . لأن تبليغه الوحي وقيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله تعالى ، ومحبته[٤] .

وقال بعضهم : «معنى ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ : اخترتك بالإحسان إليك لإقامة حجتي»[٥] . أي لتتكلم عني وتبلغ عني وتقيم حجتي على خلقي . وهذا ظاهر في معنى لنفسي ، وقد كشف عنه أبو إسحاق فقال : «تأويله : اخترتك لإقامة حجتي ، وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في الخطاب عني والتبليغ عني بالمنزلة التي أكون أنا بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم»[٦] .

---

(١) في (س) : (قال الكلبي : تقول اخترتك) .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٦٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٩ .

(٣) زاد المسير ٥/ ١٩٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٨ ، وروح المعاني ١٦/ ١٩٣ .

(٤) قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٦٤ : «وأمَّا لفظ الأركان والأعضاء والأدوات فيستدل بها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية كاليد والوجه» . وقال أبو حنيفة : «له يد ووجه ونفس كما ذكر - تعالى - في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس فهو له صفة بلا كيف» . فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني سالمة من الاحتمالات الفاسدة ، فلذلك يجب أن لا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفياً ولا إثباتاً لئلا يثبت معنى فاسد أو ينفى معنى صحيح ، وهذه الألفاظ المجملة كلها عرضة للمحق والمبطل . قال ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٧٠ : «أي اصطفيتك واجتبيتك رسولاً لنفسي ؛ أي كما أريد وأشاء» . انظر : الفقه الأكبر ٣٦ ، وتيسير الكريم الرحمن ٥/ ١٥٨ ، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى .

(٥) المحرر الوجيز ١٠/ ٣٢ ، وروح المعاني ١٦/ ١٩٣ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٥ .

٤٢. قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾. قال ابن عباس: «يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى»[(١)].

وقال آخرون: «بحججي»[(٢)].

وقال ابن الأنباري: «يجوز أن يريد ﴿بِآيَاتِي﴾ العصا، واليد، وأوقع عليهما اسم الجمع، ويجوز أن يريدهما مع حل العقدة من لسانه التي لم يزل موسى يعرف بها»[(٣)].

قال الكلبي: «وكان هارون يومئذ بمصر، فألهم أن يتلقى موسى، فتلقاه من مصر، فلمَّا لقي موسى قال له موسى: إن الله أمرني أن آتي فرعون، فسألت ربي أن يجعلك معي»[(٤)].

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢٧٤، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٨، وروح المعاني ١٦/ ١٩٣، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١].

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٦٨، وزاد المسير ٥/ ٢٨٦، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٠، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٠.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٨٧، وذكر بلا نسبة في الكشف والبيان ٣/ ١٨ أ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٥٧، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٥.

(٤) الكشف والبيان ٣/ ١٨ أ، وذكره البغوي في تفسيره ٥/ ٢٧٤ من دون نسبة، وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٨٧.

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ ؛ أي «لا تضعفا ولا تفترا ، قاله المفسرون[١] . يقال : وَنَى ، يَنِي ، وَنْياً ، ووَانٍ إذا ضعف[٢] . قال العجاج[٣] :

فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَرْ لَهُ الإِلَهُ مَا مَضَى ومَا غَبَرْ

ويقال : هو وَانٍ في الأمر ومُتَوَانٍ .

وقوله تعالى : ﴿فِي ذِكْرِي﴾ . قال الفرَّاء : «في ذكري ، وعن ذكري سواء»[٤] . والمعنى : لا تقصرا في ذكري بالإحسان إليكما والإنعام عليكما . وذكر النعمة شكرها .

٤٣. قوله تعالى : ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ تكرير الأمر بالذهاب للتأكيد . ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ . قد مرَّ في هذه السورة[٥] .

٤٤. ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ . ذكر ابن عباس فيه قولين : أحدهما : «كنياه»[٦] ، وهو قول عكرمة ، والسُّدِّي[٧] .

---

(١) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٦ ، وجامع البيان ١٦/ ١٦٩ ، والكشف والبيان ٣/ ١٨ أ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٣٩ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٤ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (ونى) ٤/ ٣٩٦٠ ، ومقاييس اللغة (ونى) ٦/ ١٤٦ ، والقاموس المحيط (الونى) ٤/ ١٣٤٤ ، والصحاح (ونى) ٦/ ٢٥٣١ ، ولسان العرب (ونى) ٨/ ٤٩٢٨ .

(٣) البيت لرؤبة بن العجاج . انظر : ديوانه ١٥ ، وجامع البيان ١٦/ ١٦٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٤ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٩ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه :٢٤] .

(٦) زاد المسير ٥/ ٢٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٠ ، والدر المنثور ٤/ ٥٣٦ ، وروح المعاني ١٦/ ١٩٥ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ١٦٩ ، والكشف والبيان ٣/ ١٨ أ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٤ .

واختلفوا في كنيته فقيل : أبــو العباس ، وأبو الوليد ، وأبو مرة[١] . والثاني : «أن القول اللين هو أن موســى أتاه فقال له : تســلم وتؤمن بما جئت به ، وتعبد رب العالمين على أن لك شــبابك فلا تهرم إلى المــوت ، وملكاً لا ينزع منك حتى تموت ، ولا ينزع منك لذة المطعم والمشرب والنكاح حتى تموت ، وينسا في أجلك أربعمائة ســنة ، فإذا مت دخلت الجنة»[٢] . فهذه الكلــمات اللينات التي أتى بها موســى فرعون ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ، وأبي صالح السُّدِّي عن أبي مالك ، ومرة عن ابن مسعود ، وناس من الصحابة[٣] .

وقال مقاتل : يعني بالقول اللين : ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ [النازعات :١٨-١٩][٤] .

وقوله تعــالى : ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ ؛ أي ادعوه على الرجاء والطمع ، لا عــلى اليأس من فلاحه ، فوقع التعبد لهما على هــذا الوجه ؛ لأنه أبلغ في دعائه إلى الحق بالحرص الذي يكون من الراجي[٥] .

---

(١) الكشــف والبيــان ٣/ ١٨ أ ، والنكت والعيــون ٣/ ٤٠٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٤ ، وزاد المســير ٥/ ٢٨٨ .

(٢) انظر : المصادر الســابقة . والذي يظهر لي ـ والله أعلــم ـ أن هذا من أخبار بني إسرائيل ، ولم يصح في ذلك شيء ، ولو كان في التفصيل هذا منفعة لنا لبيَّنه القرآن الكريم ، وذكرته السُّنة النبوية .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٧٤ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٨ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ١٨ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٤ ، وتفسير مقاتل ٢ أ .
قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفســيره ١١/ ٢٠٠ : «القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه ، يقال : لان الــشيء يلــين ليناً ، وشيء لين ولين مخفف منــه ، والجمع ألينا ، فإذا كان موســى أمر بأن يقول لفرعون قولاً ليناً ، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه ، وأمره بالمعروف في كلامه» .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ٢٧٥ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٣٣ ، والقرطبي ١١/ ٢٠٠ .

وقد كشف أبو إسحاق عن هذا المعنى فقال : «خاطب الله العباد بما يعقلون ، والمعنى في هذا عند سيبويه : اذهبا على رَجَائِكُمَا وطَمَعِكُما[١] . والعلم من الله قد أتى من رواء ما يكون ، وإنما تبعث الرسل وهي لا تعلم الغيب ، ولا تدري أيقبل منها أم لا ، وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم ، ومعنى (لعل) متصور في أنفسهم ، وعلى تصور ذلك تقوم الحجة ، وليس علم الله بما سيكون يجب به الحجة على الآدميين ، ولو كان ذلك لم يكن في الرسل فائدة»[٢] .

وقال ابن الأنباري : «مذهب الفرَّاء في ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ كي يتذكر ويخشى في تقديركما وما تمضيان عليه»[٣] .

٤٥. قوله تعالى : ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ ؛ أي يبادر ويعجل بعقوبتنا . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والمفسرون[٤] ، وجميع أهل اللغة . [يقال : فَرَطَ علينا فلان ، إذا عجل بمكروه ، وفَرَطَ منه أمراً ؛ أي بدر وسبق[٥] .

---

(١) الكتاب لسيبويه ٢/ ١٤٨ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٧ .

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٨٨ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٦ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٧٠ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٣٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٨٩ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٨ ، وتهذيب اللغة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣ ، ومقاييس اللغة (فرط) ٤/ ٤٩٠ ، والقاموس المحيط (فرط) ٦٨٠ ، والصحاح (فرط) ٣/ ١١٤٨ ، والمفردات في غريب القرآن (فرط) ٣٧٦ .

وقال الكسائي][1] : «يقال : فَرَطَ عليهم ، يَفْرُطُ ، فُرُوطاً ، وفَرْطاً ، وفُرطَاناً»[2] .

وقال الأصمعي : «يقال : فَرَطْتُ القوم ، وأنا أَفْرِطُهم فَرْطاً إذا تقدمتهم ، ومنه الفَارِطُ والفَرَطُ إلى الماء»[3] . وذكرنا هذا الحرف عند قوله : ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل :٦٢] .

وقال ابن الأعرابي : «الفَرَطُ : العجلة ، يقال : فَرَطَ يَفْرُطُ»[4] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ ؛ أي يجاوز الحد في الإساءة بنا .

قال الكلبي : «يقتلنا»[5] .

٤٦. ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ﴾ جواب لقولهما : ﴿إِنَّنَا نَخَافُ﴾ [وقوله : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ وعد لهما في النصرة والمعونة والغلبة][6][7] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٢) ذكرت نحوه كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٧٣ ، ولسان العرب ٦/ ٣٣٨٩ ، والمعجم الوسيط (فرط) ٢/ ٦٨٣ .

(٣) تهذيب اللغة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣ .

(٤) تهذيب اللغة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ١٨ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٠ ، وروح المعاني ٥/ ١٩ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٧) إن ما جاء في القرآن من ألفاظ المعية حق على حقيقته وظاهره ، يقول الشيخ ابن عثيمين في القواعد المثلى ٧١ : «إن ظاهره وحقيقته أن الله – تعالى – مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً وتدبيراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته مع علوِّه على عرشه فوق جميع خلقه» . وقال ابن سعدي في تفسيره ٥/ ١٦٠ : «أي أنتما بحفظي ورعايتي ، أسمع قولكما ، وأرى جميع أحوالكما فلا تخافا منه» . انظر : الفتاوى لابن تيمية ٥/ ١٠٣ ، والعقيدة الواسطية ٣٣ .

وقوله تعالى : ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ . قال ابن عباس : «أسمع دعاءكما فأجيبه ، وأرى ما يراد بكما فأمنع»[١] . والمعنى : لست بغافل عنكم فلا تهتما[٢] .

٤٧. قوله تعالى : ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ ؛ قيل : العصا[٣] ، وقيل : اليد[٤] .

وقال ابن الأنباري : «أراد جميع[٥] آيات موسى ، فذكرها بلفظ الواحد ، كما تقع اللفظة على جماعة الألفاظ والكلمة على جملة الكلمات»[٦] . ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد من الله - عز وجل - على مَن اتبع البيان الذي جاء به موسى»[٧] .

وقال أبو إسحاق : «ليس يعني به التحية ، وإنما معناه : أن مَن اتبع الهدى يسلم من عذاب الله وسخطه ، والدليل على أنه ليس سلام أنه ليس ابتداءً لقاءً وخطاباً»[٨] . والذي ذكره عطاء يحتمل التحية ، ويحتمل ما قاله أبو إسحاق .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢٧٥ .

(٢) السمع والرؤية من صفات الله - عز وجل - الثابتة له على الوجه اللائق به نثبتها له كما أثبتها لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ، وقد يراد مع إدراك السمع والرؤية النصر والتأييد . انظر : العقيدة الواسطية ٢٥ ، والفتاوى لابن تيمية ٣/ ١٣٤ ، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى .

(٣) تفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٣٩ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩٠ ، والقرطبي ١١/ ٢٠٣ .

(٤) تفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٣٩ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩٠ .

(٥) قوله : (جميع) : ساقط من نسخة (س) .

(٦) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٥٣٩ ، والمحرر ١٠/ ٣٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٦ ، وروح المعاني ١٦/ ١٩٨ ، وقال : «وتوحيد الآية مع تعددها لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا بيان الحجة ، فكأنه قيل : جئناك بما يثبت مدعانا» .

(٧) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٧١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٤ .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٨ .

وقال الفرَّاء : «يريد والسلامة على مَن اتبع الهدى ، ولِمَن اتبع الهدى واحد . قال : ويدل على صحة هذا المعنى .

٤٨. قوله تعالى : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[١] » ؛ أي إنما يعذب الله – تعالى – مَن كذب بما جئنا به ، وأعرض عنه ، فأمَّا مَن اتبعه فإنه يسلم من العذاب .

وقيل : هذه أرجى آية[٢] في كتاب الله للمؤمنين ، وذلك أن الله أوحى إليهما أن العذاب على مَن كذب أنبياء الله وأعرض عن الإيمان[٣] . و﴿ ٱلْعَذَابَ ﴾ هاهنا اسم الجنس وظاهر هذا موجب أن مَن صدق وآمن لم يكن عليه شيء من العذاب .

٤٩. وقوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا ﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى فأتياه فقالا له ما أخبر الله في كتابه ، فقال لهما فرعون : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ دليل على أنهما أتياه فقالا له»[٤] . وفي قوله : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ وجهان ؛ أحدهما : أن المعنى فمَن ربك وربه يا موسى ؟ فغلب الخطاب ؛ لأن المخاطب كان موسى دون هارون . [الثاني : أن كليهما مخاطب ، ترك ذكر هارون][٥] اكتفاء بموسى ، ولموافقة رؤوس الآي[٦] . ويدل على أن المخاطب موسى دون هارون قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ﴾ ولم يقل : قالا ، ولو كان الخطاب لهما كان الجواب منهما .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٠ .
(٢) في (س) : (إنه) ، وهو تصحيف .
(٣) الكشف والبيان ٣/ ١٨ ب ، والقرطبي ١١/ ٢٠٤ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٧ .
(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٨ .
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .
(٦) الكشف والبيان ٣/ ١٨ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٤ .

٥٠. وقوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ فيه وجهان أحدهما: ما قاله مجاهد وهو أنه قال: «لم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم، ولا خلق البهائم كخلق الإنسان، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديراً»[(١)]. وأكثر أقوال المفسرين تعود على هذا. قال عطية، ومقاتل: «﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ يعني صورته»[(٢)]. فهذا كقول مجاهد؛ لأن المعنى خلق كل جنس من الحيوان على صورة أخرى.

وقال الحسن، وقتادة: «أعطى كل شيء صلاحه وما يصلحه»[(٣)]. والمعنى ما يصلحه من الخلق والصورة، فكل شيء أعطي من الصورة ما يصلح لما خلق له.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾. قالوا: هداه لما يصلحه من معيشته ومشربه ومنكحه إلى غير ذلك. وهذا القول اختيار أبي إسحاق وبيَّنه فقال: «معناه: خلق كل شيء على الهيئة التي بها ينتفع، والتي هي أصلح الخلق له، ثم هداه لمعيشته»[(٤)]. وقال عطاء عن ابن عباس: «يريد أتقن كل ما خلق»[(٥)]. والمعنى على هذا: أعطى كل شيء تمام خلقه.

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٧٢، والكشف والبيان ٣/ ١٨ ب، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٦، وزاد المسير ٥/ ٢٩١، والقرطبي ١١/ ٢٠٤، والدر المنثور ٤/ ٥٣٨.

(٢) الكشف والبيان ٣/ ١٨ ب، وزاد المسير ٥/ ٢٩١، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٥، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٧.

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ١/ ١٦، وجامع البيان ١٦/ ١٧٢، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٠، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٥، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٦.

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٨.

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة. انظر: جامع البيان ١٦/ ١٧٢، والمحرر الوجيز ١٠/ ٣٦، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٢.

[الوجه الثاني في تفسير هذه الآية قول الكلبي ، والسُّدِّي قالا : «أعطى الرجل المرأة ، والبعير الناقة ، والذكر الأنثى من جنسه»[١] . وعلى هذا المعنى أعطى كل شيء من جنس خلقه][٢] . وصرح السُّدِّي بهذا اللفظ قال : «أعطى الذكر الأنثى مثل خلقه ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ قال : إلى الجماع»[٣] .

وهو قول الكلبي[٤] . والمعنى : ألهم كيف يأتي الذكر الأنثى في النكاح . وهذا القول اختيار ابن قتيبة[٥] ، والفرَّاء . قال الفرَّاء : «أعطى الذكر من الناس امرأة مثله من صنفه ، والشاة شاة ، والثور بقرة ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ؛ ألهم الذكر المأتى»[٦] .

قال أبو إسحاق : «وهذا التفسير جائز ؛ لأنَّا نرى الذكر من الحيوان يأتي الأنثى ، ولم يُرَ ذكر قد أتى أنثى قبله ، فألهمه الله ذلك وهداه إلى المأتى . قال : والقول الأول ينتظم هذا المعنى ؛ لأنه إذا هداه لمصلحته فهذا داخل في المصلحة»[٧] .

وروي عن الضحاك قول آخر في ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ قال : «يعني اليد البطش ، والرجل المشي ، واللسان النطق ، والعين البصر ، والأذن السمع»[٨] . والمعنى على هذا : أعطى كل عضو من الأعضاء ما خلق له من النفع الذي فيه[٩] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٧٢ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٤ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٧٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٤ .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٠ .

(٥) تفسير غريب القرآن ٢٧٩ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨١ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٩ .

(٨) الكشف والبيان ٣/ ١٩ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٥ ، وأضواء البيان ٤/ ٤١٨ .

(٩) قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في أضواء البيان ٤/ ٤١٩ : «ولا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع الأقوال المذكورة ، لأنه لا شك أن الله أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا ، ثم هداهم إلى =

والخلق في هذا القول في معنى المخلوق ، والبطش والمشي والنظر ، وهذه المعاني كلها مخلوق لله تعالى ، أودعها الأعضاء وأعطاها . والاحتجاج على فرعون من هذا الجواب : أنه قد ثبت خلق وهداية لا خلاف ، ولا بد لهما من خالق وهادٍ ، ذلك الخالق والهادي هو الرب ، لا رب غيره ، فلمَّا دعاه إلى دين الله ، واتباع الهدى ، واحتج عليه بأن الرب هو الخالق الهادي .

٥١. قال له فرعون : ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ . قال ابن عباس : «يريد ما حال القرون التي مضت ؟»[(١)] . ومعنى البال هاهنا : الحال والشأن[(٢)] .

والمعنى : ما حالها ؟ فإنها لم تُقر بالله وبما تدعو إليه ، ولكنها عبدت الأوثان . ويعني بالقرون الأولى : الأمم المتقدمة مثل قوم نوح ، وعاد ، وثمود .

٥٢. فقال موسى : ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ . قال أبو إسحاق : «أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها»[(٣)] . وعلى هذا ، يكون التقدير : علم أعمالها عند ربي ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ ؛ قال الكلبي : «اللوح المحفوظ»[(٤)] . والمعنى : أن أعمالهم مكتوبة مثبتة . ومعنى هذا الجواب أنهم يجازون بما عملوا ،

= طريق الانتفاع به ، ولا شك أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له ، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه في المناكحة والألفة والاجتماع ، وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به ، فسبحانه جل وعلا» .

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٧٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩١ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٥ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (بال) ١/ ٢٦٣ ، والصحاح (بول) ٤/ ١٦٤٢ ، ولسان العرب (بول) ١/ ٣٨٩ ، والمفردات في غريب القرآن (بال) ٦٧ ، ومختار الصحاح (بول) ٢٨ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٩ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ١٩ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٧ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٤٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٥ .

وأنت تجازى بما تعمل ، كما قال في آية أخرى : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤] .

وقوله تعالى : ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ تأكيد وتحقيق للجزاء بالأعمال . قال : يريد لا يترك مَن كفر به حتى ينتقم منه ، ولا ينسى من وحده حتى يجازيه . وقال الكلبي : «لا يخطئ ربي ولا ينسى ما كان من أمرهم ، حتى يوافيهم بأعمالهم بالحسن حسناً وبالسيئ سيئاً»(١) .

قال الفرَّاء : «يقال أضللت الشيء : إذا ضاع منك مثل : الدابة وما أشبهها إذا انفلت منك ، وإذا أخطأت موضع الشيء الثابت مثل الدار والمكان ، قلت : ضللته ولا يقال أضللته»(٢) .

وقال أبو إسحاق : «ضَلَلْتُ الشيء أَضِلُّه إذا جعلته في مكان لم تدرِ أين هو ، وأَضْلَلْتُه أضعته»(٣) . وتقدير الآية : لا يضله ربي ولا ينساه ، يعني به الكتاب ، ويجوز لا يضلها ولا ينساها ، يعني بها القرون ، هذا كلامهما ، والمعنى على ما ذكر الفرَّاء : لا يخطئ ربي ، كما ذكره الكلبي . وعلى ما ذكر أبو إسحاق معنى يضل : ينسى . وقد قال مجاهد : «لا يضل ربي ولا ينسى هما شيء واحد»(٤) . وقال السُّدِّي : «لا يغفل ولا يترك شيئاً»(٥) . فجعل النسيان بمعنى الترك . وفي قول مجاهد النسيان معناه : ضد الذكر .

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٧٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٨ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨١ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٩ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٧٣ ، والكشف والبيان ٣/ ١٩ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٣٨ .

(٥) بحر العلوم ٢/ ٣٤٥ .

وقال أبو عمرو : «يقال أَضْلَلْتُ بعيري ، إذا كان معقولاً فلم يهتدِ لمكانه ، وأَضْلَلْتُه إضْلاَلاً ، إذا كان مطلقاً فذهب ولا يدري أين ذهب وأخذ ، وكل ما جاء من الضَّلال من قِبَلِك قلت : ضَلَلْتُه ، وما جاء من المفعول به قلت : أَضْلَلْته . قال : وأصل الضلال من الغيبوبة ، يقال : ضَلَّ الماء في اللبن إذا غاب ، وضَلَّ الكافر غاب عن الحجة ، وضَلَّ الناسي إذا غاب عن حفظه»[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ؛ أي لا يغيب عن شيء ، ولا يغيب عنه شيء .

وقال ابن الأنباري : «مذهب مقاتل في هذه الآية : أن عدو الله فرعون كان قد قال له مؤمن آل فرعون : ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ﴾ [غافر :٣٠، ٣١] . وكان هذا في قلب فرعون يحب أن يعلم حالاتهم ، فلمَّا أورد موسى عليه الآية الباهرة التي عجز عن معارضتها أحب أن يعلم من جهته أخبارهم ، ولم يكن عند موسى في ذلك الوقت علم بأخبارهم ؛ لأنه عرف أخبار القرون من التوراة ، ولم تنزل التوراة على موسى إلَّا بعد هلكة فرعون وغرقه»[(٢)] . فلذلك قال موسى : ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖ﴾ ؛ يعني اللوح المحفوظ ، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ . قال وذهب الأولون إلى أن المعنى في : ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ لا يضل الكتاب من ربي . قال وهذا باطل ؛ لأن الخافض لا يحتمل له سقوط في مثل هذا المكان ، لا يجوز أن تقول : سقط الدرهم كمك . وأنت تريد من كمك ، كذلك هاهنا لا يجوز[(٣)] .

---

(١) تهذيب اللغة (ضل) ٣/ ٢١٢٩ ، ولسان العرب (ضلل) ٥/ ٢٦٠٢ .

(٢) تفسير مقاتل ٣ أ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩٢ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٥٣٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٨ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٨ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١٢٢ .

٥٣. قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ وقُرئ : ﴿مَهْدًا﴾[١] . قال أبو علي : «المهد مصدر كالفرش ، والمهاد مثل الفِراش والبِساط ، وهما اسم ما يفرش ويبسط ، ويجوز أن يكون المهد استعمل استعمال الأسماء فجمع كما يجمع فَعْل على فِعَال والأول أبين . قال : ويجوز أن يكون المعنى في قوله : ﴿مَهْدًا﴾ ذات مهد ، فيكون في المعنى كقول من قال : مهاداً»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ . السلك : إدخال الشيء في الشيء يسلكه فيه ، قال الله تعالى : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر :٤٢] ، والطاعن يسلك الرمح في المطعون[٣] . أدخل في الأرض لأجلكم طرقاً تسلكونها ، كما قال ابن عباس : «سهل لكم فيها طرقاً»[٤] .

ولَمَّا كانت الطرق المسلوكة ممتدة على الأرض ظاهرة عليها جعلت كأنها مسلوكة فيها ، وإن كانت من الأرض تشبيهاً بالشيء الذي يسلك في الشيء . ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ؛ يعني المطر ، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ . قال صاحب النظم : «تم الإخبار والحكاية عن موسى عند قوله : ﴿مَآءً﴾ ثم أخبر الله – تعالى – عن نفسه متصلاً بالكلام الأول بقوله : ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ يدل على هذا قوله : ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ [طه :٥٤] ، قال : وقد قيل : إن معناه مضاف إلى موسى على تأويل : الذي أنزل من

---

(١) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وابن عامر (مهاداً) بالألف ، وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿مَهْدًا﴾ بغير ألف .
انظر : السبعة ٤١٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٣ ، والتبصرة ٢٥٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٨ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (سلك) ٢/ ١٧٣ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٩٧ ، والقاموس المحيط ٩٤٣ ، والصحاح ٤/ ١٥٩١ ، ولسان العرب ٤/ ٢٠٧٣ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٧٨ ، وذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١٧٤ من دون نسبة .

السماء ماء فأخرجنا نحن معاشر عباده ﴿بِهِۦ﴾ ؛ بذلك الماءِ ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ على الحراثة ؛ أي إنما حرثناه بذلك الماء ، ولولا ذلك الماء ما نبت كما قال سبحانه : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة :٦٣] ، فأضاف الحراثة إليهم»[(١)] .

وقوله : ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أصنافاً من النبات مختلفة»[(٢)] . وقال الكلبي : «﴿شَتَّىٰ﴾ مختلفاً ألوانه أبيض وأحمر وأخضر وأصفر كل لون منها زوج»[(٣)] .

وقال الفرَّاء : «﴿شَتَّىٰ﴾ ؛ مختلف الألوان والطعوم»[(٤)] . والزوج : اللون ، والأزواج : الألوان ، قال الأعشى[(٥)] :

وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدَّيْبَاجِ يَلْبَسُهُ أَبُو قُدَامَةَ مَحْبُوّاً بِذَاكَ مَعا

وتقدم الكلام في معاني الزوج[(٦)] .

وقوله تعالى : ﴿شَتَّىٰ﴾ معناه : مختلف متفرق ، ولا واحد له من لفظه ، مثل : فوضى ، يقال : شتَّ الشيء ، إذا تفرق ، يَشِتُّه شَتّاً وشَتَاتاً وشَتَّتَه إذا فرَّقه ، وأَشَتَّه وشَتَّتَه ويقال : وقعوا في أمرٍ شَت وشتَّى[(٧)] . و﴿شَتَّىٰ﴾ في هذه الآية نعت

---

(١) لم أقف على قول صاحب النظم ، وذكر نحوه المحرر الوجيز ١٠/ ٤٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٩ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٦٨ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٠٦ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٧٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥٣٩ .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٥/ ٢٧٨ من دون نسبة .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨١ .

(٥) البيت للأعشى . الديباج : ضرب من الثياب . والحبوة : الثوب الذي يحتبى به . انظر : ديوانه ١٠٨ ، وتهذيب اللغة (زاج) ٢/ ١٤٩٧ ، ولسان العرب (زوج) ٣/ ١٨٨٦ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد :٣] .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (شت) ٢/ ١٨٢٥ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١٧٧ ، والقاموس المحيط ١٥٤ ، والصحاح ١/ ٢٥٤ ، ولسان العرب ٤/ ٢١٩٢ ، والمفردات في غريب القرآن ٢٥٥ .

للأزواج ؛ لأن المراد ألوان مختلفة ، ويجوز أن يكون من نبات[١] . قال الأخفش : «كل ذلك مستقيم»[٢] .

ذكر ابن الأنباري القولين فقال : «النبات يقع على جمع لا ينفرد واحده ، وكذلك ﴿شَتَّىٰ﴾»[٣] . وذهب بها مذهب : عطشى ، وكسلى ، وإن قدر واحد النبات نباتة ، وواحد شَتَّى شَتيت صح ووضح التشاكل ، وإن حمل ﴿شَتَّىٰ﴾ على أزواج ، وقدَّر أزواجاً شَتَّى من نبات فهو معنى صحيح .

٥٤. قوله تعالى : ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ ؛ أي مما أخرجنا بالمطر من النبات ، ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ . يقال : رعت الماشية الكلأ رعياً ، ورعاها صاحبها رعايةً ، إذا أسامها وسرحها وأراحها[٤] .

والمعنى : أسيموا مواشيكم في ما أنبتناه بالمطر ، وهذا أمر إباحة[٥] معناه التذكير بالنعمة ، قال ابن عباس : «هذا كقوله : ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ إلى قوله ﴿مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ﴾ [عبس :٢٧-٣٢]»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ معنى ما ذكر من الدلالة على توحيده ﴿لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ . قال اللحياني : «النَّهْيَة : العقل ، والنُّهَى جمع نُهْيَة ، ورجل نَهٍ ونَهِي

(١) الكشاف ٢/ ٥٤٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٥١ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١٢٢ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣١ .

(٣) ورد بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٥٤٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩٢ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٦٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٥١ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (رعى) ١٤٣٠ ، والقاموس المحيط (الرعي) ١٢٨٩ ، والصحاح (رعى) ٦/ ٢٣٥٨ ، ولسان العرب (رعى) ٣/ ١٦٧٦ ، والمفردات في غريب القرآن (رعى) ١٩٨ .

(٥) في (ص) : (افاته) ، وهو تصحيف .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشاف ٢/ ٥٤٠ ، والفتوحات الإلهية ٣/ ٩٦ ، وأضواء البيان ٤/ ٤٢٣ .

من قوم نَهِين وأَنْهياء ، ولقد نَهُوَ ما شاء ، كل ذلك من العقل . وسمي العقل نَهْيَة ؛ لأنه يُنْتَهَى إلى ما أَمَر به ، لا يُجَاوز أَمْرَه»[١] .

وقال أبو إسحاق : «يقال : فلان ذُو نُهْيةٍ ، ومعناه ذُو عَقل يَنْتَهي به عن المقابح ويدخل به في المحاسن ، قال : وقال أهل اللغة : ذُو النُّهْيةِ الذي يُنْتَهَى إلى رأيه وعقله ، قال : وهذا أحسن أيضاً»[٢] .

وهذا معنى قول اللحياني في اشتقاق النهية .

وقال أبو علي : «لا يخلو النُّهَى من أن يكون مصدراً كالهدى ، أو جمعاً كالظلم . وقوله تعالى : ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ يقوي أنه جمع لإضافة الجمع إليه ، وإن كان المصدر يجوز أن يكون مفرداً في موضع الجمع ؛ لأنه لا يثنى ولا يجمع ، والنُّهى معناه في اللغة : الثبات والحبس ، ومنه النهى والتنهية للمكان الذي ينتهي إليه الماء فيستنقع فيه لشغله ولمنعه بارتفاع ما حوله من أن يسيح فيذهب على وجه الأرض»[٣] ، هذا كلامه . وقد رجع القولان في اشتقاق النُّهية إلى قول واحد ، وهو الحبس ، والنُّهية هي التي تنهي وتحبس عن المقابح[٤] .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «﴿لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ يريد العبرة لذوي العقول»[٥] . يريد للذين يتناهون بعقولهم عن معاصي الله . ونحو هذا قال الضحاك[٦] .

---

(١) تهذيب اللغة (نهى) ٤/ ٣٦٨٠ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٥٩ .

(٣) لم أهتدِ إليه .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (نهى) ٤/ ٣٦٨٠ ، والقاموس المحيط (نهاه) ١٣٤١ ، والصحاح (نهى) ٦/ ٢٥١٧ ، ولسان العرب (نهى) ٨/ ٤٥٦٤ ، والمفردات في غريب القرآن (نهى) ٥٠٧ .

(٥) الدر المنثور ٤/ ٥٣٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٠٧ ، وذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١٧٥ من دون نسبة .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ١٩/ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٨ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٠٧ .

وقال في رواية الوالبي : «لذوي التقى»[١] .

وقال قتادة : «لذوي الورع»[٢] . وهذا معنى وليس بتفسير ، وذلك أن ذا العقل يكون ورعاً تقياً ، ليس أن النهي تكون بمعنى الورع والتقى . وقال أهل المعاني : «إنما اختص أولو النهى ؛ لأنهم أهل الفكر والاعتبار والتدبر والاتعاظ»[٣] .

٥٥. قوله تعالى : ﴿مِنْهَا﴾ ؛ أي من الأرض ، وجرى ذكرها عند قوله : ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [طه :٥٣] ، ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني خلق آدم من الأرض والبشر كلهم منه[٤] .

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ ؛ أي بعد الموت ، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ يريد عند البعث ، يعني كما أخرجكم أولاً عند خلق آدم من الأرض . قال الزجَّاج : «لأن إخراجهم وهم تراب بمنزلة خلق آدم من تراب ، فكأنه قال والله أعلم : ومنها نخلقكم تارة أخرى»[٥] . ومضى الكلام في تارة عند قوله : ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء :٦٩] .

٥٦. وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ ؛ يعني فرعون ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ ؛ يعني الآيات التسع ومضى تفصيلها[٦] . ﴿فَكَذَّبَ﴾ نسب جميع ذلك إلى الكذب ،

---

(١) الكشف والبيان ٣/ ١٩ أ ، والدر المنثور ٤/ ٥٣٩ .

(٢) الكشف والبيان ٣/ ١٩ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٨ ، والدر المنثور ٤/ ٥٣٩ .

(٣) ذكره الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ١٨١ ، والزجَّاج في معاني القرآن ٣/ ٣٥٩ .

(٤) يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران :٥٩] .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٠ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء :١٠١] .

أو نسب موسى إلى الكذب ، ﴿وَأَبَىٰ﴾ ؛ وامتنع أن يقبل التوحيد ، ونسب موسى إلى السحر .

٥٧. وهو قوله تعالى : ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ : يعني مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ تريد أن تغلب على ديارنا بسحرك ، فتمتلكها وتخرجنا منها .

٥٨. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ ؛ فلنقابلن ما جئتنا به من السحر بسحر مثله ، ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ . الموعد في اللغة يجوز أن يكون اسماً للوعد فيكون مصدراً ، ويجوز أن يكون اسماً لمكان الوعد[1] . كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ [الحجر :٤٣] . فالموعد هاهنا ينبغي أن يكون مكاناً ؛ لأن جهنم مكان ، ويجوز أن يكون الموعد اسماً لزمان الوعد ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [هود :٨١] ، والذي في هذه الآية هو المصدر : اجعل بيننا وبينك وعداً ، ويدل على هذا قوله : ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ ؛ أي لا نخلف ذلك الوعد ، والإخلاف : أن يعد العدة فلا ينجزها .

وقوله تعالى : ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ ينتصب على الظرف للوعد[2] ، وعند البصريين لا يجوز أن يكون ظرفاً للوعد الظاهر في الآية ويتعلق به ؛ لأنه قد وصف بالجملة التي هي ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ ، وإذا وصف لم يجز أن يتعلق به بعد الوصف له شيء منه ؛ لأنه لا يوصف الاسم قبل تمامه ، وكذلك لا يعطف عليه ولا يؤكد ولا يخبر عنه ، والوصف والعطف والتوكيد والخبر كل هذا يؤذن بتمام الاسم ، فلا يجوز أن يتعلق بالاسم بعد هذه الأشياء شيء ، مثال ذلك أنك لا تقول : هذا

(١) انظر : تهذيب اللغة (وعد) ٤/ ٣٩١٥ ، والقاموس المحيط (وعده) ١/ ٣٢٦ ، والصحاح (وعد) ٢/ ٥٥١ ، ولسان العرب (وعد) ٨/ ٤٨٧١ ، والمفردات في غريب القرآن (وعد) ٥٢٦ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٤ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١٢٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٢ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٥٣ .

ضارب ظريف زيداً على أن ينصب (زيداً) بضارب ؛ لأنك وصفت الضارب فلا يتعلق به بعد الوصف شيء ، وكذلك لا يجوز المعطي عمراً زيداً ، على أن ينصب (زيداً) بالمعطي ؛ لأنك قد أخبرت عنه ، ولا يجوز مررت بالضارب وعمرو زيداً ، ولا مررت بالضارب نفسه زيداً ؛ لأنك لا تؤكد ولا تعطف على الاسم وقد نفيت منه بقيه ، وكذلك البدل لا يجوز أن يبدل من الاسم قبل تمامه كقولك : مررت بالضارب أخيك زيداً ، على أن تبدل الأخ من الضارب ، وقد جاء في الشعر شيء من هذا كقول بشر بن أبي خازم[1] :

إِذَا فَاقِدٌ خَطْبَاءَ فَرْخَينِ رَجَّعَتْ ذَكَرتُ سُلَيمَى فِي الخَلِيطِ المُبَاينِ

أعمل (فاقد) بعد وصفه بخطباء ، وهذا الذي جاء منه في الشعر يحمل النحويون مثله على إضمار فعل آخر مثل الذي ظهر ، كأنه قال بعد قوله خطباء : فقدت فرخين ، ودل عليه فاقد ، كذلك قوله تعالى : ﴿مَكَانًا﴾ لا يجوز على ما ذكرنا أن يتعلق بموعد ، ولكنه يتعلق بمحذوف يدل عليه الظاهر ، كأنه قيل : عِدنا مكاناً سوى ، ويجوز أن يتعلق بالموعد المذكور في الآية ؛ لأنه ظرف والظرف[2] يتجوز فيه ما لا يتجوز في غيره ، ألا ترى أن الظروف تقع مواقع لا يقعها غيرها[3] ؟

ومما جاء مثل هذا في التنزيل قوله تعالى : ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر :١٠] ، فالظرف الذي هو (إذ) يتعلق بالمقت الأول ؛ لأن المعنى : لمقت الله إياكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم الآن ، فقوله : ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ يتعلق بالمقت الأول ،

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٥ ، والمقرب لابن عصفور ١/ ١٢٤ ، والمقاصد النحوية ٣/ ٥٦٠ ، وشرح شاهد الألفية للعيني ٣/ ٥٦٠ ، ولسان العرب (فقد) ٦/ ٣٤٤٤ ، ومجمع البيان ٧/ ٢٥ .

(٢) في (ص) : (والمظروف) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٦ .

وقد وقع بعد الاختلاف عنه بقوله أكبر من مقتكم الآن ، وهذا يحمل على أحد الوجهين اللذينِ ذكرناهما من تقدير الحذف ، كأنه قيل : مقتكم إذ تدعون ، أو على أنه ظرف يتجوز فيه .

قال أبو علي الفارسي : «ولم نعلم في التنزيل مجيء[١] شيء من هذا إلَّا في الظرف»[٢] . ويجوز أن يكون الموعد في هذه الآية اسماً لزمان الوعد ، كقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف :٥٩] ، فيكون مجيء الموعد اسماً للزمان ، كقولهم : كان هذا مقدم الحاج ، ومبعث الجيوش ، ومضرب الشُّوْل[٣] ؛ أي وقت قدومهم ، ووقت بعثهم ، ووقت ضربها ، وأنشد أبو الحسن[٤] :

كُلَّمَا قُلْتُ : غَداً مَوعِدنَا غَضِبَتْ هِنْدٌ وَقَالَتْ : بَعْدَ غَدْ

والموعد في هذا البيت اسم للزمان ، والكلام في انتصاب (مكاناً) على هذا الوجه يكون كما ذكرنا في الوجه الأول في موعد ؛ لأن التقدير : اجعل بيننا وبينك وقت وعد ، أو زمان وعد لا نخلفه نحن ولا أنت في مكان سوى . والذي يختاره أبو علي في وجه نصب ﴿مَكَانًا﴾ : «أن يكون مفعولاً ثانياً لجعلت بمنزلة قوله : ﴿جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر :٩١] ، وقوله : ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف :١٩] ، في أنه انتصب على أنه مفعول ثانٍ لجعلت»[٥] . وعلى

---

(١) في نسخة (س) : (جيء) .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٦ .

(٣) الشُّوْل من النوق : التي قد أتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها ، فلم يبقَ في ضروعها إلاَّ شَول من اللبن ؛ أي بقية . وأمَّا الناقة الشائل بغير هاء : فهي التي ضربها الفحل فشالت بذنبها ؛ أي رفعته تري الفحل أنها لاقح ، وذلك آية لقاحها . انظر : تهذيب اللغة (شال) ٢/ ١٨١١ ، ومقاييس اللغة (شول) ٣/ ٢٣٠ ، والقاموس المحيط (شالت) : (١٠٢١) ، والصحاح (شول) ٥/ ١٧٤٢ ، ولسان العرب (شول) ٤/ ٢٣٦٣ .

(٤) البيت لعمر بن أبي ربيعة . انظر : ديوانه ٣٢٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٨ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٨ .

هذا يجب أن يكون الموعد اسماً للمكان ، ويجوز أن يكون بدلاً منه . وأمَّا معنى (سوى) قال الزجَّاج : «﴿مَكَانًا سُوًى﴾ ويقرأ : سُوَى بالضم[١] . ومعناه : مَنْصَفاً ؛ أي مكاناً يكون النَّصفَ في ما بيننا وبينك ، وقد جاء في اللغة سواء ممدود مفتوح بهذا المعنى تقول : هذا مكان سواء ؛ أي متوسط بين المكانين»[٢] .

وقال أبو عبيدة : «مكان سُوى وسِوى ، بضم أوله وبكسر ، مثل : طُوى وطِوى وهو المكان المنصف في ما بين القريتين»[٣] ، وأنشد لموسى بن جابر الحنفي[٤] :

وإِنَّ أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ سِوى بين قَيْسٍ عَيْلانَ والفِزْرِ

فسِوى مثل : بِلى ، وقِرى ، ومِعى ، وريى ، وقِمع ، وضِلع ، وقِطع . وسُوى بالضم مثل : ضُحى وسُدى وهُدى ، ومثل : صُرَد وحُطَم ونحو ذلك . وقال أبو علي : «سِوى فِعَلْ من التسوية ، فكأن المعنى : يستوي مسافته على الفريقين فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر ، وهذا ما يقل في الصفات ، ومثله :

---

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، والكسائي (مكاناً سِوىً) بكسر السين ، وقرأ ابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ بضم السين . انظر : السبعة ٤١٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٣ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٨ ، والتبصرة ٢٥٩ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٠ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٠ .

(٤) البيت لموسى بن جابر الحنفي . انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٠ ، وجامع البيان ١٦/ ١٣٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٨ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٤٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٤ ، والخزانة ١/ ١٤٦ ، والأغاني ١٠/ ١٠٧ ، ولسان العرب (سوى) ٤/ ٢١٦٣ .

قوم عِدىً ، [وأمَّا فُعَلْ فهو في الصفات أكثر من فِعَل نحو : دَليلٍ خُنَعٍ][(١)] ، ومَالٍ لُبَدٍ ، ورَجلٍ حُطَمٍ»[(٢)] . هذا كلام أهل اللغة في هذا الحرف[(٣)] .

فأمَّا قول المفسرين فقال قتادة : «نصفاً»[(٤)] .

وقال مقاتل : «عدلاً بيننا وبينك»[(٥)] . ونحوه قول السُّدِّي[(٦)] .

وقال مجاهد : «منصفاً بيننا وبينك»[(٧)] .

وقال ابن مسلم : «وسطاً بين القريتين»[(٨)] . وهذه الأقوال بمعنى واحد .

وقال ابن زيد : «مكاناً مستوياً يتبين الناس ما بيننا فيه»[(٩)] . وعلى هذا ، التسوية من صفة المكان ، لا من صفة المسافة إليه ، كأنه قيل : مكاناً لا يحجز

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٤ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨١ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٤ ، وتهذيب اللغة (سوى) ٢/ ١٧٩٥ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٩ .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٦ ، وجامع البيان ١٦/ ١٧٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٠ .

(٥) الكشف والبيان ٣/ ١٩ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٩ ، وتفسير مقاتل ٣ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٧٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٣٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٨ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٠ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ١٧٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٢ .

(٨) الكشف والبيان ٣/ ١٩ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٥ .

(٩) جامع البيان ١٦/ ١٧٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٠ .

الناظـر إليه من[١] انخفاض وارتفاع . وقيل ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ أي تستوي حالنا في الرضا به[٢] .

وقال الكلبي : «﴿سُوًى﴾ يعني سوى هذا المكان»[٣] . يعني الذي كان فرعون فيه وقت خطابه موسى . و﴿سُوًى﴾ على هذا القول يكون بمعنى : غير ، ويحتاج إلى تقدير محذوف .

وقال عطاء عن ابن عباس : «﴿مَكَانًا سُوًى﴾ يريد موضعاً معروفاً»[٤] . وهذا القول يشبه معنى قول ابن زيد . والقول ما عليه الجمهور . ومعنى الآية : اجعل بيننا وبينك موعداً لنجيء بسحر مثل الذي جئت به ، فننظر أينا يغلب صاحبه .

٥٩. قوله تعالى : ﴿قَالَ﴾ ؛ أي موسى : ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [إن جعلت الموعد اسماً لزمان الوعد رفعت اليوم على خبر الابتداء ، من حيث كان الثاني هو الأول كما ذكرنا في البيت الذي أنشده أبو الحسن][٥] ، وإن جعلت الموعد بمعنى الوعد ، فقال أبو إسحاق : «المعنى وقت موعدكم يوم الزينة»[٦] .

وقال أبو علي : «اليوم ظرف أشبه فيه ، فجعله الأول لما كان فيه ، وأخرج من أن يكون ظرفاً ويدل على هذا قوله : ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ ألا ترى أن قوله :

---

(١) في (س) : (شيء من الخفاء) .

(٢) التفسير الكبير ٢٢/ ٧٢ ، وروح المعاني ١٦/ ٢١٧ .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ١٩ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٩ ، والقرطبي ١١/ ٢١٢ .

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : ابن كثير ٣/ ١٧٣ ، والفتوحات الإلهية ٣/ ٩٧ ، وروح المعاني ١٦/ ٢١٧ .

(٥) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س) .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٠ .

﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ ليس من الظروف في شيء ، فلولا أن اليوم في قوله : ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ قد خرج من أن يكون ظرفاً لم يعطف عليه ما لا يكون ظرفاً»[١] .

ومن قرأ : (يومَ الزينة) بالنصب[٢] ، فقال أبو إسحاق : «يوم منصوب على الظرف ، المعنى : يقع يوم الزينة»[٣] .

قال أبو علي : «وعلى هذه القراءة ، يضمر قوله : ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ ما يكون مبنياً عليه ، كأنه قيل : موعدكم يقع يوم الزينة ، وموعدكم أن يحشر الناس ضحى . وإن عطفت ﴿وَأَن يُحْشَرَ﴾ على الزينة لم يحتج إلى إضمار ، ويكون المعنى : موعدكم يوم الزينة ويوم حشر الناس»[٤] .

واختلفوا في ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ ، فقال الأكثرون : «كان ذلك يوم عيد لهم يتزينون فيه» هذا قول مجاهد ، وقتادة ، ومقاتل ، وابن جريج ، والسُّدِّي ، وابن زيد ، ومحمد بن إسحاق ، والكلبي[٥] .

قال الكلبي : «ويقال : يوم سوق كانت تكون لهم يتزينون فيها»[٦] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٧ .

(٢) قرأ الحسن ، والمطوعي (يومَ الزينة) بنصب يوم . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٧ ، والقراءات الشاذة للقاضي ٦٧ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٠ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٧ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٦ ، وجامع البيان ١٦/ ١٧٧ ، والكشف والبيان ٣/ ١٩ ب ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٠ ، وتفسير مقاتل ٣ ب .

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره ١١/ ٢١٣ ، ونسبه إلى سعيد بن المسيب ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٧٤ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥٤٠ ، ونسباه إلى سعيد بن جبير .

وقال سعيد بن جبير : «كان ذلك يوم عاشوراء»[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ ؛ يعني ضحى ذلك اليوم ، ويريد بالناس : أهل مصر .

قال الكلبي : «يقول : يحشرون إلى العيد ضحى فينظرون إلى أمري وأمرك»[٢] .

وقال الفرَّاء : «يقول : إذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية ضحى فذلك الموعد»[٣] . ولم يرد أن الناس يحشرون ليجتمعوا لأمر موسى ، ولكن جرت عادتهم بحشر الناس[٤] في ذلك اليوم لعيد كان لهم ، أو سوق على ما ذكر في التفسير[٥] . فواعده موسى ذلك اليوم ذلك الوقت . قال الفرَّاء : «وموضع ﴿أَن﴾ رفع يرد على اليوم ، وخفض يرد على الزينة ، ويكون التقدير : يوم الزينة والحشر»[٦] . ونحو هذا قال أبو إسحاق : «موضع ﴿أَن﴾ رفع ، المعنى : موعدكم حشر الناس ضحى ، وتأويله : إذا رأيتم الناس قد حشروا ضحى . قال : ويجوز

---

(١) الكشف والبيان ٣/ ١٩ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٣ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٧٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٣ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٢ .

(٤) في (ص) : (النا) ، وهو تصحيف .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٦ ، وجامع البيان ١٦/ ١٧٧ ، والكشف والبيان ٣/ ١٩ ب ، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٧٩ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٠ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٢ .

أن يكون في موضع خفض عطفاً على الزينة ، المعنى : موعدكم يوم الزينة ويوم حشر الناس ضحى»[١] .

قال الليث : «الضحو ارتفاع النهار ، والضحى فوق ذلك»[٢] .

وقال أبو الهيثم : «الضُّحَى على فُعَل : حين تطلع الشمس فيصفو ضوؤها ، والضَّحَاء بالفتح والمد : إذا ارتفع النهار»[٣] .

٦٠. قوله تعالى : ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ يجوز أن يكون المعنى : تولى فرعون ذلك الأمر ؛ أي تولاه بنفسه[٤] . ويجوز أن يكون المعنى : فرجع إلى أهله وانقلب لاستعداد مكائده ، وهو قول الكلبي[٥] .

وقال مقاتل بن سليمان : «﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ ؛ أعرض عن الحق ، وعما يلزمه من الطاعة»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ ؛ أي مكره وحيلة ، وذلك جمعه سحرته ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ ؛ أي حضر الموعد .

٦١. ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ ؛ أي للسحرة الذين جمعهم فرعون ليغلبوا موسى ، وهم المعنيون بقوله : ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ ﴿وَيْلَكُمْ﴾ قال أبو إسحاق : «منصوب على ألزمهم الله ويلاً . قال : ويجوز أن يكون

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٠ .
(٢) تهذيب اللغة (ضحا) ٣/ ٢٠٩٤ .
(٣) تهذيب اللغة (ضحا) ٣/ ٢٠٩٤ .
(٤) روح المعاني ١٦/ ٢٢٠ .
(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : زاد المسير ٥/ ٢٩٥ ، وابن كثير ٣/ ١٧٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٤ .
(٦) تفسير مقاتل ٣ ب ، وزاد المسير ٥/ ٥٩٥ .

منصوباً على النداء ، كما قال : ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا﴾ [يس :٥٢]»[١] .
﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس : «لا تشركوا مع الله أحداً»[٢] .

وقال آخرون : «لا تقولوا اليد والعصا ليستا آيتين من قبل الله فإنكم عند هذا القول تكذبون على الله»[٣] . ﴿فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖ﴾ . ويقرأ : ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾ بضم الياء[٤] .

يقال : سَحَته وأَسْحته إذا استأصله وأهلكه[٥] ، قاله أبو عبيدة ، والأخفش ، والفرَّاء ، والزجَّاج ، وجميع أهل اللغة[٦] ، وأنشدوا للفرزدق[٧] :

وعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لم يَدَعْ مِـنَ المَـالِ إِلَّا مُسْـحَتاً أو مُجَلَّفُ

قال ابن عباس في رواية الوالبي : «﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾ : فيهلككم»[٨] . وهو قول مجاهد ، ومقاتل ، والكلبي[٩] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٠ .
(٢) زاد المسير ٥/ ٢٠٦ .
(٣) تفسير مقاتل ٣ ب .
(٤) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وأبو عمرو ، وابن عمر (فَيَسْحِتَكُمْ) بفتح الياء ، وقرأ عاصم في رواية حفص ، وحمزة ، والكسائي ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾ بضم الياء . انظر : السبعة ٤١٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٨ ، والنشر ٢/ ٢٢٠ .
(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٢ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦١ ، والمفردات في غريب القرآن (سحت) ٢٣٥ ، ولسان العرب (سحت) ٤/ ١٩٤٩ .
(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢١ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٢ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦١ .
(٧) البيت للفرزدق من قصيدة يهجو فيها جريراً ، ويفخر بمآثر قومه . السُّحت : ما خبث من المكاسب وحرم ، وأَسْحَت الرجل : استأصل ما عنده . مُجْلِف : الذي أتى عليه الدهر فأذهب ماله . انظر : ديوانه ٣٨٦ ، وجامع البيان ١٦/ ١٧٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٩ ، وشرح المفضليات ٣٩٦ ، والخزانة ٢/ ٣٤٧ ، ولسان العرب (جلف) ٢/ ٦٦٠ .
(٨) جامع البيان ١٦/ ١٧٨ .
(٩) الكشف والبيان ٣/ ١٩ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٠ ، وتفسير مقاتل ٣ ب .

وقال قتادة ، وأبان بن تغلب[١] : «فيستأصلكم»[٢] . وقال في رواية عطاء : «فيجهدكم بعذاب»[٣] .

قال الليث : «يقال : سحتناهم ؛ بلغنا مجهودهم في المشقة عليهم . قال : وأسحتناهم لغة»[٤] .

قال أهل المعاني : «السَّحت في اللغة معناه : استقصى الحلق ، يقال : سَحَت الشَّعر إذا استقصى حَلقه ، وسَحَت الحالق إذا استأصل ، وأَسْحَت الخاتن في ختان الصبي إذا استأصله»[٥] . والمعنى : أن العذاب إذا أتى من قبل الله أخذهم عن آخرهم .

وقوله تعالى : ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ ؛ قال ابن عباس : «خيب[٦] مَن ادَّعى مع الله إلهاً آخرَ»[٧] . وقال قتادة : «خسر مَن كذب على الله ونسب إليه باطلاً»[٨] .

---

(١) أبان بن تغلب الربيعي ، أبو سعد الكوفي ، روى عن أبي إسحق السبيعي ، والحكم بن عتيبة ، وفضيل بن عمر ، وروى عنه موسى بن عقبة ، وشعبة ، وحماد بن زيد ، وابن عيينة وغيرهم ، وثقه أهل العلم ، وهو من أهل الصدق في الروايات ، ومن النساك الثقات ، عُرف بالفصاحة والبيان . انظر : الجرح والتعديل ٢/ ٢٩٦ ، والكاشف ١/ ٧٤ ، وميزان الاعتدال ١/ ٥ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٨١ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٧ ، وجامع البيان ١٦/ ١٧٨ ، والكشف والبيان ٣/ ١٩ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٠ .

(٣) ذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ١٩ ب ، وابن عطية في المحرر الوجيز ١٠/ ٤٦ .

(٤) تهذيب اللغة (سحت) ٢/ ١٦٣٧ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (سحت) ٢/ ١٦٣٧ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١٤٣ ، والقاموس المحيط ١/ ١٥٣ ، والصحاح ١/ ٢٥٢ ، ولسان العرب ٤/ ١٩٤٩ .

(٦) في (ص) : (خسر) .

(٧) المحرر الوجيز ١٠/ ٤٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٣ .

(٨) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٣ ، ومجمع البيان ٧/ ٣٠ ، وفتح القدير ٣/ ٥٣٣ .

٦٢. قوله تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾. قال ابن عباس: «يريد فتشاوروا بينهم»[١].

وقال آخرون: «تناظروا في ما بينهم»[٢]. يعني السحرة، والتشاور في الأمر كالتناظر فيه، وذلك أن السحرة تنازعوا في ما أمرهم به فرعون من معارضة موسى، وتشاوروا بينهم سراً من فرعون وقومه، وذلك قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾. قال قتادة: «قالوا: إن كان ساحراً فإنا سنغلبه، وإن كان من السماء كما يزعم فله أمر»[٣].

وقال محمد بن كعب: «قال بعضهم لبعض: لو كان هذا سحراً لعرفناه، كما أن الكاتب إذا كتب عرف الذي يعرف الكتاب بما كتب»[٤].

وقال الكلبي: «تكلم السحرة في ما بينهم سراً من فرعون فقالوا: إن غلبنا موسى اتبعناه»[٥]. وهذا القول اختيار الفرَّاء، والزجَّاج[٦].

وقال محمد بن إسحاق: «لمَّا قال موسى: ﴿وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ الآية، تراد السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول[٧] ساحر، ثم

---

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة. انظر: معالم التنزيل ٩/ ٢٨٠، وزاد المسير ٥/ ٢٩٦، والجامع لأحكام القرآن: القرآن ١١/ ٢١٥، والتفسير الكبير ٢٢/ ٧٣، وروح المعاني ١٦/ ٢٢٠.

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٨٠، والتفسير الكبير ٢٢/ ٧٣، وروح المعاني ١٦/ ٢٢٠.

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٧٨، والنكت والعيون ٣/ ٤١٠، وزاد المسير ٥/ ٢٠٧، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٥.

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة. انظر: معالم التنزيل ٥/ ٢٨٠، ومجمع البيان ٧/ ٣٠، وروح المعاني ١٦/ ٢٢١، وفتح القدير ٣/ ٥٣٣.

(٥) النكت والعيون ٣/ ٤١٠، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٠، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٥.

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٣، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦١.

(٧) في (ص): (يقال).

قالوا وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون : ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾)[١] . [وهو قول السُّدِّي في : ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ قال : «أسروا دون موسى .

٦٣. بقولهم : ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾»][٢][٣] .

[وعلى قول السُّدِّي ، وابن يسار نجواهم : ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾][٤] إلى قوله : ﴿مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ . وعلى قول الآخرين نجواهم ما ذكروا .

وقال أبو علي الفارسي : «التنازع إنما هو في أمر موسى وهارون ، هل هما ساحران ؟ على ما ظنوه من أمرهما . وقد تقدم من قولهم ما نسبوهما فيه إلى السحر وهو قولهم : ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه :٥٧]»[٥] .

قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ﴾ ؛ أي السحرة قال بعضهم لبعض : ﴿إِنْ هَٰذَانِ﴾ يعنون موسى وهارون ﴿لَسَٰحِرَانِ﴾ .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٧٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٢١ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٧٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٥ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٠ .

واختلفوا في وجــه ارتفاع ﴿هَٰذَٰنِ﴾ بعد قوله : ﴿إِنْ﴾ بعد اجتماعهم على أن هذا لغة حارثية ، وذلك أن الحارث بن كعب[١] ، وخثعماً[٢] ، وزبيداً[٣] ، وقبائل مــن اليمن يجعلون ألــف الاثنين في الرفع والنصب والخفــض على لفظ واحد ، يقولون : أتاني الزيدان ، ورأيت الزيدان ، ومررت بالزيدان ، وذلك أنهم يقلبون كل ياء ســاكنة انفتح ما قبلها ألفاً ، فعاملوا ياء التثنية أيضاً هذه المعاملة ، كما قال قائلهم[٤] :

تَـزَوَّدَ مِـنَـا بَـيْنَ أُذْنَـاهُ ضَـرْبَـةً دَعَتْـهُ إلى هَــابِي الــتُّرابِ عَقِيــمِ

(١) الحارث بن كعب : ينســب إليه فخذ من القحطانية ، وهم بنــو الحارث بن كعب من مذحج . انظر : نهاية الأرب ٢/ ٢٠٣ ، ومعجم قبائل العرب ١/ ١٠٢ .

(٢) خثعم : قبيلة تنسب إلى خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن ملكان بن زيد بن كهلان . وخثعم : جبل ، قيل : إن هذه القبيلة ســميت بذلك لنزولها إياه وتعاقدها عليه ، وقيل : سموا بذلك مــن الخثعمة ، وهي أن يدخل كل واحد مــن الرجلين إصبعه في منخر ناقته ينجــو به ، ثم يتعاقدا ، وقيل غير ذلك . انظر : جمهرة أنساب العرب ٣٨٧ ، والأنساب ٢/ ٣٢٦ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٨٩ ، والتعريف في الأنساب ١٨٧ ، والمنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب ٥٠٣ .

(٣) زبيد : قبيلة قديمة من مذحج ، أصلهم من اليمن ، نزلوا الكوفة ، وتنسب إلى زبيد ، واسمه منبه بن صعب ، وهــو زبيد الأكبر ، وإليه ترجع قبائل زبيد ، ومن ولد منبه بــن ربيعة ، وهو زبيد الأصغر ، وقيل لهم زبيــد : لأن منبهاً الأصغر قال : مَــن يزبدني رقده ؟ فأجابه أعمامه كلهم مــن زبيد الأكبر ، فقيل لهم جميعاً : زبيد . وقيل نسبة إلى موضع في اليمن .
انظر : الأنساب للسمعاني ٣/ ١٣٥ ، ومعجم البلدان ٣/ ١٣١ .

(٤) البيت لهوبر الحارثي . هابي التراب : ما اختلط منه بالرماد . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٢٠ أ ، والمحرر الوجيــز ١١/ ٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٧ ، وسر صناعــة الإعراب ٢/ ٧٠٤ ، وجمهرة اللغــة ٧٠٧ ، وخزانة الأدب ٧/ ٤٥٣ ، وشرح المفصل ٣/ ١٢٨ ، وتاج العروس (هبا) ١٠/ ٤٠٥ ، ولسان العرب (صرع) ٤/ ٢٤٣٣ .

فقال أذناه وهو خفض ؛ لأن النون مفتوحة والياء بعد ساكنة ، فقلبت الياء ألفاً وأنشدوا أيضاً على هذه اللغة[١] :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَو يَرَى مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

وقول آخر[٢] :

أَيُّ قَلُوصٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا طَارُوا عَلاهُنَّ فَطِرْ عَلاهَا

وهذه ليست ياء التثنية ، ولكن لَمَّا كانت اللام قبل الياء في عليها مفتوحة قلبوها ألفاً . وحكى هذه اللغة جميع النحويين[٣] .

وحكى أبو إسحاق عن النحويين القدماء قولين أحدهما : «أن هنا هاء مضمرة ، المعنى : إنه هذان لساحران ، وهذه الهاء كناية عن الأمر والشأن فحذفت ، و﴿هَٰذَانِ﴾ ابتداء وخبره ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ . القول الثاني : أن معنى ﴿إِنْ﴾ نعم»[٤] ،

---

(١) البيت للمتلمس من قصيدة يعاتب فيها خاله الحارث اليشكري . الشجاع : الحية الذكر . والمساغ : المدخل . وصَمَّم : عض ونيب فلم يرسل ما عض . انظر : ديوانه ٣٤ ، والأصمعيات ٢٤٦ ، والشعر والشعراء ٨٠ ، وخزانة الأدب ٧/ ٤٨٧ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٤ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٢ ، والمؤتلف والمختلف ٧١ ، والحيوان ٤/ ٢٦٣ ، ولسان العرب (صمم) ٤/ ٢٥٠٠ .

(٢) البيت لرجل من بني الحارث ، ولم يذكر اسمه . قَلوص : القَلوص (بفتح القاف) الناقة الفتية . وطَاروا : نفروا مسرعين ، وارتفعوا على إبلهم . انظر : الكشف والبيان ٢٠/ ٢٠ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٧ ، والإنصاف ١٨ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٠ ، والخصائص ٢/ ٢٦٩ ، والتصريح على التوضيح ١/ ٦٥ ، وهمع الهوامع ١/ ٣٩ ، وشرح المفصل ٧/ ٦٨ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٤ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٤ ، والإنصاف ١٨ ، والتصريح على التوضيح ١/ ٦٥ ، وهمع الهوامع ١/ ٣٩ ، وشرح المفصل ٨/ ٦٨ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٣ .

وينشدون[١] :

وَيَـقُـلْـنَ شَـيْـبٌ قَـدْ عَلاكَ وَقَـدْ كَـبِـرْتَ فَـقُـلْـتُ إِنَّـهْ

هذا الذي ذكرنا حكاية القولين .

فأمَّا معنى نعم هاهنا فقال أبو علي : «معنى نعم هاهنا ، وإن لم يتقدم سؤال ، يكون نعم جواباً له ، كما تقدم في قوله : ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف :٤٤] فقد تقدم : ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ إلى قوله : ﴿بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾ [طه :٥٧ ، ٥٨] فيكون نعم منصرفاً إلى تصديق أنفسهم في ما ادَّعوه من السحر ، وإنَّ بمنزلة : نعم[٢] . وقد قال سيبويه : «نعم عدة وتصديق»[٣] ، هذا كلامه[٤] .

وعلى هذين القولين أدخلت اللام على خبر المبتدأ وكان من حقها أن تدخل على المبتدأ دون خبره ، وهذا قول النحويين فيه : إنه يجوز في الشعر على الضرورة[٥] . وأنشدوا في ذلك[٦] :

خَـالِي لأَنْتَ وَمَنْ جَرِيرٌ خَـالُـهُ يَـنَـلِ الـعُـلاءَ ويَـكْـرُمِ الأَخوَالا

---

(١) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات . انظر : ديوانه ٦٦ ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٠ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٥ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩٢ ، وخزانة الأدب ١١/ ٢١٣ ، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٧٥ ، والخصائص ٢/ ٢٦٩ ، ولسان العرب (أنى) ١/ ١٥٦ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٠ .

(٣) الكتاب ١/ ٤٧٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٠ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٣ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٤ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٠ .

(٦) لم أهتدِ إلى قائله ، وقد ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : خزانة الأدب ١٠/ ٣٢٣ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٧٨ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٦٣ ، وشرح التصريح ١/ ١٧٤ ، والمقاصد النحوية ١/ ٥٥٦ ، وشرح ابن عقيل ١/ ٢٣٧ ، وفرائد القلائد ٨١ ، وشرح الأشموني ١/ ١٠٠ ، ولسان العرب (شهرب) ٤/ ٢٣٥٢ .

وأنشدوا أيضاً[١] :

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ

ويقبح حمل كتاب الله على لغة لا تجوز في السعة ومختار الكلام . قال ابن الأنباري : «أنكر الكسائي والفرَّاء هذا[٢] ؛ لأن المبتدأ لا يحال بينه وبين خبره باللام ، لا يقال : عبدالله لقائم ؛ لأن اللام تحجز بين الحرفين ، ومنع الذي بعدها من تقريب الذي قبلها»[٣] .

وقال أبو إسحاق : «هذا أجود ما سمعنا أنَّ إنَّ بمعنى : نعم ، واللام وقعت موقعها . المعنى : نعم هذان لهما ساحران . قال : وعرضت هذا القول على محمد بن يزيد ، وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد[٤] فقبلاه ، وذكرا أنه أجود ما سمعاه»[٥] .

---

(١) هذا صدر بيت من الرجز ينسب إلى رؤبة بن العجاج ، وعجزه :

تَرْضى مِنَ اللحْمِ بِعظْمِ الرَّقَبَهْ

الحُلَيْس : تصغير حلس ، وهو كساء رقيق يوضع تحت البرذعة ، وأصل هذه كنية الأتان . الشَّهربة : العجوز الكبيرة . انظر : ديوان رؤبة ١٧٠ ، وشرح التصريح ١/ ١٧٤ ، وشرح المفصل ٣/ ١٣٠ ، والإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ١٠١٥ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٣ ، والخزانة ٣/ ١٣٠ ، وأوضح المسالك ١/ ٢١٠ ، والمقاصد النحوية ١/ ٥٣٥ ، ولسان العرب (شهرب) ٤/ ٢٣٥٢ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٤ .

(٣) ذكر نحوه الفرَّاء في المعاني ٢/ ١٨٤ ، والعكبري في إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١٢٣ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٠ ب ، ومكي في الكشف ٢/ ١٠٠ .

(٤) إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد القاضي ، روى عن عبدالله بن مسلمة القعقبي ، وإسماعيل بن أبي أويس ، وعمرو بن مرزوق ، وحجاج بن المنهال وغيرهم كثير ، وثقه العلماء وأثنوا عليه ، اشتُهِر بصدقه وصلاحه ، ولي القضاء ببغداد ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢٨٣هـ . انظر : الجرح والتعديل ٢/ ١٥٨ ، وكتاب الثقات ٨/ ١٠٥ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٣ .

قال أبو علي : «ما ذكره أبو إسحاق من التقدير تأويل غير مرضي ، وذلك أن هذه اللام للتأكيد ، ويقبح أن يذكر التأكيد ويحذف نفس المؤكد ؟ ألا ترى أن إظهار المؤكد وترك إضماره وحذفه أولى من أن يحذف ويذكر ما يؤكده ، ولو كان المبتدأ محذوفاً من الآية كما ذهب إليه أبو إسحاق لم يحتج معه إلى التأكيد باللام ، ويدلك على أن هذا ليس بالوجه أن النحويين أنشدوا[١] :

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ

وحملوا هذا على الضرورة ، وعلى أنه أدخل اللام على خبر المبتدأ ، وكان من حقها أن تدخل على المبتدأ ، فلو كان ما ذكره وجهاً في الآية لكان النحويون لا يحملون هذا الكلام على الضرورة ، ويقدرون فيه ما قدر من أنه دخل على مبتدأ محذوف ، ولا يحملونه على الاضطرار إذا وجدوا له مصرفاً قريباً إلى الاختيار والسعة ، فحملهم ذلك على الضرورة دلالة على أنهم تجنبوا ما ذكر من التقدير ؛ لأنه أذهب في باب القبح والضرورة مما حملوه عليه»[٢] .

وقال الفرَّاء : «الوجه في هذه المسألة أن تقول وجدت الألف من هذا دعامة وليست بلام فعل ، فلمَّا ثنيت زدت عليها نوناً ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول في كل حال ، كما قالت العرب : (الذي) ثم زادوا نوناً تدل على الجماع فقالوا : (الذين) في رفعهم ونصبهم وخفضهم ، كذلك تركوا (هذان) بالألف في رفعه ونصبه وخفضه»[٣] .

وحرر صاحب النظم هذا القول فقال : «هذا اسم منهوك ؛ لأنه على حرفين ؛ أحدهما : حرف علة وهو الألف ، وهاء للتنبيه وليس من الاسم ، فلمَّا ثني واحتيج

(١) سبق ذكر البيت وعزوه .
(٢) الإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ١٠١٣ .
(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٤ .

إلى ألف التثنية لم يوصل إليهما لسكون الألف الأصلية ، واحتيج إلى حذف أحدهما فقالوا : إن حذفنا الألف الأصلية بقي الاسم على حرف واحد ، وإن أسقطنا ألف التثنية كان في النون منها عوض ودلالة على معنى التثنية ، فحذفوا ألف التثنية ، فلمَّا كانت الألف الباقية هي ألف الاسم واحتاجوا إلى إعراب التثنية لم يغيروا الألف عن صورتها ؛ لأن الإعراب واختلافه في التثنية والجمع إنما يقع على الحرف الذي هو علامة التثنية والجمع ، فتركوها على حالها في النصب والخفض ، وعلى هذا القول ، الألف في هذان التي كانت في هذا ليس الذي جلبتها التثنية»[(١)] .

قال أبو علي : «لو كان الأمر على ما زعم لم تقلب هذا الألف في تثنيته فقط[(٢)] ، كما أن الألف التي في هذا لا تنقلب على حال ، وفي كون هذه الألف مرة ياءً ومرة ألفاً دلالة على أنه كسائر التثنية ، ويدل على أن هذا الألف للتثنية أن التي كانت في الواحد قد حذفت ، كما حذفت الياء من الذي والتي إذا قلت : اللذان واللتان واللذين واللتين ، فالياء كانت في الاسم قد حذفت وجيء بالتي للتثنية ، كذلك تحذف من قولهم : هذا ، ألفه ، وتلحق التي تكون علماً للتثنية ، ومن ثم انقلبت مرة ياءً ومرة ألفاً ، والتي تثبت لا يتعاوره القلب ، ولا تزول عن أن تكون ألفاً»[(٣)] ، هذا كلامه .

وهذه الأقوال هي التي قالها المتقدمون من النحويين ، ولم يسلم من هذه الأقوال على الاعتبار إلَّا قول مَن يقول : إنها لغة بلحارث . وقد قال ابن عباس في قوله : ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾ : «هي لغة بلحارث بن كعب» ذكره عطاء عنه[(٤)] .

---

(١) ذكر نحوه مختصراً بلا نسبة الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣١ .

(٢) في (ص) : (قط) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣١ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٨٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨١ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩٧ ، والكشاف ٢/ ٥٤٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٥٥ ، وإرشاد العقل السليم ٦/ ٢٥ .

وقال أبو إسحاق في ارتضاء هذا المذهب في هذه الآية : «حق الألف أن تدل على الاثنين وكان حقها ألَّا تتغير كما لم تتغير ألف رحى وعصى ، ولكن نقلها إلى الياء في النصب والخفض أبين وأفضل بين المرفوع والمنصوب والمجرور»[١] .

وقال الفرَّاء في ارتضاء المذهب : «العرب جعلوا الواو تابعة للضمة ، والياء تابعة للكسرة نحو قولهم : مسلمون ومسلمين ، فلمَّا رأوا الياء من الاثنين لم يمكنهم كسر ما قبلها وثبت مفتوحاً تركوا الألف تتبعه فقالوا : رجلان في كل حال . وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في : (كلا الرجلين) في النصب والخفض وهما اثنان»[٢] .

وحكى ابن الأنباري قولاً آخرَ للفرَّاء وهو : «أن الألف في هذان شبهت بالألف في : تفعلان ويفعلان ، فلمَّا كانت تلك الألف لا تتغير في تثنية الفعل لم يغيروا هذه الألف في شبه الاسم»[٣] . وذكر علي بن عيسى النحوي[٤] قولاً آخرَ فقال : «إنما جاز ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ﴾ لضعف عمل ﴿إِنْ﴾ وذلك أنها تعمل بالشبه للفعل وليست بأصل في العمل ، ألا ترى أنها لمَّا خففت لم تعمل ، فلمَّا ضعف عملها لم تعمل في (هذان)»[٥] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٤ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٤ .

(٣) ذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٠ ب بلا نسبة ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٩ .

(٤) علي بن عيسى بن علي أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني ، تقدمت ترجمته .

(٥) ذكره الألوسي في روح المعاني ١٦/ ٢٢٣ .

هذا الذي ذكرنا كله وجه قراءة العامة . وقرأ أبو عمرو : (إنَّ هذين) بالياء[١] بخلاف المصحف ، واحتجاجه في ذلك أنه روي : أنه غلط من الكتاب ، وإن في الكتاب غلطاً ستقيمه العرب بألسنتها . يروي ذلك عن عثمان ، وعائشة رضي الله عنهما[٢] .

---

(١) قرأ نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾ ، وقرأ أبو عمرو البصري (إن هذين لساحران) . انظر : السبعة ٤١٩ ، والحجة ٥/ ٢٢٩ ، والتبصرة ٢٦٠ ، والنشر ٢/ ٣٢١ .

(٢) الكشف والبيان ٣/ ٢٠ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٠ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٢٩٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٥٥ ، والإتقان ١/ ١٨٢ . وقد رد العلماء هذا الأثر المروي عن عائشة وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ من جهة إسناده ومتنه ، فلا يصح الاحتجاج به على رد القراءة المتواترة الثابتة عن النبي ﷺ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الفتاوى ٢/ ٢٥٢ : «وقد زعم قوم أن قراءة مَن قرأ : ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾ لحن ، وأن عثمان – رضي الله عنه – قال : إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها . وهذا خبر باطل لا يصح» . وقال في تفسيره ٥/ ٢٠٩ : «ومَن زعم أن الكتاب غلط فهو الغالط غلطاً منكراً ، فإن المصحف منقول بالتواتر ، وقد كتبت عدة مصاحف وكلها مكتوبة بالألف فكيف يتصور في هذا غلط» . وقال الألوسي في روح المعاني ١٦/ ٢٢٤ : «والذي أجنح إليه تضعيف جميع ما ورد مما فيه طعن بالمتواتر ، ولم يقبل تأويلاً ينشرح له الصدر ويقبله الذوق ، وإن صححه مَن صححه ، والطعن في الرواية أهون بكثير من الطعن بالأئمة الذين تلقوا القرآن الذي وصل إلينا بالتواتر عن النبي ﷺ ، ولم يألوا جهداً في إتقانه وحفظه» . وقال عبدالحي الفرماوي في كتابه رسم المصحف ١٣١ بعد أن ضعَّف هذه الرواية : «وقد ذكر بعض العلماء هذه الرواية في كتبهم بحسن قصد من غير تحرٍّ ولا دقة فاتخذها أعداء الإسلام من المارقين والمستشرقين للطعن في الإسلام وفي القرآن ، لتوهين فقه المسلمين بكتاب ربهم . . . .» ، ثم قال : «ويجاب عن تصحيح السيوطي : بأن هذه الرواية على فرض صحتها ، فهي رواية أحادية لا يثبت بها قرآن ، وهي معارضة للقطعي الثابت بالتواتر فهي باطلة مردودة ، فإن من قواعد المحدثين أن مما يدرك به وضع الخبر ما يؤخذ من حال المروي كأن يكون مناقضاً لنص القرآن أو السُّنة أو الإجماع أو صريح العقل ، حيث لا يقبل شيء من ذلك التأويل أو لم يحتمل سقوط شيء منه يزول به المحذور ، وهذه الرواية مخالفة للمتواتر القطعي الذي تلقته الأمة بالقبول فيها باطلة لا محالة» .
انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ١٠٦ ، وجامع البيان ١٦/ ١٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٤ ، ودقائق التفسير ٥/ ٢٠٢ ، والإتقان ١/ ١٨٢ ، ومناهل العرفان ١/ ١٨٦ ، ورسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين ١٣١ .

وهذه القراءة هي قراءة عيسى بن عمر[١] .

قال أبو إسحاق : «ولا أجيزها ؛ لأنها خلاف المصحف ، ولا أجيز مخالفته ؛ لأن اتباعه سُنَّة»[٢] .

وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم : ﴿إِنْ هَٰذَانِ﴾ بتخفيف ﴿إِنْ﴾[٣] ، على معنى ما هذان إلَّا ساحران كقوله : ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الشعراء :١٨٦] ، و(إن) إذا خففت كان الوجه أن يرفع الاسم بعدها ، وإذا كان كذلك رفع هذان بعدها ، وأدى مع ذلك خط المصحف .

قال أبو إسحاق : «أستحسن هذه القراءة ، وفيها إمامان ؛ عاصم والخليل ، وكان يقرأ بهذه القراءة ، والإجماع أنه لم يكن أحد بالنحو أعلم من الخليل ؛ ولأن هذه القراءة توافق قراءة أُبي في المعنى ، وإن خالفه اللفظ»[٤] . وقراءته : «إن ذان إلَّا ساحران»[٥] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٥٥ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٧٤ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٤ .

(٣) قرأ ابن كثير ، وحفص عن عاصم ﴿إِنْ هَٰذَانِ﴾ بتخفيف (إنْ) ، وقرأ نافع ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم في رواية أبي بكر (إنَّ هذان) بتشديد (إنَّ) ، وكذلك قرأ أبو عمرو بتشديد (إنَّ) . انظر : السبعة ٤١٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٩ ، والتبصرة ٢٦٠ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٩ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٤ .

(٥) الكشف والبيان ٣/ ٢٠ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٤٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٠ ، والكشاف ٢/ ٥٤٢ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٧٥ .

وقال الأخفش : «﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ خفيفة في معنى ثقيلة ، وهي لغة لقوم يرفعون بها ، وإن ثقلت فهي لغة لبني الحارث بن كعب الاثنين في كل موضع»[(١)] ، هذا كلامه .

وقد بان أن القراءة الصحيحة في هذه الآية قراءة العامة ، وقراءة مَن خفف إنَّ على التعليل[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ . قال عكرمة : «يذهبا بخياركم»[(٣)] .

وقال الحسن ، وأبو صالح : «بأشرافكم»[(٤)] .

وعن أبي صالح : «بسراة الناس»[(٥)] .

---

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٩ .

(٢) وقول المؤلِّف : «وقد بان أن القراءة الصحيحة» لا يفهم منه أن القراءة الأخرى قراءة ضعيفة ؛ لأنها قد ثبتت القراءة بها ، وصحَّت عن الرسول ﷺ كما وصلت إلينا بالتواتر ، فلا يجوز ترجيح قراءة على أخرى ؛ لأنها كلها ثابتة متواترة عن النبي ﷺ والقراءة سُنَّة متبعة . أمَّا عن توجيه القراءة ، فما ذكره المؤلِّف ـ رحمه الله ـ هو قول جمهور العلماء من المفسرين . قال أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٢٥٥ : «والذي نختاره في تخريج هذه القراءة بأنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنى بالألف دائماً ، وهي لغة كنانة وبني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية» .
انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٤ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٧ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٧٥ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٢٣ ، والفتاوى لابن تيمية ٢/ ٢٥٢ .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٢٠ ب ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٥ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤١ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٢ ، وتفسير سفيان الثوري ١٩٥٤ .

وقال مجاهد : «أولوا العقل والشرف والأسنان»[١] . وهذه الأقوال معناها واحد ، هو معنى قول ابن عباس في رواية الوالبي : «أمثلكم»[٢] .

قال الزجَّاج : «معناه بجماعتكم الأشراف . قال : والعرب تقول للرجل الفاضل : هذا طَرِيقَة قَومِه ، ونَظِيرَة قَومِه ، ونَظُورَة قَومِه ، للرجل الفاضل ، وإنما تأويله : هذا (الذي)[٣] ينبغي أن يجعله قومه قدوة ، ويسلكوا طريقته ، وينظروا إليه ويتبعوه»[٤] .

وقال الفرَّاء : «العرب تقول للقوم : هؤلاء طَريقة قومهم ، وطرائق قومهم لأشرافهم[٥] ، ويقولون للواحد أيضاً : طَريقة قومه ، ونَظُورة قومه ونَظيرة قومه ، ويقولون للجمع بالتوحيد ، والجميع يعني طريقة ، وطرائق ، قال : ومن ذلك قوله : ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن :١١]»[٦] . وجعل الزجَّاج الآية من باب حذف المضاف ، فقال : «المعنى عندي : يذهبا بأهل طريقتكم المثلى ، قال : وكذلك قول العرب : هذا طريقة قومه ، معناه هذا صاحب طَريقة قومه»[٧] ، هذا كلامه . وليس يحتاج إلى تقدير المضاف على ما ذكره الفرَّاء ، فإن الطريقة اسم للأفاضل على معنى أنهم الذين يقتدى بهم ويتبع آثارهم ، كما تسلك الطريقة ، فتقدير المضاف تكلف . و(المثلى) تأنيث الأمثل ، والأمثل معناه في اللغة : الأفضل ، يقال : فلان أَمْثَل قومه ؛ أي أفضلهم ، وهم الأماثل[٨] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٨٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١١ ، وزاد المسير ٥/ ٣٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤١ .

(٢) زاد المسير ٥/ ٢٠٨ .

(٣) كذا في نسخة (س) وهو أصوب ، وكذا هي في معاني الزجَّاج ، وفي غيرها (الفتى) .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٤ .

(٥) في نسخة (س) : (أشرافهم) .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٥ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٥ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (مثل) ٤/ ٣٣٤٢ ، والقاموس المحيط (المثل) ٤/ ٤٨ ، ومقاييس اللغة =

ومنه قول الشاعر[١] :

وإِنْ أَتَـوكَ فَـقَـالُـوا إِنَّهَا نصَفٌ فَـإِنَّ أَمْثَـلَ نِصْفَيهَا الـذِي ذَهَبَا

أي أشقهما وأفضلهما .

قال الأخفش والكسائي : «يقال : قد مَثَلَ يَمْثُلُ مُثُولاً ؛ أي صار فاضلاً»[٢] .

واختلف ، لم قيل للأفضل أَمْثَل ؟ فقال بعضهم : معنى الأمثل : الأشبه بالحق ، ثم صار اسماً للأفضل[٣] . وقيل : معنى الأمثل في اللغة : الأظهر ، من قولهم : مَثَلَ الشيء يَمْثُلُ مُثُولاً : إذا قام وانتصب فظهر للعيون[٤] . قال لبيد[٥] :

ثُـمَّ أَصْـدَرْنَـاهُـمَـا فِي وَارِدٍ صَـادِرٍ وَهْـمٍ صُـوَاهُ قَـدْ مَثَلْ

= (مثل) ٥/ ٢٩٧ ، والمعجم الوسيط (الأمثل) ٢/ ٨٥٤ ، ولسان العرب (مثل) ٧/ ٤١٣٤ ، والمفردات في غريب القرآن (مثل) ٤٦٣ .

(١) لم أهتدِ إلى قائله ، وذكر نحوه في تاج العروس (نصف) ٦/ ٢٥٦ ، ونسبه إلى ابن العربي ، وكذلك ابن منظور في لسان العرب (نصف) ٧/ ٤٤٤٣ بلفظ :

وإِنْ أتـوكَ فـقـالـوا إنها نـصـفٌ فـإنَّ أطيـبَ نصفيهـا الـذي غـبرا

(٢) ذكر نحوه الأزهري في تهذيب اللغة (مثل) ٤/ ٣٣٤٣ .

(٣) القاموس المحيط (المثل) ١٠٥٦ ، ولسان العرب (مثل) ٧/ ٤١٣٤ ، والمفردات في غريب القرآن (مثل) ٤٦٢ .

(٤) انظر : الصحاح (مثل) ٧/ ٤١٣٤ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٩٧ ، والمعجم الوسيط ٢/ ٨٥٣ ، ولسان العرب ٧/ ٤١٣٤ ، والمفردات في غريب القرآن ٤٦٢ .

(٥) البيت للبيد بن ربيعة . أصدرناهما في وارد : الصادر والوارد الطريق ، يقال : طريق صادر ؛ أي إنه يصدر بأهله عن الماء ، أو طريق وارد يرد بهم . وَهْم : واسع ضخم . والصُّوَى : أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي المجهولة يستدل بها على طرقها ، واحدتها صُوة . انظر : ديوان لبيد بن ربيعة ١٤٣ ، وتهذيب اللغة (صدر) ٢/ ١٩٨٧ ، ولسان العرب (صدر) ٤/ ٢٤١١ .

أي انتصب وظهر ، ولَمَّا كان الفاضل الشريف ظاهراً من القوم بفضله وشرفه قيل له : الأمثل . ومعنى الآية ما روى الشعبي عن علي رضي الله عنه ، أنه قال : «﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ يصرفا وجوه الناس إليهما»[١] .

والمعنى : أن يغلبا بسحرهما ، فتمثل إليهما السادة والأشراف منكم . وقال قتادة : «طريقتكم المثلى يومئذ بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عدداً وأموالاً ، فقالوا : إنما يريد أن يذهبا بهما لأنفسهم»[٢] . فجعل قتادة هؤلاء الأفاضل من بني إسرائيل . وهذا قول ابن عباس في رواية الوالبي : «هم بنو إسرائيل»[٣] . هذا الذي ذكرنا قول المفسرين ، وأهل التأويل ، وعلى هذا مقاتل ، والكلبي[٤] .

وقال ابن زيد : «ويذهبا بالطريقة التي أنتم عليها في السيرة»[٥] . وهذا القول اختيار أبي عبيدة ، والكسائي ، قال أبو عبيدة : «﴿بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ [بسنتكم ودينكم وما أنتم عليه»[٦] .

وقال الكسائي : «﴿بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ ؛ يعني سنتكم وهداكم وسمتكم»[٧] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٨٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٠ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٢ ، وزاد المسير ٥/ ٣٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٤ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٨ ، وجامع البيان ١٦/ ١٨٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٠/ ب ، والنكت والعيون ٣/ ٤١١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٢ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٨٢ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٢٤ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٢٠ ، وتفسير مقاتل ٤ أ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٨٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤١ .

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٣ .

(٧) الكشف والبيان ٣/ ٢٠ ب .

و(المثلى)][1] نعت للطريقة . ولا إشكال على هذا القول ، و(المثلى) تأنيث الأمثل ، بمعنى : الأفضل ، وبمعنى : الأظهر[2] .

٦٤. قوله تعالى : ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ . قال الفرَّاء : «الإجماع : الإحكام والعزيمة على الشيء ، تقول : أجمعت الخروج ، وعلى الخروج ، مثل : أزمعت ، وأنشد[3] :

يَا لَيْتَ شِعْرِي والمُنَى لاَ تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُوَنْ يَوماً وأَمْرِي مُجْمَعُ

يريد قد أحكم وعزم عليه»[4] .

وقال أبو إسحاق : «معناه : ليكن عزمكم كلكم على الكيد مُجْمَعاً لا تختلفوا»[5] . ومضى الكلام في معنى الإجماع عند قوله : ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾ [يونس :٧١] . وقرأ أبو عمرو : (فَاجْمَعوا)[6] ، موصولاً من الجمع ، وحجته قوله : ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه :٦٠] .

قال الفرَّاء : «معناه : فلا تَدعوا من كيدكم شيئاً إلَّا جئتم به»[7] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٥ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٤ .

(٣) لم أهتدِ إلى قائله ، وقد ذكرته كتب التفسير واللغة بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٨٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٢١ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٨ ، ووضح البرهان في مشكلات القرآن ٢/ ٦٤ ، وتهذيب اللغة (جمع) ١/ ٦٥٢ ، ولسان العرب (جمع) ٢/ ٦٨١ ، ونوادر أبي زيد ١٣٣ ، وإصلاح المنطق ٢٦٣ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٥ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٥ .

(٦) قرأ : نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي وعاصم ﴿فَأَجْمِعُوا۟﴾ بقطع الألف وكسر الميم ، وقرأ أبو عمرو البصري (فَاجمَعوا) بوصل الألف وفتح الميم . انظر : السبعة ٤١٩ ، والحجة للقراء السبعة ٢٣٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٩ ، والتبصرة ٢٦٠ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٥ .

وقال الزجَّاج : «جيئوا بكل ما تقدرون عليه ، ولا تبقوا منه شيئاً»[١] .
واختار الأخفش هذه القراءة وقال : «إنما يقولون بالقطع إذا قالوا : أجمعنا على كذا وكذا ، فأمَّا إذا قالوا : اجمعوا أمركم ، واجمعوا شركاءكم ، فلا يقولون إلَّا بالوصل . والقطع أكثر القراءة ، ولعله لغة في جمع ؛ لأن باب فَعَلت وأَفْعلت كثير»[٢] .

قال أبو علي : «يشبه أن يكون ذلك على لغتين ، كما ظنه أبو الحسن ، كقول الشاعر»[٣][٤] :

وأَنْتُمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مائَةٍ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ طُرَّاً فَكِيْدُوني

وقال الهذلي[٥] :

فَكَأَنَّهَا بالجِزْعِ بَيْنَ نُبَايعٍ وَأَولاتِ ذِي العَرْجَاءِ نَهْبٌ مُجْمَعُ

أي مجموع ، وهذا في ما يتواصى به السحرة من جمع كيدهم ، وما يستظهرون به من المبالغة في سحرهم .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٥ .
(٢) ذكر نحوه في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٧١ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٢ .
(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٢ .
(٤) البيت لذي الإصبع العدواني . مَعْشَرَ : المعشر الجمع ولا واحد له من لفظه ، ومعشر الرجل أهله . طُرَّاً : جمعاً . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٣ ، وشرح المفصل ١/ ٣٠ ، ولسان العرب (عشر) ٥/ ٢٩٥١ ، ومجمع البيان ٧/ ٢٩ .
(٥) البيت لأبي ذؤيب الهذلي يصف حُمُراً . الجَزْع ، ونُبَاع ، وأُولَات ذِي العَرجَاء : أسماء أماكن . والنَّهَب المُجْمَع : إبل القوم التي أغار عليها اللصوص ، وكانت متفرقة في مراعيها فجمعوها من كل ناحية حتى اجتمعت لهم ثم طردوها وساقوها . انظر : شرح أشعار الهذليين ١/ ١٧ ، والمفضليات ٤٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٠ ، وتهذيب اللغة (جمع) ١/ ٦٥٢ ، ولسان العرب (جمع) ٢/ ٦٧٨ .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾ . قال أبــو عبيدة : «الصف : موضع الجمع ، ويسمى المصلَّى : الصف ، يقال : هل أتيت الصف اليوم ؟ أي المصلَّى الذي يُصلَّى فيه . قال : وقد يكون على المصدر ، كما تقول : جاءوني صفاً ؛ أي مصطفين»[١] .

وذكر أبو إســحاق الوجهين فقال : «معناه : ثم ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم ، يقــال : أتيت صفاً بمعنى أتيت المصلَّى ، قال : ويجوز أن يكون ﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾ ؛ أي مصطفين مجتمعين ليكون أنظم[٢] لأموركم ، وأشد لهيئتكم»[٣] .

والمفــسرون يقولــون في قولــه : ﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾ : جميعــاً ، قالــه مقاتل ، والكلبي ، وابن عباس في رواية عطاء[٤] . وهو بمعنى مصطفين . ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ . قال ابن عباس : «يريد قد سعد اليوم مَن غلب»[٥] .

قال الليث : «ويقال لكل مَن قهر أمراً أو علاه : اعتلى ، واســتعلاه واستعلى عليه»[٦] .

وقال الزجَّاج : «﴿ٱسْتَعْلَىٰ﴾ ؛ أي علا بالغلبة»[٧] .

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٣ .

(٢) قوله : (ليكون أنظم) ساقط من نسخة (س) .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٥ .

(٤) الكشــف والبيان ٣/ ٢١ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢١ ، وتفســير مقاتل ٤ أ .

(٥) زاد المسير ٥/ ٣٠١ ، وذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١٨٤ من دون نسبة .

(٦) تهذيب اللغة (علا) ٣/ ٢٥٣٦ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٥ .

٦٥. قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ . قال الفرَّاء : «المعنى : اختر أحد هذين الأمرين»[(١)] . والمراد بالإلقاء هاهنا : إلقاء العصا على الأرض ، وكانت السحرة معهم عصي ، وكان موسى قد ألقى عصاه يوم دخل على فرعون ، كما قال الله تعالى : ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف :١٠٧]، [الشعراء :٣٢]، ولمَّا أراد السحرة معارضته قالوا له هذا القول .

٦٦. فقال موسى : ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾ . أمرهم بالإلقاء أولاً ، لتكون معجزته أظهر إذا ألقوا هم بما معهم ، ثم يلقي هو عصاه فتبتلع كل ذلك على ما ذكر[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ . في الكلام محذوف تقديره : فألقوا فإذا حبالهم .

[قال أبو إسحاق : «وترك هاهنا ؛ لأنه قد جاء في موضع آخر : ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ [الشعراء :٤٤]»[(٣)]][(٤)] .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «كان عدد السحرة سبعين ألف رجل ، ومع كل رجل عصا وحبل غليظ مثل حبال السفن»[(٥)] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٥ .

(٢) يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء :٤٥] .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٥ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٨٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٣ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٥٢ ، والكشاف ٢/ ٥٤٣ .

وقال عكرمة ، وابن جريج : «كانوا تسعمائة»[١] .

وقال محمد بن إسحاق : «كانوا خمسة عشر ألفاً»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ .يقال خُيِّل على الرجل تخييلاً : إذا أدخل عليه التهمة والشبهة ، وأصل هذا الحرف من الشَّبَه والاشتباه الذي ينافي الحق والحقيقة ، ومنه الخَيَال الذي يشبه الشيء وليس منه كخَيال الإنسان في المرآة ، وخَياله في النوم ، وأَخَال الشيء إذا اشتبه وأشكل فهو مخيل[٣] ، ومنه قول الشاعر[٤] :

والصِّدْقُ أَبْلَجُ لاَ يُخَيلُ سَبِيلُهُ والصِّدْقُ يَعْرِفُهُ ذَوُو الأَلبَابِ

ومعنى هذه الآية كمعنى قوله : ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف :١١٦] ، وذكر الكلام فيه . وموضع (أن) من قوله : ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ رفع على معنى يخيل إليه سعيها[٥] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٨٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٣ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٨٣ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٨٥ ، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ١٠/ ٥٢ من دون نسبة . قال الألوسي في روح المعاني ١٦/ ٢٢٥ بعد ذكر هذه الأقوال : «ولا يخفى حال الأخبار في ذلك ، والقلب لا يميل إلى المبالغة ، والله – تعالى – أعلم» . وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٤٣٨ بعد ذكر هذه الأقوال : «وهذه الأقوال من الإسرائيليات» .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (خال) ١/ ٩٦٦ ، والقاموس المحيط (خال) ٩٩٦ ، والصحاح (خيل) ٤/ ١٦٩٢ ، ولسان العرب (خيل) ٣/ ١٣٠٤ .

(٤) لم أهتدِ إلى قائله . وذكر في كتب اللغة بلا نسبة . انظر : تهذيب اللغة (خال) ١/ ٩٦٨ ، ولسان العرب (خيل) ٣/ ١٣٠٤ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٦ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٨ .

قال الكلبي : «خُيل إلى موسى أن الأرض حيات كلها ، وأنها تسعى على بطنها»[١] . وكثير من الكلام اللائق بهذه الآيات قد مضى في سورة الأعراف[٢] .

٦٧. قوله تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ﴾ . قال الفرَّاء : «أحس[٣] ووجد»[٤] .

وقال الزجَّاج : «أضمر»[٥] ، وقال في موضع آخر : «وقع في نفسه الخوف»[٦] . وقد ذكرناه مستقصى في سورة هود[٧] .

وقوله تعالى : ﴿خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ ؛ أي خوفاً ، وأصلها خوفة فانقلبت الواو ياء لانكسار الخاء[٨] . وإنما خاف موسى ؛ لأن سحرهم كان من جنس ما أراهم في العصا ، فخاف أن يلتبس على الناس أمره ، ولا يؤمنوا به . هذا معنى قول الكلبي ، ومقاتل[٩] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٢ . اختلف العلماء بخصوص السحر ، هل للسحر حقيقة أم لا ؟ فقال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٤٣٧ : «والتحقيق الذي عليه جماهير العلماء من المسلمين : أن السحر منه ما هو أمر له حقيقة لا مطلق تخيل لا حقيقة له ، ومنه ما هو تخيل لا حقيقة له» . انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٤٤ ، والتفسير الكبير ٣/ ٢١٣ ، وأحكام السحر والسحرة للرازي ١١٠ ، والسحر لمسفر الدميني ٢٥ ، والسحر بين الحقيقة والخيال لأحمد الحمد ٣٧ .

(٢) وردت قصة موسى -عليه السلام- مع فرعون في سورة الأعراف ، الآيات (١٠٣-١٦٢) .

(٣) في (س) : (أجس) .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٢ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٦١ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٥/ ٥٥٣ .

(٧) عند قوله تعالى : ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ [هود :٣] .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٩ .

(٩) الكشف والبيان ٣/ ٢١ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٠ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٨٤ ، وتفسير مقاتل ٤ أ .

وقيل : «كان خوف طباع ، لكثرة ما يخيل له من الحيات العظام» ، وهذا معنى قول محمد بن إسحاق[١] .

٦٨. فقال الله تعالى : ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أنت الغالب»[٢] . والمعنى : أنت الأعلى عليهم بالظفر والغلبة .

٦٩. ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ ؛ يعني العصا ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ قال الزجَّاج : «القراءة بالجزم[٣] ، جواب الأمر ، ويجوز الرفع على معنى الحال ، كأنه قال : ألقها تلقفه»[٤] . هذا كلامه .

وشرحه أبو علي فقال : «وجه قراءة مَن قرأ : (تَلْقَفُ) بالرفع ، وهي قراءة ابن عامر : أنه في موضع الحال ، والحال يجوز أن يكون من الفاعل المُلْقِي ، ويجوز أن يكون من المفعول المُلْقَى ، فإن جعلته من الفاعل المُلْقِي جعلته المُتلَقِّفَ ، وإن كان التَّلَقُفُ في الحقيقة للعصا ، ووجه جعل المُتَلَقِّف أن التَّلَقُفُ في الحقيقة للعصا ، ووجه جعل المُتَلَقِّف أن التَّلَقُف بإلقائه كان فجاز أن ينسب إليه ، والفعل كثيراً يضاف إلى المسبب ، ويجوز أن يكون الحال من المفعول ، وجعلت تَلْقَفْ حالاً ، وإن لم تتلقف بعد ، كما جاء في التنزيل : ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة :٩٥] وكما

---

(١) بحر العلوم ٢/ ٣٤٩ ، وذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٤١٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٣ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٢ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٨٤ ، وزاد المسير ٥/ ٣٠٥ ، والقرطبي ١١/ ٢٢٣ .

(٣) قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن كثير ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم في رواية أبي بكر (تَلَقَّفْ مَا صَنعوا) بتشديد القاف وجزم الفاء ، وقرأ عاصم في رواية حفص ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ بتخفيف القاف تسكين الفاء ، وقرأ ابن عامر الشامي : (تَلْقَفُ مَا صَنعوا) بتشديد القاف ورفع الفاء . انظر : السبعة ٤٢٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٩ ، والنشر ٢/ ٣٢١ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٧ .

أجاز النحويون : مررتُ برجلٍ معــه صقر صائداً به غداً ، وهذا النحو من الحال كثير في التنزيل وغيره»[١] .

وقــال : «﴿تَلْقَفْ﴾ على التأنيث ، حملاً للكلام عــلى المعنى ؛ لأنه المراد بما في يمينه العصــا . ومَن قرأ : ﴿تَلْقَفْ﴾ بالجزم ، فعلى أن يكون جواباً ، كأنه : إن تُلْقِهِ تَلَقَّفْ ، ويجوز أن يكون تَلْقَفْ خطاباً لموســى ، كما ذكر في قراءة مَن رفع يجوز أن يكون حالاً للفاعل»[٢] . وذكرنا معنى التلقف في سورة الأعراف مستقصى[٣] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ ؛ أي الذي صنعوه كيد ســاحر . وقُرئ : (كيد سحر)[٤] . وســاحر أقوى ؛ لأن الكيد للساحر في الحقيقة وليس للسحر ، ومَن قرأ : (كيد ســحر) ، أضاف الكيد إلى الســحر على التوسُّع ، وأراد كيد ذي سحر ، فيكون المعنى مثل كيد ساحر ، ويجوز أن يكون معنى كيد سحر : كيد من سحر كما قالوا : قميص حرير ، وجبة وَشْي ، ذكر ذلك ابن الأنباري[٥] . والمعنى : الذي صنعوه تخيل سحر لا حقيقة له .

[وقوله : ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ . قال ابن عباس : «ولا يســعد الساحر حيث ما كان»[٦] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٦ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٦ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف :١١٧] .

(٤) قرأ نافــع ، وابن كثير ، وأبــو عمرو ، وابن عامــر ، وعاصم ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ بالألــف ، وقرأ حمزة ، والكســائي (كيد سحر) بغير ألف . انظر : الســبعة ٤٢١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٧ ، وحجة القراءات ٤٥٨ ، والغاية في القراءات ٣٢٣ .

(٥) ذكر بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٥٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٤ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٨٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٠ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٢٨٤ ، وزاد المسير ٥/ ٣٠٦ .

وروى جنـدب بن عبدالله البجلي[١] أن رسـول الله ﷺ قـال : «إذا أخذتم السـاحر فاقتلوه ، ثم قـرأ : ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ . قـال : لا يأمن حيث وجد»[٢] .

قال أبو إسـحاق : «معناه حيث كان السـاحر يجب أن يقتل . قال : وكذلك مذهب أهل الفقه في السحرة»[٣] . ونحوه هذا المعنى ذكر الفرَّاء][٤][٥] .

---

(١) جندب بن عبدالله بن سـفيان البجلي ، ينسـب إلى جده ، أحد أصحاب النبـي ﷺ ، روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه الحسـن وابن سـيرين ، وأخرج له الجماعة ، توفي رضي الله عنه سنة ٦٤هـ . انظر : الاسـتيعاب ١/ ٢١٩ ، وأسـد الغابة ١/ ٣٠٣ ، والإصابة ١/ ٢٤٩ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ١١٨ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣/ ١٧٤ ، والكاشف ١/ ١٣٢ .

(٢) أورده ابن كثير في تفسـيره ٣/ ١٧٥ ، وقال : «وقد روى أصله الترمـذي موقوفاً ومرفوعاً» ، وذكره السـيوطي في الدر المنثور ٢/ ٥٤١ ، وعزاه لابن أبي حاتم وابـن مردويه ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسـير ٥/ ٢١٠ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٤٨ ، والشـوكاني في كتاب نيل الأوطار ، بـاب ما جاء في حد السـحر ٧/ ٦٣٢ ، والألوسي في روح المعـاني ١٦/ ٢٣٠ ، وأخرج الترمذي في جامعه نحوه في كتاب الحدود ، باب ما جاء في حد السـحر ٤/ ٦٠ ، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٦٠ ، وصحَّحـه ووافقـه الذهبي ، وذكره ابن حـزم في المحـلى ١١/ ٣٩٦ ، وابن حجـر في فتح الباري ١٠/ ٢٣٦ ، والذهبي في الكبائر ٤٦ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٧ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٦ . اختلف العلماء في حكم السـحر والساحر ، والصحيح ـ والله أعلم ـ أن السـحر نوعان : منه ما هو كفر ، ومنه ما لا يبلغ درجة الكفر ، فإن كان السـاحر استعمل السحر الذي هو كفر فإنه يقتل كفراً ، وأمَّا إن كان السـاحر عمل السحر الذي لا يبلغ الكفر فهو محل خلاف بين العلماء ، والراجـح ـ والله أعلم ـ أنه لا يقتل . انظر : الجامع لأحـكام القرآن ٢/ ٤٨ ، وأحكام القرآن للجصاص ١/ ٦١ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٣١ ، والمبسـوط للسرخسي ١٠/ ٢٠٨ ، والزواجر ٢/ ١٠٤ ، والمغني لابن قدامة ٨/ ١٥١ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

٧٠. وقوله تعالى : ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ . ففعل ما أمر به موسى ، ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ وترك ذكره ؛ لأنه ذكر في سورة الأعراف[١] ، والشعراء[٢] أنه ألقى عصاه ، فتلقفت ما صنعوا ، وما يقع من الكلام في تفسير هذه الآية قد سبق في سورة الأعراف[٣] .

٧١. قوله تعالى : ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ . الكلام في هذا ، ووجه اختلاف القرَّاء في ﴿ءَامَنتُمْ﴾[٤] قد تقدم في سورة الأعراف[٥] ، بوصل الباء إذا كان بالله تعالى ، وإذا كان بغيره وصل باللام ، كذا جاء في التنزيل[٦] ، مثل قوله : ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ [يونس :٨٣] ، ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ [الإسراء :٩٠] ، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف :١٧] ، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت :٢٦] ؛ لأنه يراد به مجرد التصديق ، وقد قال في سورة الأعراف : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الأعراف :١٢٣] فهما بمعنى واحد .

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد معلمكم»[٧] . وقال : «ولذلك يقول أهل مكة : جئت[٨] من عند كبيري ، [وحتى أستأذن كبيري»[٩] .

---

(١) عند قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف :١١٧] .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء :٤٥] .

(٣) الآيات [١١٧-١٢٠] .

(٤) قرأ ابن كثير ، وحفص عن عاصم ، وورش عن نافع (آمنتم) على لفظ الخبر ، وقرأ أبو عمرو ، وابن عامر ، ونافع : (آمنتم) بهمزة ممدودة ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم (ءآمنتم) بهمزتين الثانية ممدودة . انظر : السبعة ٤٢١ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٨ ، وحجة القراءات ٤٥٨ .

(٥) عند قوله سبحانه : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف :١٢٣] الآية .

(٦) الكشاف ٢/ ٥٤٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦١ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٣١ .

(٧) زاد المسير ٥/ ٢٠٧ .

(٨) في (ص) : (حيث) ، وهو تصحيف .

(٩) الكشاف ٢/ ٥٤٥ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٣ .

وقال الكسائي : «الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال : جئت من عند كبيري»[١][٢] .

وقال محمد بن إسحاق : «إنه لعظيم السحار»[٣] .

والكبير في اللغة : الرئيس[٤] ، ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ [يوسف :٨٠] ، يعني رئيسهم الذي هو أعلمهم ، ولم يرد الكبير في السن ، ولهذا يقال للمعلم : الكبير .

قال أهل المعاني : «جعل نسبتهم إلى اتباع رئيسهم بالسجود علة لصرف الناس عن اتباع موسى» .

وقوله تعالى : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ . قال المُبرِّد : «المعنى على جذوع النخل ، وإنما وقعت في ومعانيها الوعاء ، كقولك : زيد في الدار ، والمتاع في الوعاء ؛ لأن الجذع جعل كأنه قد حل فيه ، فصار الجذع له مكاناً كالبيت»[٥] . كما قال الأسدي[٦] :

تَدَاركتْ شَمَّاسّاً ويَحْيى وخَالِداً وقَدْ نُصبتْ فَوقَ الجُذُوعِ قُبُورَهَا

---

(١) زاد المسير ٥/ ٢٠٧ ، وفتح القدير ٣/ ٥٣٧ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٨٨ ، وفتح القدير ٣/ ٥٣٧ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (كبر) ٣٠٩٠ ، والقاموس المحيط ٤٦٨ ، ولسان العرب ٦/ ٣٨٠٧ .

(٥) ذكر مختصراً في المقتضب ٢/ ٣١٨ .

(٦) لم أهتدِ إليه .

أي جعلت الجذوع لهم مكان القبور ، ونحـو هذا قال أبو عبيدة ، والفرَّاء ، والزجَّاج[١] وأنشدوا[٢] :

وَهُم صَلَبُوا العَبْدِيَّ في جِذْعِ نَخْلَةٍ فَـلا عَطَسـتْ شَـيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعا

ولَّـما كانت الجذوع تضمهم كما يضم الوعاء ما فيه قيل : ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ ، وهذا كقوله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور :٣٨] ؛ أي عليه . ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ﴾ أيها السـحرة ، ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا﴾ لكم ، ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ ؛ وأدوم ، أنا على إيمانكم ، أو رب موسى على تركِكم الإيمان به .

٧٢. قوله تعالى : ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ ؛ أي لـن نفضلك ولن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ . قـال ابن عباس : «يريد مـن اليقين والعلم»[٣] . وقال مقاتل : «يعني اليد والعصا»[٤] .

---

(١) عند قوله سبحانه وتعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف :١٢٣] الآية .

(٢) اختُلِف في نسـبة هذا البيت ، فنُسب إلى سـويد بن أبي كاهل . انظر : الأزهية ٢٧٨ ، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٧٩ ، والكشـف والبيان ٣/ ٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٤ ، ولسـان العرب (شـمس) ٤/ ٢٣٢٤ ، ونُسب البيت أيضاً إلى امرأة من العرب . انظر : الخصائص ٢/ ٣١٣ ، وشرح المفصل ٨/ ٢١ ، ولسان العرب (فيا) ١٠/ ٣٧٣ ، وورد بلا نسبة في جامع البيان ١٦/ ١٨٨ ، والبحر المحيـط ٢/ ٢٦١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٤ ، ومعاني القرآن ٣/ ٣٦٨ ، والمقتضب ٢/ ٣١٩ ، وأدب الكاتب ٥٠٦ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٥ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٢١ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٥ ، وتفسير مقاتل ٤ ب .

وقال عكرمة : «هو أنهم حيث خرُّوا سجداً أراهم الله في سجودهم منازلهم في الجنة التي إليها يصيرون»[(١)] . ونحو هذا قال القاسم بن أبي بزة[(٢)] : «ما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ، ورأوا ثواب أهلها ، عند ذلك قالوا : ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾»[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ . ذكر الفرَّاء والزجَّاج فيه وجهين ؛ أحدهما : «لن نؤثرك على الله والذي خلقنا . والثاني : أنه قسم»[(٤)] .

﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ . قال ابن عباس وجميع المفسرين : «فاصنع ما أنت صانع»[(٥)] . ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ . قال ابن عباس : «يريد إنما سلطانك وملكك في هذه الدنيا ، فأمَّا في الآخرة فليس لك فيها حظ ولا سلطان»[(٦)] .

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٤١٤ ، والكشاف ٢/ ٥٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٢ ، وأضواء البيان ٤/ ٤٧٢ ، وقال : «والظاهر أن ذلك من نوع الإسرائيليات» .

(٢) القاسم بن نافع بن أبي بزة ، واسم أبي بزة : يسار ، وقيل نافع ، مولى عبدالله بن السائب بن صيفي المخزومي المكي ، ويكنى القاسم بأبي عبدالله ، وأصله من همدان ، تابعي ثقة ، روى عن أبي الطفيل ، وأبي معبد ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير . وروى عنه عمرو بن دينار ، وعبدالملك بن أبي سليمان ، وابن جريج وغيرهم كثير ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٢٤ هـ بمكة . انظر : الجرح والتعديل ٧/ ١٢٢ ، وطبقات ابن سعد ٥/ ٤٧٩ ، والثقات لابن حبان ٧/ ٣٣٠ ، وشذرات الذهب ١/ ١٦٢ ، وتهذيب التهذيب ٨٩/ ٢٧٨ .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٢١ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٢ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٧ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٨ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٨٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٢ أ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٦ .

(٦) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٨٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٥ ، وزاد المسير ٥/ ٣٠٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٦ .

٧٣. قولـــه تعالى : ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ . قال ابن عباس : «الشرك الـــذي كنا فيـــه»[١] . ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ . روي : «أن فرعون كان يكره الناس على تعلم السحر»[٢] .

وروي : «أنه أكرههم على معارضة موســى بالسحر»[٣] . والقولان مرويان في التفسير .

﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ . قـــال ابن عباس : «يريد ثواب الله خير وأبقى»[٤] . فعلى هذا ، المضاف محذوف .

وقال أبو إســـحاق : «أي الله خير لنا منك ، وأبقى عذاباً»[٥] . وهذا جواب قوله : ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه :٧١] ، وهذا معنى قول محمد بن إسحاق : «والله خير منك [ثواباً ، وأبقى عقاباً»[٦] .

وقال محمد بن كعب : «والله خير منـــك إن أطيع ، وأبقى عذاباً منك][٧] إن عصي»[٨] .

---

(١) ذكرت نحوه كتب التفســـير من دون نســـبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٥٠ ، وزاد المســـير ٥/ ٣٠٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٦ ، ومجمع البيان ٧/ ٣٥ .

(٢) جامـــع البيان ١٦/ ١٨٩ ، والكشـــف والبيـــان ٣/ ٢٢ أ ، وبحر العلـــوم ٢/ ٣٥٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٥ ، والمحرر الوجيز ٧/ ٥٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣٠٧ .

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٨ ، والكشـــاف ٢/ ٥٤٦ ، وزاد المســـير ٥/ ٣٠٨ ، والتفســـير الكبير ٢٢/ ٨٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٣٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٦ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٩ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٩٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٥ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٧٦ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٨) انظر : المصادر السابقة ، وانظر أيضاً : الدر المنثور ٤/ ٥٤٢ ، وفتح القدير ٣/ ٥٣٨ .

٧٤. قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ . هذا ابتداء كلام من الله تعالى ، وانتهى الإخبار عن السحرة[١] .

وقيل : «هذا أيضاً إخبار عنهم أنهم قالوه»[٢] .

والكناية في قوله : ﴿إِنَّهُۥ﴾ الأمر والشأن ، أي بأن الأمر والشأن هذا ، وهو أن المجرم يدخل النار ، والمؤمن يدخل الجنة ، ويجوز أن يكون هاء الإضمار على شريطة التفسير ، وبيَّنَّا ذلك في سورة [يوسف :٩٠] .

ومعنى ﴿مُجْرِمًا﴾ . قال ابن عباس في رواية الضحاك : «المجرم الكافر»[٣] .

وقال في رواية عطاء : «يريد أجرم ، وفعل مثل ما فعل فرعون»[٤] . ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ . قال : «يريد لا يموت فيستريح ، ولا يحيا فيفتر عنه العذاب»[٥] .

---

(١) بحر العلوم ٢/ ٣٥٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٦ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٥٩ ، والكشاف ٢/ ٥٤٦ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٨٦ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٥٩ ، والكشاف ٢/ ٥٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٧ .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٩٠ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٧ ، ومجمع البيان ٧/ ٣٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٢ .

(٤) مجمع البيان ٧/ ٣٥ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٥٠ ، وزاد المسير ٥/ ٣٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٧ ، ومجمع البيان ٧/ ٣٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٢ ، وفتح القدير ٥/ ٥٣٨ .

قال الكلبي : «ولا يحيا فيها حياة تنفعه»[١] .

وروى أبو نضرة[٢] عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم تُميتهم النار إماتة حتى يصيروا فحماً ، ثم يخرجون ضبائر[٣] فيلقون على أنهار الجنة ، فيرش عليهم من أنهار الجنة ، حتى ينبتوا كما تنبت الحبة في حميل السيل»[٤][٥] .

قال المُبرِّد : «تأويل قوله : ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ لا يموت ميتة مريحة ، ولا يحيا حياة ممتعة ، وهو يألم كما يألم الحي ليفهم ذلك ، ويبلغ بهم حالة الموتى في المكروه ، إلَّا أنه لا يبلغ الحالة التي يبطل فيها عن الفهم ، والعرب تقول : فلان

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : زاد المسير ٥/ ٣٠٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٢ ، وفتح القدير ٥/ ٥٣٨ ، ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر :٣٦] .

(٢) المنذر بن مالك بن قطعة العبدي العوفي البصري ، من الطبقة الوسطى ، من علماء التابعين ، وثقه عدد من العلماء ، وشهدوا له بالصلاح والتقوى . توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٠٨ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٠٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٢٩ ، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٧٥ .

(٣) الضبائر : جماعات الناس ، يقال : رأيتهم ضبائر ؛ أي جماعات . انظر : تهذيب اللغة (ضبر) ٣/ ٢٠٨٧ ، ومقاييس اللغة (ضبر) ٣٨٦ ، والصحاح (ضبر) ٢/ ٧١٨ ، ولسان العرب (ضبر) ٤/ ٢٥٤٧ .

(٤) حميل السيل : ما حمله السيل من الغثاء والطين ، وكل محمول فهو حميل . انظر : تهذيب اللغة (حمل) ١/ ٩٢٥ ، والصحاح (حمل) ٤/ ١٦٧٨ ، والقاموس المحيط (حمله) ٩٨٧ ، ولسان العرب (حمل) ٢/ ١٠٠١ .

(٥) أخرجه النسائي في سننه في كتاب التطبيق ، باب موضع السجود ٢/ ١٦٣ ، والترمذي في كتاب صفة جهنم ، باب ١٠ ، ٤/ ٦١٥ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، وابن ماجه في كتاب الرقائق ، باب ما يخرج الله من النار برحمته ٢/ ٢٣٨ ، وأورده في الدر المنثور ٢/ ٥٤٢ وزاد نسبته إلى ابن مردويه عن أبي سعيد .

لا حي ولا ميت ، إذا كان غير منتفع بحياته ، وكذلك يقولون لمَن يكلم ولم يبلغ حاجته : تكلمت ولم تتكلم ؛ أي لم تبلغ»[١] . كما قال ابن مرداس[٢][٣] :

وقَدْ كُنْتُ فِي الحَرْبِ ذَا تُدرأٍ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئاً ولَمْ أُمْنَعِ

لأنه عندما أعطيه يقصر عن حقه ، بأنه قد وصل إليه القليل لم يمنع . وأنشد ابن الأنباري في مثل هذا المعنى لعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود[٤] :

أَلَا مَا لِنَفْسٍ لاَ تَمُوتُ فَيَنْقَضِي شَقَاهَا ولاَ تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمُ

٧٥. قوله تعالى : ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ . قال ابن عباس : «مصدقاً»[٥] . ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ . [قال : «يريد قد أدى الفرائض»[٦] . فهذا من صفة النكرة التي هي الحال][٧] ، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ . قال : «قصرت دونها الصفة»[٨] .

---

(١) ذكر نحوه المحرر الوجيز ١٠/ ٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٢ ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر :٣٦] .

(٢) عباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي ، أبو الهيثم ، الصحابي ، تقدمت ترجمته .

(٣) البيت لعباس بن مرداس . ذا تدرأ : ذو هجوم لا يتوقى ولا يهاب ، ففيه قوة على دفع أعدائه . انظر : ديوانه ٨٤ ، والشعر والشعراء ٢/ ٧٥٢ ، وشرح التصريح ٢/ ١١٩ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٢٥ ، والمقاصد النحوية ٤/ ٦٩ ، وهمع الهوامع ٢/ ١٢٠ ، ولسان العرب (درأ) ٣/ ١٣٤٧ .

(٤) ذكرته كتب التفسير واللغة بلا نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٤١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٧ ، وأضواء البيان ٤/ ٤٧٨ ، ولسان العرب (طعم) ٨/ ١٦٥ .

(٥) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٥٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٦ ، ومجمع البيان ٧/ ٣٥ ، ومدارك التنزيل ٢/ ١٠١٦ .

(٦) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٩٠ ، وذكر في زاد المسير ٥/ ٣٠٩ منسوباً إلى ابن عباس ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٦ ، ومجمع البيان ٧/ ٣٥ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٠ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٨) ذكر نحوه من دون نسبة في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٧ ، وفتح القدير ٥/ ٥٣٩ .

قال ابن عباس في ما روى عنه سعيد بن جبير : «لله عباد ولدوا في الإسلام ونشؤوا في أعمال البر ، لم يخالطوا المعاصي وأهلها حتى ماتوا على ذلك ، إذا كان يوم القيامة نادى المنادي : أين مَن أتى ربه مؤمناً فاضلاً قد عمل الصالحات بصدق النية ؟ فعرف القوم صفتهم ، فقالوا : لبيك دعوتنا ، قال : فإن الله يقول : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ الآية ، وعقد لهم لواء فاتبع القوم لواءهم حتى دخلوا الجنة»[(١)] .

والآية دليل على أن الأمور بخواتيمها وأن الإيمان بالموافاة لقوله : ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ ، ودليل على أن الدرجات إنما تستحق بالأعمال الصالحة ، وقد يدخل الجنة من لا ينال الدرجات العلى .

وهذا معنى قوله عليه السلام : «تدخلون الجنة برحمة الله ، وتقسمون الدرجات بأعمالكم»[(٢)] .

٧٦. قوله تعالى : ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «مَن قال لا إله إلَّا الله»[(٣)] . ونحو ذلك قال الكلبي[(٤)] .

ومعنى ﴿تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الذنوب بالطاعة بدلاً من التدنس بالمعاصي ، وقصد أن يكون زاكياً في الخير .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) أخرج البخاري نحوه في صحيحه في كتاب الرقائق ، باب القصد والمداومة على العمل ٥/ ٢٣٧٣ ، ومسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمة الله تعالى ٤/ ٢١٦٩ ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب التوقي على العمل ٢/ ١٤٠٥ ، والإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٢٢ ، والدرامي في سننه في كتاب الرقائق ، باب لن ينجي أحدكم عمله ٢/ ٢١٥ .

(٣) الكشاف ٢/ ٥٤٦ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٩١ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٣٥ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٢٢ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٦ .

٧٧. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ ؛ سر بهم ليلاً من أرض مصر ، ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ﴾ ؛ أي اجعل لهم طريقاً في البحر بالضرب بالعصا حتى ينفلق لهم البحر عن طريق[١] . فعدي الضرب إلى الطريق لَمَّا دخله هذا المعنى ، وهو أنه أريد بضرب الطريق جعل الطريق بالضرب .

وقوله تعالى :﴿يَبَسًا﴾ . قال الليث : «طريق يبس : لا نداوة فيه ولا بلل»[٢] . وقال أبو عبيدة : «يَبَس ويَبْس بمعنى : يَابس»[٣] ، وأنشد لعلقمة بن عبدة[٤] :

تَخَشْخَشُ أَبْدَانُ الحَدِيْدِ عَلَيهِمُ كَمَا خَشْخَشَتْ يَبْسَ الحَصَادِ جَنُوبُ

وقال الأزهري : «يقال للأرض إذا يَبِسَت : يَبَس ، وللبقول والحطب يَبِس[٥] ، وأنشد[٦] :

ولَمْ يَبْقَ بالخَلْصَاءِ مِمَا عَنَتْ بِه مِنَ الرُّطْبِ إلَّا يَبْسُهَا وهَجِيرُهَا» .

وقال أبو إسحاق : يقال : «يَبَسَ الشيء يَبَساً ويُبْساً ويَبْساً ثلاث لغات في المصدر ، وطريقاً يَبَساً نعت بالمصدر والمعنى : طريق ذا يَبَسٍ»[٧] . قال مجاهد :

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٩١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٦ .

(٢) تهذيب اللغة (يبس) ٤/ ٣٩٧٣ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٤ .

(٤) البيت لعلقمة بن عبدة التميمي . خَشْخَش : الخشخاش الجماعة عليهم سلاح ودروع . واليَبَس (بالفتح) : اليابس ، وهو نقيض الرطوبة . انظر : ديوانه ١٠٧ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٤ ، والاقتضاب ٤٦٠ ، ولسان العرب (خشخش) ٢/ ١١٦٤ .

(٥) تهذيب اللغة (يبس) ٤/ ٣٩٧٣ .

(٦) البيت لذي الرمة . الخلصاء : مكان . وعنت به : أنبتته نباتاً حسناً . واليبس : ما يبس من العشب والبقول التي تتناثر إذا يبست . والهجير : يبيس الحمض الذي كسرته الماشية . وهجر : ترك . انظر : ديوان ذي الرمة ٣٠٥ ، وتهذيب اللغة (يبس) ٤/ ٣٩٧٣ ، ولسان العرب (هجر) ٨/ ٤٦١٦ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٦٩ .

«يَبَسـاً يَابِساً»[١] . وذلك أن الله - تعالى - أيبس لهم ذلك الطريق حتى لم يكن فيه ماء ولا طين .

وقوله تعالى : ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ . قـال ابن عباس وجميع المفسرين : «لا تخاف [أن يدركك فرعون ، ولا أحد من خلفك ، ولا تخشى البحر»[٢] .

وقـال سـيبويه : «﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا﴾][٣] رفعه على وجهـين ؛ أحدهما : على الحال ، كقولك : غـير خائف ولا خاشٍ ، كما قال : ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر :٦] ؛ أي مستكثراً ، قال : ويكون على قطع وابتداء ؛ أي أنت لا تخاف»[٤] .

وقرأ حمزة : (لا تخف) جزماً[٥] . وله وجهان : أحدهما ما ذكره الزجَّاج وهو أنه نهي عن أن يخاف ، معناه : ولا تخـف أن يدركك[٦] فرعون[٧] . والثاني : ما ذكره أبو علي وهـو : أنه جعله جواب الشرط على معنى إن تضرب لا تخف دركاً ممن خلفك[٨] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٤٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٣ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٩١ ، والكشـف والبيان ٣/ ٢٢ أ ، وتفسـير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٥ ، والنكت والعيون ١٦/ ١٩١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٦ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٤) ذكره الرازي في التفسـير الكبير ٢٢/ ٩٢ ، وذكر نحوه الفارسي في الحجة للقراء السـبعة ٥/ ٢٣٩ ، والعكبري في إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١٢٥ .

(٥) قـرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسـائي ، وعاصم ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا﴾ رفعاً بألف ، وقرأ حمزة : (لا تخفْ دركاً) جزماً بغير ألف . انظر : السـبعة ٤٢١ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٩ ، والغاية في القراءات ٣٢٣ ، والنشر ٢/ ٣٢١ .

(٦) في نسخة (ص) : (يدكك) .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٠ .

(٨) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٣٩ .

قال أبان بن تغلب[١] وأبو عبيد : «لو كان لا يخاف لكان لا يخشى»[٢] .

وهذا لا يلزم حمـزة لوجوه ؛ أحدها : ما ذكره الفرَّاء وغـيره : «أنه نوى بقوله : ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ الاسـتئناف»[٣] . كما قـال الله تعـالى : ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران :١١١] فاسـتأنف بـ(ثم) ، ويكون المعنى : لا تخف العدو وراءك على النهي ، أو على الجواب وأنت لا تخشـى الغرق أمامك . وذكر[٤] الفرَّاء وجهاً آخرَ قال : «ولو نوى حمزة بقوله : ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ الجزم ، وإن كانت فيه الياء كان صواباً ، كما قال[٥] :

هزِّي إِلَيْكِ الجِذْعَ يُجْنِيْكِ الجَنَى

[وقال آخر[٦] :

هَجَوْتَ زَبَّانَ ثُمَّ جِئْتَ مُعْتَذِراً مِنْ هَجْمِ زَبَّانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدَعِ][٧]

---

(١) هو الجريري ، له كتاب في غريب القرآن ، توفي سنة ١٤١هـ .

(٢) أورد نحوه الزجَّاج في معاني القرآن ٣/ ٣٧٠ بلا نسبة ، والزمخشري في الكشاف ٢/ ٥٤٧ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٨ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٧ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١٢٥ .

(٤) في (ص) : (وذلك) ، وهو تصحيف .

(٥) لم أهتدِ إلى قائله ، وقد ذكرته كتب التفسـير واللغة بلا نسـبة . الجَنَى : الرطب والعسـل ، وكل ثمر فهو جنى ، والاجتناء : أخذك إياه . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٩٢ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٧ ، وتهذيب اللغة (جنى) ١/ ٦٧٤ ، ولسان العرب (جنى) ٢/ ٧٠٧ .

(٦) يُنسـب هذا البيت إلى أبي عمرو بن العلاء ، يخاطب به الفرزدق عندما جاء إليه معتذراً من أجل هجو بلغه عنه .
انظر : الحجة للقراء السـبعة ٥/ ٢٤٠ ، ومعاني القرآن للفـرَّاء ٢/ ١٨٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٥٢ ، والإنصـاف ١٩ ، وخزانة الأدب ٨/ ٣٥٩ ، وسر صناعـة الإعراب ٢/ ٣٦٠ ، ومعجم الأدباء ١١/ ١٥٨ ، وشرح شواهد الشافية ٤٠٦ ، وشرح المفصل ١٠/ ١٠٤ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

وقال آخر[١] :

أَلَمْ يَـأْتِـيْـكَ وَالأَنْـبَـاءُ تَـنْـمَـي بِـمَـا لاَقَـتْ لَبُـونُ بَنِـي زِيَـادِ

فأثبت الياء[٢] في موضع جزم ، ولسكونها جاز ذلك»[٣] .

قـال أبو علي : «وهـذا لا يحمل على ما ذكره الفـرَّاء ؛ لأن ذلك إنما يجيء في ضرورة الشعر كقوله[٤] :

كَأَنْ لَمْ تَرَ قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِيَا

(١) البيت لقيس بن زهير العبسي . تنمي : تبلغ . لبون : اللبون من الشاة والإبل ذات اللبن .
انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٠ ، والكتاب ١/ ٣٢ ، والخزانة ٣/ ٥٣٤ ، والخصائص ١/ ٣٣٣ ، والأغاني ١٧/ ١٣١ ، وشرح شواهد الشافية ٤٠٨ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٥٢ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٧٨ ، والمحتسب ١/ ٦٧ .

(٢) في (س) : (الثاني) ، وهو تصحيف .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٨ .

(٤) هذا عجز بيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي ، وصدره :
وتضحكُ منِّي شيخةٌ عبشميةٌ
انظـر : سر صناعة الإعـراب ١/ ٧٦ ، والحجـة ٥/ ٢٣٩ ، وذيل الأمـالي ١٣٤ ، وخزانة الأدب ٢/ ٢٠١ ، والأغاني ١٦/ ٢٥٨ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٦٧٥ ، والمحتسب ١/ ٦٥ ، وشرح المفصل ٥/ ٩٧ ، ولسان العرب (شمس) ٢/ ١٩٢٦ .

ولكن تقدر أنه حذف الألف المنقلبة عن اللام للجزم ، ثم أشبعت الفتحة ؛ لأنها فاصلة ، فأثبت الألف عن إشباع الفتحة ، [ومثل هذا مما يثبت في الفاصلة قوله : ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب :٦٧] ، وقد جاء إشباع هذه الفتحة][1] في كلامهم»[2] ، قال[3] :

فَأَنْتَ مِنْ الغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى ومِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ

وقال أبو الفتح الموصلي : «العرب قد تشبع الفتحة فيتولد بعدها ألف ؛ لأن الألف في الحقيقة فتحة مشبعة ، أنشد سيبويه[4] :

فَبَيْنَا نَحْنُ نَرقُبُهُ أَتَانَا مُعَلِّقَ وَفْضَةٍ وَزِنَادَ رَاعِي

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٠ .

(٣) البيت لابن هرمة يرثي ابنه . الغوائل : نوازل الدهر . بمنتزاح : ببعد عنه . انظر : ديوان ابن هرمة ٩٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٠ ، والمحتسب ١/ ١٦٦ ، والمسائل الحلبيات ١١٢ ، والأشباه والنظائر ٢/ ٣٠ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٥ ، والخصائص ٢/ ٣١٦ ، وشرح شواهد الشافية ٢٥ ، والإنصاف ١/ ٢٥ ، وخزانة الأدب ٧/ ٥٥٧ ، ولسان العرب (نزح) ١٤/ ١٠٤ .

(٤) البيت يُنسب إلى رجل من قيس عيلان . الوفضة : خريطة يحمل فيها الراعي أداته وزاده . والزناد : ما تقدح به النار . انظر : الكتاب ١/ ١٧١ ، والمحتسب ٢/ ٧٨ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٣ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٩٨ ، وخزانة الأدب ٧/ ٧٤ ، وشرح المفصل ٤/ ٩٧ ، والأشباه والنظائر ٢/ ٣٦ ، ولسان العرب (بين) ١/ ٥٦١ .

أراد : بين نحن نرقبه ، فأشبع الفتحة فحدثت بعدها ألف ، قال : ومثل هذا يفعلون في الضمة فتتولد الواو ، وفي الكسرة فتتولد الياء»[١] . والدَّرَك اسم من الإدراك يوضع موضع المصدر[٢] .

قال الليث : «الدَّرَك : إدراك الحاجة يقال : بكر ففيه درك»[٣] .

وقال شمِر : قال أبو عدنان : «يقال : أدركوا ماء الرُّكَيَّة[٤] إِدْرَاكاً ودَرَكاً»[٥] .

قال الأخفش : «ومعنى الآية : اضرب لهم طريقاً لا تخاف فيه دركاً ، وحذف (فيه) كما تقول : زيد أكرمت ؛ أي أكرمته ، وكما قال : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة :٤٨] ؛ أي لا تجزي فيه»[٦] .

٧٨. قوله تعالى : ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ ؛ أي لحقهم كقوله : ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف :١٧٥] وقوله : ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ [الصافات :١٠] ، والباء في ﴿بِجُنُودِهِۦ﴾ في موضع حال من الفاعل على معنى ومعه جنوده ، كما يقال : ركب بسلاحه ، وخرج بثيابه ، وهذا اللحاق إنما كان أن أول مقدمة فرعون قرب من ساقة قوم موسى وهم يعبرون البحر ، أو يحمل على الإشراف على اللحاق والقرب منه[٧] . ويجوز أن كون اتبع مطاوع تبع كقوله : ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ﴾ [هود :٩٩] ،

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣ .

(٢) انظر :تهذيب اللغة(درك)٢/ ١١٧٦ ،ولسان العرب(درك)٣/ ١٣٦٣ ،والمعجم الوسيط(الدرك)١/ ٢٨١ .

(٣) تهذيب اللغة (درك) ٢/ ١١٧٦ ، ولسان العرب (درك) ٣/ ١٣٦٣ .

(٤) الرُكَيـة : بئر تحفر ، وهي جنس للركية وهي البئر . انظر : تهذيب اللغة (ركا) ٢/ ١٤٥٥ ، ولسان العرب (ركا) ٣/ ١٧٢٢ ، والمعجم الوسيط (الركية) ١/ ٣٧١ .

(٥) تهذيب اللغة (درك) ٢/ ١١٧٦ .

(٦) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٢ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٠ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤١ .

وقوله تعالى : ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [القصص :٤٢] ، والباء على هذا تكون زائدة ، كما يزاد في كثير من المفعولات نحو[١] :

لا يَقْرَأْنَ بالسُّورِ

وروي عن أبي عمرو أنه قرأ : (فاتبعهم) موصولة[٢] . وعلى هذا ، الباء للتعدية ؛ لأن اتبع بمعنى تبع كما يقال : شوى واشتوى ، وحفى واحتفى ، وفدى وافتدى والمعنى : لحق جنوده بهم[٣] . قال أبو إسحاق : «وجائز أن يكون معهم على هذا اللفظ ، وجائز أن لا يكون ، إلَّا أنه قد كان معهم»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : الغرق»[٥] .

وقال أبو إسحاق : «فغشيهم من البحر ما غَرَّقَهم»[٦] .

وشرح ابن الأنباري هذا فقال : «يسأل فيقال : ما الفائدة في قوله : ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ ؟ فيقال : المعنى غشيهم من اليم البعض الذي غشيهم [لأنه لم يغشهم

---

(١) هذا جزء من عجز بيت ينسب إلى الراعي النميري ، وتمامه :
هُنَّ الحَرائِرُ لا رَبَّاتُ أَحْمِرةٍ سُودُ المَحَاجِرِ لاَ يَقْرأْنَ بالسُّوَرِ
انظر : ديوانه ١٢٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤١ ، وأدب الكاتب ٥٢١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٤ ، وخزانة الأدب ٩/ ١٠٧ ، والمخصص ١٤/ ٧٠ ، ومجالس ثعلب ٣٦٥ ، وشرح أبيات المغني ١/ ١٢٨ ، ولسان العرب (سود) ٤/ ٢١٤١ .

(٢) قرأ عبيد عن هارون عن أبي عمرو (فاتبعهم فرعون) موصولة . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٠ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤١ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ١٢٥ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٠ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٩١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٦ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٠ .

كل مائه ، بل الذي غشيهم][1] بعضه ، فقال الله تعالى : ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ ليدل على أن الذي غرقهم بعض الماء ، وأنهم لم يغرقوا بجميعه»[2] ، هذا كلامه . وأجود منه ما ذكره محمد بن يزيد الثمالي وهو أنه قال : «معناه : غشيهم من اليم ما عرفتم أنه غشيهم»[3] . كما قال أبو النجم[4] :

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وشِعْرِي شِعْرِي

أي شعري ما قد عرفتم .

وقال سيبويه : «من كلام العرب : إن فعلت كذا وكذا فأنت أنت ؛ أي أنت كما تعرف ، ويقولون : الناس ناس ؛ أي هم كما قد عرفتم»[5] .

ومعنى ﴿غَشِيَهُمْ﴾ علاهم وسترهم .

٧٩. ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ حيث دعاهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ ؛ ما هداهم إلى مراشدهم ، وهذا تكذيب له إذ قال : ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر :٢٩] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣١١ ، وأورد نحوه بلا نسبة الزمخشري في الكشاف ٢/ ٥٤٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٤ .

(٣) ذكر نحوه في الكامل ١/ ٤٤ .

(٤) هذا الرجز لأبي النجم . انظر : الخزانة ١/ ٤٣٩ ، والأغاني ٩/ ٧٥ ، والكشاف ٤/ ٥٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٨ ، والمصنف ١/ ١٠ ، والخصائص ٣/ ٣٣٧ .

(٥) لم أقف عليه .

وقال ابن عباس : «يريد ما أرشـــد نفسه»[١] . وعلى هذا معنى (ما هدى) ما هدى نفسه . والمعنى : أنه أهلك نفسه وقومه بضلاله ودعائهم إلى الضلالة حتى أوردهم مواقع الهلكة .

٨٠. قال ابن عباس : «ثم ذكر الله - تعـــالى - منَّته على بني إسرائيل فقال : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ يعني فرعون أغرقه بمرأى منهم»[٢] .

﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ . وذلك أن الله - تعالى - وعد موســـى بعد أن أغـــرق فرعون التأني جانب الطور الأيمن ، فيؤتيه التـــوراة فيها بيان ما يحتاجون إليه ، وقـــد ذكرنا هذا المعنى عند قوله : ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً﴾ [البقرة :٥١] . واختلف القرَّاء في : واعدنا ووعدنا[٣][٤] .

وزعم أبو الحســـن الأخفـــش أن : (واعدنا) لغة في (وعدنـــا)[٥] . وإذا كان كذلك ، فمَن قرأ بالألف لم يدل اللفظ على أن الفعل من الاثنين ، كما أن اســـتحر واســـتقر ونحو ذلك من بناء اســـتفعل ، لا يدل على اســـتدعاء الفعل ، والقراءة بـ(وعد) أحسن ؛ لأن واعد هاهنا بمعنى وعد ، ويعلم من (وعد) أنه فعل واحد

---

(١) الجامـــع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٩ ، وذكر من دون نســـبة في بحر العلـــوم ٢/ ٣٥٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٧ .

(٢) ذكرت كتب التفســـير نحوه من دون نســـبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٨٧ ، وتفســـير القرآن العظيم ٣/ ١٧٨ ، والجامـــع لأحكام القـــرآن ١١/ ٢٢٣ ، وإرشـــاد العقل الســـليم ٦/ ٢٣ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٣٨ .

(٣) قوله : (ووعدنا) ساقط من نسخة (ص) .

(٤) قرأنافع ،وابن كثير ،وأبوعمرو ،وابن عامر ،وعاصم﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾بالنون ،وقرأأبوعمروالبصري(ووعدناكم) بغيرألف ،وقرأحمزةوالكسائي(وواعتكم)بالتاء .انظر :السبعة٤٢٢ ،والحجةللقراءالسبعة٥/ ٢٤١ ،وحجة القراءات٤٦٠ ،والغاية في القراءات٣٢٣ ،والمبسوط في القراءات٢٤٩ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٢ .

لا محالة ، وليس (واعد) كذلك ، فالأخذ بالأبين أولى[١] . وهذا الذي ذكرنا زيادة في توجيه القراءتين لم نذكرها في سورة البقرة[٢] . وهذا الوعد إنما كان لموسى ، ولكن خوطبوا به ؛ لأن الوعد كان لأجلهم[٣] . والمعنى : واعدناكم إتيان جانب الطور فحذف المضاف ، والمراد بالأيمن الجانب الذي على يمين موسى[٤] . وقد مرَّ[٥] .

وقيل في التفسير : «وعدهم الله جانب الجبل ليسمعوا كلام الله - عز وجل - لموسى بحضرتهم هناك»[٦] .

٨١. قوله تعالى : ﴿كُلُوا﴾ ؛ أي وقلنا لهم : كلوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ ، وهذا أمر يقتضي التعديد بالنعم . ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ . قال ابن عباس في رواية الوالبي : «يقول : لا تظلموا»[٧] .

وقال مقاتل : «ولا تعصوا»[٨] . والمعنى لا تبطروا في ما أنعمت عليكم فتظالموا . وهذا المعنى قول مَن قال : «لا تتقووا بنعمي على معاصي»[٩] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٢ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة :٥١] .

(٣) الكشاف ٢/ ٥٤٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٥ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٩٥ .

(٤) القرطبي ١١/ ٢٣٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٥ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٩٦ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم :٥٢] .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٥٣ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ١٤٤ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٢ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٥ .

(٨) تفسير مقاتل ٥ أ .

(٩) الكشف والبيان ٣/ ٢٢ ب ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٧ .

وقال الكلبي : «لا تجحدوا نعمة الله في ما رزقكم منه فتكونوا طاغين»[١] .

وقال مقاتل : «لا تتعدوا ما حد الله لكم في المن والسلوى فتتجاوزوا قدر ما يكفيكم وتدخروا ، فمتى ادخرتم منهما شيئاً فأنتم في ذلك طاغون»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ ؛ أي يجب ، قاله قتادة وغيره[٣] . وقُرئ : ﴿فَيَحِلَّ﴾ ﴿وَمَن يَحْلِلْ﴾ بالكسر والضم[٤] .

قال الفرَّاء : «والكسر أحب إليَّ من الضم ؛ لأن الضم من الحلول بمعنى الوقوع ، ويحل : يجب ، وجاء التفسير بالوجوب لا بالوقوع»[٥] .

وقال الزجَّاج : «﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ معناه فيجب عليكم ، ومَن قرأ : بالضم ، فمعناه التنزيل»[٦] ، هذا كلامه ، ومعنى القراءتين قريب من السواء ؛ لأن مَن قرأ بالكسر فمعناه : مِنْ حَل الشيء يَحِل حَلاً وحَلالاً ، إذا حُلت عنه عقدة التحريم ، وزال عنه الحظر والحجر والمنع ، فمعنى يحل عليكم : ينزل بكم وينالكم بعدما كان ذا حظر وحجر ومنع عنكم ، ومَن فسر يحل يجب ، فهو معنى وليس بتفسير ، وذلك أنهم ما لم يطغوا كان العذاب ممنوعاً محظوراً عليهم ، فإذا طغوا ارتفع ذلك

---

(١) الكشف والبيان ٣/ ٢٢ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٥ .

(٢) تفسير مقاتل ٥ أ ، وذكر نحوه في بحر العلوم ٢/ ٣٥١ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٧ .

(٣) المروي في كتب التفسير عن قتادة : «ينزل عليكم غضبي» . انظر : تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٧ ، وجامع البيان ١٦/ ١٩٣ .

(٤) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، وعاصم ﴿فَيَحِلَّ﴾ . . .﴿وَمَن يَحْلِلْ﴾بالكسر في الحاء من (فيحِل) واللام الأولى من (يحلِل) ، وقرأ الكسائي (فيحُل عليكم) بضم الحاء ، (ومن يحلُل عليه) بضم اللام . انظر : السبعة ٤٤٢ ، والحجة ٥/ ٢٤٣ ، والتبصرة ٢٦٠ ، والنشر ٢/ ٣٢١ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٨ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٠ .

الحظر فحل العذاب لهم ، ومعنى غضب الله : عذابه إياهم[١] ، ويقوي هذه القراءة قوله : ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود :٣٩] ؛ أي ينزل به بعد أن لم يكن ، وقوله : ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [طه :٨٦] ، ولم يختلفوا في كسر هذين ، ومَن قرأ بالضم فوجهه : أن الغضب لمّا كان يتبعه العقوبة والعذاب جعله بمنزلة العذاب فقال : يَحُل ؛ أي ينزل . فجعله بمنزلة قوله : حَلَّ بالمكان يَحُلَّ . هذا معنى قول أبي علي وبعض كلامه[٢] .

وقوله تعالى : ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ . يقال : هَوَى يَهْوِي هَوِياً ، إذا سقط من علو إلى أسفل ، وهَوَتِ العُقَابُ تَهْوِى هُوِياً ، إذا سقطت على صيد ، وهَوَى يَهْوِي هَوِياً ، إذا وقع مَهْواه ، وهَوَى فُلان ، إذا مات ، قال النابغة[٣] :

وقالَ الشامتونَ هوى زيادٌ لكلِّ منيةٍ سببٌ مبينُ

وهَوَى : إذا هلك . ومنه قول كعب بن سعد[٤][٥] :

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيَا

---

(١) الغضب صفة من صفات الله سبحانه ، نثبتها له سبحانه ، كما أثبتها لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ، وتأويلها العذاب لا يصح ؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف ، وليس عليه دليل . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦٨٤ ، والعقيدة الواسطية ٢٣ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٣ .

(٣) البيت للنابغة الذبياني . الشماتة : فرح العدو ، وقيل : الفرح ببلية تنزل بمَن تعاديه . انظر : تهذيب اللغة (هوى) ٤/ ٣٨١٣ ، ولسان العرب (هوا) ٨/ ٤٧٢٦ .

(٤) تقدمت ترجمته في سورة البقرة .

(٥) هذا صدر بيت لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه ، وعجز البيت :

ومَاذَا يُودي الليلُ حِينَ يَؤُوبُ

انظر : تهذيب اللغة (هوى) ٤/ ٣٨١٣ ، والصحاح (هوى) ٦/ ٣٩ ، ولسان العرب (هوا) ١٥/ ١٦٩ ، والأمالي للقالي ٢/ ١٥٠ ، والتكملة للصنعاني (هوى) ٦/ ٥٤٠ .

أي هلكت أمه . هذا معاني (هوى) في اللغة[١] . فأمَّا التفسير فقيل : «هلك»[٢] . وقيل : «صار إلى الهاوية ، بمعنى تردى فيها»[٣] .

قال ابن عباس في رواية الوالبي : «يقول : فقد شقي»[٤] .

٨٢. قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ . قال ابن عباس في رواية الوالبي وعطاء : «تاب من الشرك»[٥] . ﴿وَءَامَنَ﴾ : وحَّد الله وصدَّقه ، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ : أدى فرائض الله ، وعمل صالحاً في ما بينه وبين الله . قال في رواية عطاء : «علم أن ذلك بتوفيق من الله له»[٦] .

وقال في رواية الوالبي : «لم يشكك»[٧] .

وقال في رواية أبي صالح : «علم أن له ثواباً بهذا»[٨] ، هذا قول سفيان ، والكلبي ، والشعبي ، ومقاتل[٩] . واختيار الزجَّاج ؛ لأنه يقول : «ثم أقام على إيمانه»[١٠] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (هوى) ٤/ ٣٨١٣ ، ومقاييس اللغة (هوى) ٦/ ١٥ ، والقاموس المحيط (الهواء) ٤/ ٤٠٤ ، والصحاح (هوى) ٦/ ٢٥٣٧ ، ولسان العرب (هوا) ٨/ ٤٧٢٦ .

(٢) تفسير مقاتل ٥ أ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٩٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٨ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١٩٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٨ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٤ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٩٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٤ .

(٦) معالم التنزيل ٣/ ٢٢٧ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٤ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ١٩٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٦ ، وزاد المسير : ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٧٩ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٤ .

(٨) زاد المسير ٥/ ٣١٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٤ .

(٩) جامع البيان ١٦/ ١٩٥ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٣ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥١ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٨ ، وتفسير مقاتل ٥ ب .

(١٠) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٠ .

وقال عطاء بن يسار : «ثم أصاب بقوله وعمله السُّنة»[١] . وهذا نحو قول سعيد بن جبير : «لزم السُّنة والجماعة»[٢] .

وقال فضيل الناجي[٣] : «اتبع السُّنة»[٤] .

وقال زيد بن أسلم : «علم علماً يحسن به عمله . قال : يقول : اهتدى كيف يعمل»[٥] . ونحو هذا قال ابنه : «أصاب العمل بالعلم»[٦] .

٨٣. قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ ، قال المفسرون : «كانت المواعدة أن يوافي موسى جماعة من وجوه قومه ، فسار موسى بهم ، ثم عجل من بينهم شوقاً إلى ربه ، وخلف السبعين يلحقون به على أثره»[٧] . فقال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد رقة من الله عز وجل»[٨] . يعني رحمة ؛ كأنه يقول : إنما سأله الله - عز وجل - عن سبب عجلته رحمة عليه ، ومحبة له وإلَّا فكان هو عالماً بذلك .

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٤١٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٣ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٦ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٨٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٩ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٤ .

(٣) فضيل الناجي . ذكره ابن حجر في التهذيب ، وقال : «مجهول» ، وعنه حفص بن حميد القمي . انظر : تهذيب التهذيب ٨/ ٢٧٠ ، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣١١ ، وتقريب التهذيب ٢/ ١١٤ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٢٣ أ .

(٥) الكشف والبيان ٣/ ٢٣ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٢ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٩٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣١ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ١٩٥ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٣ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٢ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٣ .

٨٤. فقال موسى : ﴿هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ . وذكرنا معنى أولاء عند قوله : ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران :١١٩] . ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ . قال الكلبي : «لتزداد رضاً»[(١)] .

٨٥. قوله تعالى : ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي ألقيناهم في فتنة ومحنة من بعدك»[(٢)] .

وقال ابن الأنباري : «صيرناهم مفتونين أشقياء بعبادة العجل لما سبق لهم في حكمنا من بعد انطلاقك من بينهم»[(٣)] .

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أن الضلالة كانت على يدي السامري»[(٤)] . يعني أنه كان سبب إضلالهم حين دعاهم إلى الضلالة ، كما قال الكلبي : «فهم السامري إلى عبادة العجل»[(٥)] .

---

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٥١ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٣ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٣ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٧١ .

(٣) ذكره الشوكاني في فتح القدير ، وقال ابن سعدي في تفسيره ٥/ ١٨٠ : «ابتليناهم اختبرناهم فلم يصبروا وحين وصلت إليهم المحنة كفروا» .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٨ ، وزاد المسير ٥/ ٢١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٣ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٤ ، وروح البيان ٥/ ٤١٤ .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : «كان السامري من أهل بَاجَرْمَى[١] وقع بأرض مصر ، فدخل في بني إسرائيل ، وكان من قوم يعبدون البقر ، وكان حب عبادة البقر في نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل وفي نفسه ما في نفسه»[٢] .

وقال في رواية عطاء : «كان السامري رجلاً من القبط ، جاراً لموسى آمن به وصدَّقه وخرج معه فابتلي»[٣] .

وقال أبو إسحاق : «الأكثر في التفسير : أنه كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسَّامِرَة[٤] وهم إلى هذه الغاية في الشام تعرف بالسامريين»[٥] .

وروي عن راشد بن سعد[٦] أنه قال : «قال الله لموسى : إن قومك اتخذوا من بعدك عجلاً جسداً له خوار . قال : يا رب ، فمَن جعل فيه الروح ؟ قال : أنا . قال : فأنت أضللتهم يا رب ؟ قال : يا موسى ، إني رأيت ذلك في قلوبهم

---

(١) بَاجَرْمَى (بفتح الجيم ، وسكون الراء ، وميم وألف مقصورة) : قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة . انظر : معجم البلدان ١/ ٣١٣ .

(٢) بحر العلوم ٢/ ٣٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٥ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٠١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٤ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٠١ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٤ .

(٤) في (ص) : (السامري) .

(٥) تفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٧ ، والكشاف ٢/ ٥٤٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٤ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧١ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٠١ .

(٦) راشد بن سعد المقرائي ، ويقال : الحيراني الحمصي ، تابعي ثقة ، كان من أثبت أهل الشام ، شهد صفين مع معاوية رضي الله عنه ، روى عن ثوبان ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي الدرداء ، وعمرو بن العاص وغيرهم ، وروى عنه صفوان بن عمرو ، ومعاوية بن صالح ، وعلي بن أبي طلحة ، وغيرهم كثير ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١١٣هـ . انظر : الجرح والتعديل ٣/ ٤٨٣ ، والكاشف ١/ ٢٩٩ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٣٥ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٩٥ .

فيسرته لهم»[١] . ومعنى هذا أنهم كانوا يعتقدون التشبيه حين قالوا لموسى : ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ [الأعراف :١٣٨] ، فجزاهم الله بذلك الاعتقاد أن فتنهم بالعجل ، فهذا معنى قوله : «رأيت ذلك في قلوبهم فيسرته لهم» .

وقال عطاء عن ابن عباس : «قال موسى : يا رب ، هذا السامري أخرج لهم عجلاً من حليهم ، فمَن جعل له الجسد والخوار[٢] ؟ قال الله تعالى : أنا . قال موسى : وعزتك ، وجلالك ، وارتفاعك ، وعلو سلطانك ما أضلهم غيرك . قال : صدقت يا حكيم الحكماء»[٣] .

٨٦. قوله تعالى : ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ . سبق الكلام في هذا في سورة الأعراف[٤] . ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًا﴾ ؛ صدقاً لإيتاء الكتاب[٥] . ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾ ؛ مدة مفارقتي إياكم[٦] . ﴿أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ بعبادتكم العجل ، وتلخيص المعنى : أم أردتم أن تصنعوا صنعاً يكون سبب غضب ربكم ؛ لأن أحداً لا يتطلب غضب ربه ، ولكن قد يأتي سبب

---

(١) الدر المنثور ٤/ ٥٤٥ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٧ .

(٢) الخَوار : صوت الثور ، وما اشتد من صوت البقرة والعجل ، تقول : خَار يَخُور خَواراً . انظر : تهذيب اللغة (خار) ١/ ٩٥٩ ، والقاموس المحيط (الخوار) ٢/ ٢٥ ، والصحاح (خور) ٢/ ٦٥١ ، ولسان العرب (خور) ٣/ ١٢٨٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٤ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٧ . ولعل هذه من الروايات الإسرائيلية التي رويت في هذا الباب .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ [الأعراف :١٥٠] .

(٥) النكت والعيون ٣/ ٤١٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ ، والكشاف ٢/ ٥٤٩ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٣ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٤ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ٢٣ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥١ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٣ .

ذلك .﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ ؛ ما وعدتموني من حسن الخلافة بعدي ، هذا في قوله : ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ [الأعراف :١٥٠] .

وقال مجاهد : «﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ : قال عهدي»(١) . يعني ما عهد إليهم موسى وأوصاهم به من الإقامة على طاعة الله . وقيل في التفسير : «﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ ؛ أي تركتم السير على أثري»(٢) . وهذا إنما يصح لو روي أن موسى وعدهم ذلك ، ولم نرَ في شيء من الروايات أن موسى وعد قومه : أن يسيروا على أثره .

وقال ابن الأنباري : «﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ ؛ أي نسبتموه إلى الخلاف»(٣) . يعني وعده بالرجوع إليهم .

٨٧. قوله تعالى : ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ . قال قتادة : «بطاقتنا»(٤) . وقال مقاتل : «ونحن نملك أمرنا»(٥) . وهذا معنى قول ابن عباس في رواية الوالبي يقول : «بأمرنا»(٦) .

وقال مجاهد : «بأمر نملكه»(٧) .

---

(١) زاد المسير ٥/ ٣١٣ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ٢٠٢ ، وتفسير مجاهد ٤٦٤ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٩٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٤ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٤ ، والرازي في التفسير الكبير ٢٢/ ١٠٢ .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٧ ، وجامع البيان ١٦/ ١٩٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٧ .

(٥) الكشف والبيان ٣/ ٢٣ أ ، وتفسير مقاتل ٥ ب .

(٦) جامع البيان ١٦/ ١٩٧ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٧ ، وفتح القدير ٣/ ٥٤٤ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ١٩٧ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٧ .

قال الفرَّاء :في التفسير : « إنا لم نملك الصواب وإنما أخطأنا»[١] .

وحكى الزجَّاج أيضاً : «﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾ بأن ملكنا الصواب»[٢] . ومعنى هذا أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ ، وقالوا : إنا لم نملك أمرنا حتى وقعنا بالذي وقعنا فيه من الفتنة ، وهذا التفسير لا يطرد عليه نظم الآية ، ولا يبقى معه معنى كقراءة مَن قرأ : (بِمُلْكِنَا) بالضم[٣] . ولكان يجب أن يقولوا : فأخرج لنا عجلاً جسداً ، ولكن الصحيح ما ذكره بعض أهل التفسير : «أن هذا من قول المؤمنين الذين لم يعبدوا العجل»[٤] . ولعل هذا أصح ؛ لأن العتاب جرى معهم في سوء خلافتهم من ترك الإنكار على عبدة العجل ، فقالوا له : ما أخلفنا موعدك الذي وعدناك من حسن الخلافة ، ونحن نملك شيئاً من أمرنا ، أو نطيق ردهم عن عظم ما ارتكبوا ؛ لأنا كنا مغلوبين لقلتنا وكثرتهم ، وكذا جاء في رواية : «إن الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر ألفاً ، وافتتن الباقون بالعجل وكانوا جميعاً ستمائة ألف»[٥] .

وأكثر القرَّاء : (بِمِلْكِنَا) بالكسر[٦] . والتقدير : بملكنا أمرنا ، فأضيف المصدر إلى الفاعل وحذف المفعول ، كما أنه قد يضاف إلى المفعول ، ويحذف

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٩ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧١ .

(٣) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر (بِمِلْكِنَا) بكسر الميم ، وقرأ نافع ، وعاصم ﴿بِمَلْكِنَا﴾ بفتح الميم ، وقرأ حمزة ، والكسائي (بِمُلْكِنَا) بضم الميم . انظر : السبعة ٤٢٢ ، والحجة ٥/ ٢٤٤ ، والتبصرة ٢٦١ ، والنشر ٢/ ٣٢١ .

(٤) النكت والعيون ٣/ ٤١٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٤ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٠٢ ، وأضواء البيان ٤/ ٤٩٤ .

(٥) الكشف والبيان ٣/ ٢٣ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٨ ، والكشاف ٢/ ٥٤٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٤ .

(٦) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر (بِمِلْكِنَا) بكسر الميم . انظر : السبعة ٤٢٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٤ ، والمبسوط في القراءات ٢٥٠ ، وحجة القراءات ٤٧١ .

الفاعل في نحو : ﴿دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت :٤٩] ، ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ [ص :٢٤] ، ومَن قرأ : (بِملكنا) فهو المصدر الحقيقي يقال : مَلَكْتُ الشيء أَمْلِكُه مَلْكاً ، والمِلْكُ مَا مُلِكَ مثل : الطَّحْن والطِّحْن ، والسَّقي والسِّقي ، وقد وضع الاسم موضع المصدر ، كما قال الشاعر[١] :

وَبَعْدَ عَطَائِكَ المِائَةَ الرَّتَاعَا

أعمل الاسم إعمال المصدر[٢] .

ومَن قرأ : «بِمُلكنا» بضم الميم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا ، يعني لم نقدر على ردهم ، وأنكر أبو عبيد هذه القراءة[٣] ، فقال : «المُلْك إنما هو من السلطان والعزة ، وأي مُلْك كان لبني إسرائيل يومئذ ؟ وإنما كانوا بمصر مستضعفين»[٤] . كما قال الله تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأعراف :١٣٧] وقال : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص :٥] . فليس الأمر كما ذهب إليه ؛ لأنه ليس معنى الملك هاهنا : السلطان الشديد والكبرياء ، وإنما معناه : القدرة فقط[٥] . وأصل الملك راجع إلى معنى واحد ذكرناه عند قوله : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة :٤] .

---

(١) هذا عجز بيت للقطامي من قصيدة يمدح فيها زفر بن الحارث الكلابي ، وصدر البيت :

أَكُفْراً بَعْدَ رَدِّ المَوْتِ عِنِّي

الرتاع : الإبل الراعية . يقول : لا أكفر معروفك بعد أن أطلقتني من الأسر ، وأعطيتني مائة من الإبل الرتاع . انظر : ديوانه ٣٧ ، وتذكرة النحاة ٤٥٦ ، وخزانة الأدب ٨/ ١٣٦ ، والشعر والشعراء ٢/ ٧٢٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٥ ، والخصائص ٢/ ٢٢١ ، وشرح المفصل ١/ ٢٠ ، وهمع الهوامع ١/ ١٨٨ ، ولسان العرب (عطا) ٥/ ٣٠٠١ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٥ .

(٣) لعل الإنكار للمعنى وليس للقراءة ، فالقراءة ثابتة بالتواتر فلا يجوز إنكارها .

(٤) غريب الحديث لأبي عبيدة ٣/ ١٣٦ ، وجامع البيان ١٦/ ١٩٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٥ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٥ .

على أن أبا الحسن الأخفش حكى : «أن الملك مصدر في المالك»[١] . وحكى الفرَّاء : «مَالِي مُلْك ؛ أي شيء أَمْلِكُه»[٢] . وعلى هذا معنى الوجوه كلها واحد[٣] .

ثم ذكروا قصة اتخاذ العجل فقالوا : ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ ؛ أي أثقالاً وأحمالاً[٤] . قال قتادة : «كانت حلياً تعوروها[٥] من آل فرعون فساروا وهي معهم»[٦] .

وقال مجاهد : «أوزاراً من زينة الحلي الذي استعاروه من آل فرعون وهي الأثقال»[٧] . وهذا قول ابن عباس ، والسُّدِّي ، وابن زيد[٨] . والأكثرين : أن (الأوزار) هي الأحمال ، و﴿زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ ؛ حلي آل فرعون استعاره بنو إسرائيل قبل خروجهم من مصر فبقي في أيديهم ، وكان موسى قد أمرهم بذلك[٩] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٥ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٩ .

(٣) قال ابن جرير الطبري في تفسيره ١٦/ ١٩٩ : «وكل هذا الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى ؛ لأن مَن لم يملك نفسه لغلبة هواه على ما أمر فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول فعل فلان هذا الأمر وهو لا يملك نفسه وفعله وهو لا يضبطها ، وفعله لا يطيق تركه ، وإذا كان ذلك كذلك فسواء بأي القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ» .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٨ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٣ ، وجامع البيان ١٦/ ١٩٩ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٨ .

(٥) العارية والعارة : ما تداولوه بينهم ، وقد أعاره الشيء وأعاره منه ، والمعاورة والتعاور : شبه المداولة والتداول في الشيء يكون بين اثنين ، واستعار الشيء واستعاره منه : طلب منه أن يعيره إياه . انظر : تهذيب اللغة (عار) ٣/ ٢٢٧٣ ، والقاموس المحيط (العور) ٢/ ٩٧ ، ولسان العرب (عور) ٥/ ٣١٦٥ ، ومختار الصحاح (عور) ٤٦٢ .

(٦) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٨ ، وجامع البيان ١٦/ ١٩٩ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ١٩٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٨ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٧ .

(٨) جامع البيان ١٦/ ١٩٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٨ .

(٩) جامع البيان ١٦/ ١٩٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٣ ب ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ .

وقال الزجَّاج : «يعنون بالأوزار : حلياً كانوا أخذوها من آل فرعون ، حين قذفهم البحر فألقاهم على الساحل ، فأخذوا الذهب والفضة وسميت أوزاراً . قال : وسميت أوزاراً ؛ لأن معناها الآثام»[١] . ونحو هذا ذكر الفرَّاء[٢] . وعلى هذا ، المراد بزينة القوم : ما كان معهم حين أغرقوا من مصوغات الذهب والفضة للمناطق وزينة الدواب ، وغير ذلك فسميت أوزاراً ، بأن معناها أثام لم يحل لهم أخذها[٣] . وعلى هذا القول ، يجوز أن يكون المراد بالأوزار الأحمال ؛ لأن الوزر في اللغة : الحمل[٤] .

وقُرئ : بالتشديد وضم الحاء[٥] . المعنى : جعلونا نحمل ، ومُحِمِّلْنَا على ذلك وأُردنا له وكلفنا حمله ، ومَن قرأ : (حَمَلْنَا) أراد أنهم فعلوا ذلك . قال أبو عبيد : «وهو الاختيار ؛ لأن التفسير قد جاء أنهم حملوا معهم ما كان في أيديهم من حلي آل فرعون»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿فَقَذَفْنَهَا﴾ ؛ أي طرحناها ، واختلفوا : أين طرحوها ؟ وكيف فعلوا ؟ فقال قتادة : «لمّا مضت ثلاثون يوماً ولم يرجع موسى قال السامري : هذه العقوبة التي أصابتكم بتخلف موسى عن الوقت الذي وقته لرجوعه إليكم ، إنما أصابتكم بالحلي التي معكم ، فاجمعوها حتى يجيء موسى فنقضي منه ، فجمعت

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٢ .
(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٩ .
(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ .
(٤) انظر : تهذيب اللغة (وزر) ٤/ ٣٨٨٣ ، والقاموس المحيط (الوزر) ٢/ ١٥٤ ، والصحاح (وزر) ٢/ ٨٤٥ ، ولسان العرب (وزر) ٨/ ٤٨٢٣ .
(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم ﴿حُمِّلْنَآ﴾ بضم الحاء وتشديد الميم ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي (حَمَلنا) بفتح الحاء وتخفيف الميم . انظر : السبعة ٤٢٣ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٦ ، وحجة القراءات ٤٦٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٥٠ .
(٦) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٧ .

ودفعت إليه»[١] . وعلى هذا ، معنى ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ ألقيناها إليه ، وهذا قول قتادة قال : «فقذفوها إليه»[٢] .

وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : «قال لهم هارون : إنكم تحملتم أوزاراً من زينة آل فرعون فتطهروا منها ، فإنها نجسة ، وأوقد لهم ناراً وقال : اقذفوا ما كان معكم من ذلك فيها . قالوا : نعم ، فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الحلي فيقذفونها فيها ، حتى استلب الحلي فيها»[٣] . وعلى هذا ، معنى ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ ألقيناها في النار . ونحو هذا ذكر الزجَّاج[٤] .

وقال السُّدِّي : «قال هارون لهم : إن الحلي غنيمة ولا تحل لكم الغنيمة فاحفروا لهذا الحلي حفرة فاطرحوه فيها»[٥] . وعلى هذا ، المعنى فقذفناها في الحفرة .

قوله تعالى : ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ ؛ أي فكما ألقيت ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد ألقى الحلي -وهو الذهب- في النار»[٦] .

وهذا اختيار الزجَّاج والفرَّاء ، قالا : «وكذلك فعل السامري ؛ أي ألقى حلياً كان معه في النار»[٧] . وعلى هذا دل كلام مجاهد ؛ لأنه يقول : «فلذلك صنع

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٩٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٦ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٧ .

(٣) بحر العلوم ٢/ ٣٥٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٦ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٢ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٧ .

(٦) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٩٩ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٧٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٠ منسوب إلى ابن عباس ، وزاد المسير ٥/ ٣١٥ ، والكشاف ٢/ ٥٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٠ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٩ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٢ .

السامري»[١] ؛ أي فعل كما فعلنا . وقال آخرون : «وكذلك ألقى السامري ؛ يعني : ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل»[٢] .

قال قتادة : «وقد كان صر في عمامته قبضة من أثر فرس جبريل يوم جاوز ببني إسرائيل فقذفها فيها»[٣] . فهذا معنى قول ابن عباس في رواية السُّدِّي عن أبي مالك ، عنه[٤] . وعلى هذا معنى ﴿أَلْقَىٰ﴾ ألقى القبضة التي كانت معه من التراب . ولعل الأقرب هذا القول[٥] ؛ لأن الله - تعالى - أتبعه .

٨٨. بقوله : ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ . قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : «لمّا أسبكت الحلي في النار أقبل السامري إلى النار ، فقال لهارون : يا نبي الله ألقي ما في يدي ؟ قال : نعم ، ولا يظن هارون إلَّا أنه لبعض ما جاء به غيره من تلك الحلي والأمتعة ، فقذفه فيها ، وقال : كن عجلاً جسداً له خوار ، فكان للبلاء والفتنة»[٦] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٥ ، وتفسير مجاهد ٤٦٥ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٩٩ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٧ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٥ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٩٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٠ ، وذكر نحوه الصنعاني في تفسير القرآن ٢/ ١٧ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٢٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٠ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٥ .

(٥) قال ابن عطية ١٠/ ٧٢ : «وروي وهو الأصح الأكثر : أنه ألقى الناس الحلي في حفرة أو نحوها ، وألقى هو عليه القبضة فتجسد العجل ، وهذا وجه فتنة الله - تعالى - لهم ، وعلى هذا ، انخرقت للسامري عادة ، وأمَّا على أن يصوغه فلم تنخرق له عادة وإنما فتنوا حينئذٍ بخواره فقط ، وذلك الصوت قد تولد في الأجرام بالصنعة» .

(٦) بحر العلوم ٢/ ٣٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٥ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٧ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٧ .

وقال السُّـدِّي عن أبي مالك عن ابن عبـاس : «قال لهم هارون : اجمعوا هذا الحلي حتى يجيء موسـى فيقضي فيه ، قال : فجمع ثم أذيب ، فلمَّا ألقى السامري القبضة تحول عجلاً جسداً له خوار»[١] .

وقال علي بن أبي طالب : «لمّا تعجل موسى إلى ربه ، عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي نساء بني إسرائيل ، فضربه عجلاً ثم ألقى القبضة في جوفه فإذا هو عجل جسد له خوار»[٢] .

وقال قتـادة : «ضربها صورة بقرة ، وقذف فيهـا القبضة فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار ، فجعل يخور خوار البقرة»[٣] .

وقال ابن عبـاس في رواية عطـاء : «﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ ؛ يريد لحماً ودمـاً . ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ كما يخـور الحي من العجول»[٤] . وذكر في التفسـير وحكاه الزجَّاج[٥] . وهو قول ابن عباس في رواية عكرمة : «أن هارون مر بالسامري وهو يصنع العجل ، فقال له : ما تصنع ؟ قـال : اصنع ما ينفع ولا يضر . وقال : ادع لي . فقال : اللهم أعطه ما يسأل كما يجب . فسأل الله أن يجعل للعجل خوار»[٦] .

وقال الحسـن : «صور بقرة صاغها من الحلي الذي كان معهم ثم ألقى عليها من أثر فرس جبريل فانقلبت حيواناً يخور»[٧] .

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٤١٩ .

(٢) بحر العلوم ٢/ ١٥٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٥ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٠٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٩ ، وذكر نحوه الصنعاني في تفسير القرآن ٢/ ١٧ .

(٤) بحر العلوم ٢/ ١٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٥ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٢ .

(٦) الكشـف والبيان ٣/ ٢٣ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٠ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٦ .

(٧) النكت والعيون ٣/ ٤١٩ .

وقال مجاهد : «خواره حفيف الريح إذا دخلت جوفه»[١] .

قال أبو إسحاق : «الذي قاله مجاهد من أن الخوار حفيف الريح ، فيه أسوغ إلى القبول ؛ لأنه شيء ممكن ، والتفسير الآخر من أنه خار ، ممكن في محنة الله»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ . أكثر أهل التفسير : «فقال السامري هذا إلهكم [وإله موسى»[٣] .

وروي عن علي رضي الله عنه : «فقال لهم السامري : هذا إلهكم»][٤][٥] .

وقال قتادة : «فقال عدو الله : هذا إلهكم»[٦] .

والمفسرون يقولون : فقال : هذا إلهكم . وفي التنزيل : ﴿فَقَالُوا﴾ فيحتمل أن المعنى : وقال السامري ومَن تابعه ممن افتتن بالعجل .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : «عكفوا عليه ، وأحبوه حُباً لم يحبوه شيئاً قط»[٧] .

---

(١) تفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٨ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٥ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٢ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٠١ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٦ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٨ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٢/ ٤١٢ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٧ ، وإرشاد العقل السليم ٦/ ٣٦ .

(٦) المحرر الوجيز ١١/ ٩٩ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٦ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٨ .

(٧) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٧ .

وقوله تعالى : ﴿فَنَسِيَ﴾ . روى السُّدِّي عن أبي مالك عن ابن عباس في قوله : ﴿فَنَسِيَ﴾ قال : «إن موسى ذهب يطلب ربه فضلَّ ولم يعلم مكانه»[(١)] . ونحو هذا قال في رواية عطاء : «أي ضلَّ وأخطأ الطريق»[(٢)] .

وروى سماك بن حرب عنه قال : «نسي موسى أن يذكر لكم أن هذا إلهه وإلهكم»[(٣)] . ونحو هذا روى عكرمة عنه[(٤)] .

وقال السُّدِّي : «﴿فَنَسِيَ﴾ يقول : ترك موسى إلهه هاهنا وذهب يطلبه»[(٥)] .

وقال قتادة : «يقول : إن موسى إنما طلب هذا ، ولكنه نسيه وخالفه في طريق آخر»[(٦)] . وعلى هذا قوله : ﴿فَنَسِيَ﴾ إخبار عن السامري [أنه قال ذلك .

وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : «﴿فَنَسِيَ﴾ ؛ أي ترك ما كان عليه من الإسلام»[(٧)] . يعني السامري][(٨)] ، وعلى هذا القول قوله : ﴿فَنَسِيَ﴾ كلام

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٠١ ، وتفسير القرآن ٣/ ١٨٠ ، وذكر في معالم التنزيل ٥/ ٢٩٠ من دون نسبة ، وكذلك المحرر الوجيز ١/ ٧٨ .

(٢) زاد المسير ٥/ ٣١٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٨ ، وذكر في معالم التنزيل ٣/ ٢٢٨ من دون نسبة ، وكذلك القرطبي ١١/ ٢٣٦ .

(٣) القرطبي ١١/ ٢٣٦ ، وابن كثير ٣/ ١٨٠ ، وذكر نحوه في الدر المنثور ٤/ ٥٤٧ .

(٤) بحر العلوم ٢/ ٣٥٢ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٠ ، وأضواء البيان ٤/ ٤٩٧ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢٠١ ، وذكر في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٦ من دون نسبة .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٢٠١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٩ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٩ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٢٠١ ، والنكت والعيون ٣/ ٤١٩ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٥ ، وابن كثير ٣/ ١٨٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٦٩ ، وأضواء البيان ٤/ ٤٩٧ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

الله – تعالى – في وصف السامري أنه نسي ؛ أي ترك ما كان عليه من الإيمان ؛ لأنه نافق لمّا عبر البحر[١] ، فعيَّرهم الله بصنيعهم ، وقال موبِّخاً لهم :

٨٩. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ . قال المُبرِّد : «أفلا يعلمون ؛ لأن رأيت على ضربين : على رؤية القلب ، وعلى رؤية العين ، وما كان من رؤية القلب فالمراد به العلم»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ . قال أبو إسحاق : «الاختيار الرفع ، ويكون المعنى : أنه لا يرجع ، كما قال : ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ﴾ [الأعراف :١٤٨] قال : ويجوز أن لا يرجعَ ينتصب بأن»[٣] .

قال المُبرِّد : «﴿أَن﴾ هاهنا مخففة من الثقيلة والمعنى : أنه لا يرجع ، كقوله : ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل :٢٠] ، ولا يكون بعد العلم إلَّا ثقيلة ، ومخففة من الثقيلة ، وتخفف إذا جئت بالعوض نحو : السين وسوف ، نحو : علمت أن سيذهبون ، وأن سوف يذهبون ، وعلى[٤] هذا قولنا : أشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله ، خففت الأولى من الثقيلة ؛ لأنك جئت بالعوض وهو لا وشددت الثانية ؛ لأنه الإيجاب»[٥] .

---

(١) قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره ١٦/ ٢٠١ : «والذي هو أولى بتأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن هؤلاء وهو أن ذلك خبر من الله – عز ذكره – عن السامري أنه وصف موسى بأنه نسي ربه ، وأن ربه الذي ذهب يريده هو العجل الذي أخرجه السامري ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه وأنه عقيب ذكر موسى ، وهو أن يكون خبراً من السامري عنه بذلك أشبه من غيره» .

(٢) ذكر نحوه في المقتضب ٢/ ٣١ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٣ .

(٤) في (ص) : (ومن) .

(٥) المقتضب ٣/ ٧ .

وهذا الفصل مستقصى عند قوله : ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٌ﴾ [المائدة :٧١] ، ومعنى ﴿أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾ لا يكلمهم ولا يرد لهم جواباً ، كما قال في هذا المعنى : ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ﴾ [الأعراف :١٤٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ توبيخ لهم إذا عبدوا مَن لا يملك ضراً من ترك عبادته ، ولا ينفع مَن عبده ، وتركوا عبادة مَن يملكها .

٩٠. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ﴾ ؛ أي من قبل أن يأتي موسى ، وذلك أنه لمّا رأى ما وقعوا فيه قال لهم : ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : «ضللتم به»[(١)] . وقيل : «ابتليتم به»[(٢)] . ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ لا العجل ، ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ في عبادته لا أمر السامري ، فعصوه .

٩١. وقالوا : ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾ ؛ لن نزال مقيمين على عبادة العجل[(٣)] . ﴿حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ ، فلمَّا رجع موسى .

٩٢. ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ﴾ ؛ أي افتتنوا في دينهم . وقال الكلبي : «كفروا وأخطؤوا الطريق»[(٤)]

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٦ من دون نسبة .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٠٢ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٣ ب ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٧٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٦ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٠٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٠ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٧ .

(٤) ذكر في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٧ من دون نسبة .

٩٣. ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ لا زائدة[١] ؛ أي ما منعك من اتباعي واللحوق بي ، وترك المقام بين أظهرهم ليرغبهم خروجك من بينهم[٢] . وقيل : «من اتباعي في الإنكار عليهم»[٣] .

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ . قال ابن عباس : «يريد أن مقامك بينهم ، وقد عبدوا غير الله ، عصيان منك»[٤] . وعلى هذا ، إنما عذله على المقام في ما بينهم وقد كفروا ، ثم أخذ برأس أخيه غضباً منه عليه . قال الكلبي : «أخذ شعره بيمينه ولحيته بشماله»[٥] . ولم يذكر هاهنا أخذه لذكره في سورة أخرى[٦] ؛ ولأن قوله : ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ يدل على الأخذ ، فلمَّا أخذ موسى ذلك منه .

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٠/ ٨٠ : «ذهب حذاق النحاة إلى أنها مؤكدة وأن في الكلام فعلًا مقدراً كأنه قال ما منعك ذلك أو حضك أو نحو هذا على أن لا تتبعن وما قبل وما بعد يدل على هذا ويقتضيه» . وقال الزركشي في البرهان ٣/ ٩٠ : «وقيل ليست بزائدة من وجهين :

١ .أن التقدير : ما دعاك إلى ألَّا تتبعني ؛ لأن الصارف عن الشيء داعٍ إلى تركه ، فيشتركان في كونهما من أسباب عدم الفعل .

٢ . أن التقدير : ما منعك من ألَّا تتبعني ، وهذا أقرب مما قبله ؛ لأن فيه إبقاء المنع على أصله ، وعدم زيادتها أولى ؛ لأن حذف حرف الجر مع أنه كثير لا يصل إلى المجاز ، والزيادة في درجتها . قالوا : وفائدة زيادتها تأكيد الإثبات ، فإن وضع ﴿لَا﴾ نفي ما دخلت عليه فهي معارضة للإثبات ولا يخفى أن حصول الحكم مع المعارض أثبت مما إذا لم يعترضه المعارض أو أسقط معنى ما كان من شأنه أن يسقط» . انظر : النبأ العظيم لمحمد عبدالله دراز ١٣٠-١٣٦ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٠٢ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٣ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩١ .

(٣) زاد المسير ٥/ ٣١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٧ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٧ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٠٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٥١ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف :١٥٠] .

٩٤. ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ أضافه إلى الأم دون الأب ترقيقاً واستعطافاً ، هذا معنى قول الكلبي[١] .

وقال أبو إسحاق : «وقيل في هارون : إنه لم يكن أخا موسى لأبيه ، وكان أخاه لأمه»[٢] . وقُرئ : (يا بن أم) بالكسر والفتح[٣] . وذكرنا الوجه في سورة الأعراف[٤] .

وقوله تعالى : ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ أراد ولا شعر رأسي . فإن قيل : الأخذ باللحية يؤدي إلى الاستخفاف بمَن فعل به ، فلِمَ فعل ذلك موسى ؟ والجواب : أن العادة في ذلك الزمان لم تكن كهذه العادة بل كان يجري ذلك مجرى القبض على اليد ، والأشياء تختلف حكمها بحسب العادة فيها[٥] ، وقيل : «إنه أجراه مجرى نفسه إذا غضب في القبض على لحيته ؛ لأنه لم يكن يتهم عليه كما لا يتهم على نفسه»[٦] .

---

(١) الكشف والبيان ٣/ ٢٣ ب ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٨١ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٥١ ، وقال : «فإن الجمهور على أنهما كانا شقيقين» .

(٢) ذكر هذا القول في الكشف والبيان ٣/ ٢٣ ب ، ولم أجده بهذا اللفظ عند الزجَّاج ، والذي ورد في معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٣ قوله : «وقد قيل في هارون : إنه لم يكن أخا موسى لأمه» . وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٠/ ٨١ : «وقالت فرقة لم يكن هارون أخا موسى إلَّا من أمه ، وهذا ضعيف» .

(٣) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم (يا بن أمَّ) بفتح الميم ، وقرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم في رواية أبي بكر (يا بن أمِّ) بكسر الميم . انظر : السبعة ٤٢٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٨ ، والعنوان في القراءات ١٣٠ .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف : ١٥٠] .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٩ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٥٥ .

قال ابن الأنباري : «وقع في نفس موسى أن هارون[١] عصى الله بترك اتباعه ، فأخذ بلحيته ورأسه غضباً لله ، وتأديباً لهارون»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد إن أنا أتيتك»[٣] بمعنى : إن فارقتهم واتبعتك ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد[٤] : جماعتهم»[٥] . وذلك أنه لو لحق بموسى لصاروا أحزاباً : حزب يسيرون معه ، وحزب يتخلفون عنه مع الإيمان والإنكار على عبدة العجل ، وحزب مع السامري ، فلا يؤمن أن يصيروا في الخلاف إلى تسافك ، فاعتذر بما مثله يقبل ؛ لأنه وجه من وجوه الرأي[٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ يعني : ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك : اخلفني في قومي[٧] .

وقال ابن جريج في قوله : «ألا تتبعني» ؛ أي في شدة الزجر لهم عن الكفر بالله وعبادة غير الله»[٨] .

---

(١) في (ص) : (أن موسى) ، وهو تصحيف .

(٢) ذكره ابن الجوزي بلا نسبة في زاد المسير ٥/ ٣١٧ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٩١ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٥١ .

(٤) قوله : (يريد) ساقط من نسخة (س) .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٠٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٩ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٨ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٢٠٤ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٣ ب ، والقرطبي ١١/ ٢٣٩ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٢٠٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩١ ، والقرطبي ١١/ ٢٣٩ .

(٨) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٤٢٠ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٧ ، والقرطبي ١١/ ٢٣٧ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٨ .

وقال في قولـه : ﴿خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ : «خشـيت من العنـف بهم أن يتفرقوا أحزاباً فيقتل بعضهم بعضـاً»[١] . فلمَّا اعتذر هارون بهذا العذر .

٩٥. قال موسـى للسـامري : ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد ما قصتك ؟»[٢] .

قال المفسرون : «ما شأنك الذي دعاك إلى ما صنعت ؟»[٣] . وأصل الخطب : الجليل من الأمر ، كأنه قيل له : ما هـذا الأمر العظيم الذي صنعت ؟[٤] . وقال الزجَّاج : «ما أمرك الذي تخاطب به ؟»[٥] .

٩٦. قوله تعالى : ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ . يقال : بصر الرجل إذا صار عليماً بالشيء[٦] . قال أبو عبيدة : «علمت ما لم تعلموا»[٧] .

وقال ابن عباس : «عرفت ما لم تعرفوا»[٨] .

---

(١) ذكرته كتب التفسـير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٩١ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٧ ، والقرطبي ١١/ ٢٣٩ .

(٢) ذكر في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٩ من دون نسبة .

(٣) جامـع البيان ١٦/ ٢٠٤ ، والكشـف والبيـان ٣/ ٢٤ أ ، وبحر العلـوم ٢/ ٣٥٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩١ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٨٢ .

(٤) انظـر : تهذيب اللغة (خطـب) ١/ ١٠٥٢ ، والقاموس المحيط (الخطب) ١/ ٦٢ ، ولسـان العرب (خطب) ٢/ ١١٩٤ ، والمفردات في غريب القرآن (خطب) ١٥٠ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٤ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (بصر) ١/ ٣٤١ ، ومقاييس اللغة (بصر) ١/ ٢٥٣ ، والصحاح (بصر) ٢/ ٥٩١ ، ومختار الصحاح ٥٤ ، والمصباح المنير ١/ ٥٠ .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٦ .

(٨) ذكرته كتب التفسـير من دون نسـبة . انظر : الكشـف والبيان ٣/ ٢٤ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٩ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١١٣ .

وقُرئ : ﴿يَبْصُرُواْ﴾ بالياء والتاء[١] . مَن قرأ بالياء فالمعنى : بصرت بما لم يبصر به بنو إسرائيل ، ومَن قرأ بالتاء : صرف الخطاب إلى الجميع . قال له موسى : وما الذي أبصرت دون بني إسرائيل ؟ قال : ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ . قال ابن عباس وجميع المفسرين : «يريد أثر فرس جبريل»[٢] .

قال أبو إسحاق : «كان رأى فرس جبريل ، فقبض قبضة من تراب حافر الفرس»[٣] .

وروى السُّدِّي عن أبي عمارة[٤] عن علي رضي الله عنه ، قال : «إن جبريل لمّا نزل ليصعد بموسى إلى السماء أبصره السامري من بين الناس ، فقبض قبضة من أثر الفرس»[٥] . وعلى هذا معنى ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ ؛ أي رأيت ما لم تروه . وقال الكلبي : «قال السامري : رأيت جبريل على الفرس ، وهي الحياة بلقاء أنثى ، خطوها مد البصر ، فألقي في نفسي أن أقبض من أثرها ، فما ألقيته على شيء إلَّا صار له روح ولحم ودم ، فحين رأيت قومك سألوك أن تجعل لهم إلهاً[٦] ،

---

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ﴿يَبْصُرُواْ﴾ بالياء ، وقرأ حمزة ، والكسائي (تبصروا) بالتاء . انظر : السبعة ٤٢٤ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٤٩ ، والتبصرة ٢٦١ ، والنشر ٢/ ٣٢٢ .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٧ ، وجامع البيان ١٦/ ٢٠٥ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٤ أ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٩ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٤ .

(٤) قيس أبو عمارة الفارسي مولى الأنصار ، وقيل : مولى سودة بنت سعد مولاة بني ساعدة من الأنصار ، روى عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن حزم ، وروى عنه إسماعيل بن أبي أويس ، وخالد بن مخلد ، ومعن بن عيسى ، وثقه العلماء وأثنوا عليه ، وروى له ابن ماجه وغيره ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٦٠هـ . انظر : الجرح والتعديل ٧/ ١٠٦ ، والثقات ٩/ ١٥ ، وتهذيب التهذيب ٨/ ٤٠٦ ، والكاشف ٢/ ٤٠٣ ، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٨٩ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨١ ، وقال : «غريب» ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١١٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٥٣ .

(٦) يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف :١٣٨] .

حدثت لي نفسي بذلك ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾»[١] . وعلى هذا معنى : ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ﴾ ؛ أي علمت ما لم تعلم بنو إسرائيل من أخذ تراب حافر فرس جبريل . وقال الكلبي بإسناده عن ابن عباس : «لمّا أمر فرعون بذبح ولدان بني إسرائيل كانت المرأة تلد فتطرح ولدها حيث لا يشعر به أصحاب فرعون ، فيأخذ الولدان الملائكة ، فيربوهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس ، فكان السامري ممن أخذه جبريل ، فغذاه فلمَّا رآه على فرسه عرفه ، فقبض القبضة من تحت حافر فرسه»[٢] .

وقوله : إنها إذا جعلت في موات حي ، فذلك قوله : ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ ؛ أي من أثر فرسه ، يعني من حيث وضع عليه حافره ، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ؛ وألقيتها في صورة العجل ، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ؛ وكما حدثتك يا موسى ﴿سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ زينت لي نفسي من أخذ القبضة وإلقائها في صورة العجل .

٩٧. قوله تعالى : ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ﴾ . روي في التفسير : «أن موسى -عليه السلام- همَّ بقتل السامري ، فنهاه الله عن ذلك وقال : لا تفعل ، فإنه

---

(١) ذكره الصنعاني مختصراً في تفسير القرآن ٢/ ١٧ ، وذكره القرطبي ١١/ ٢٣٩ من دون نسبة ، وأورد نحوه ابن كثير ٣/ ١٨٢ . وقد ورد في حديث الفتون عن ابن عباس ما يخالف ذلك ؛ إذ قال : «اجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح له خوار» ، ثم قال ابن عباس : «والله ما كان له صوت قط إنما كانت الريح تدخل دبره فتخرج من فيه ، وكان ذلك الصوت من ذلك» . انظر : مجمع الزوائد في كتاب التفسير ، (سورة طه) ٧/ ٦٤ .

(٢) ذكر نحوه جامع البيان ١٦/ ٢٠٥ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٢ ، وأورده النكت والعيون ٣/ ٤٢٣ من دون نسبة ، وكذلك معالم التنزيل ٥/ ٢٩٢ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ١١/ ١٠١ وقال : «هذا ضعيف» ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٠ ، والرازي في التفسير الكبير ٢٢/ ١١١ ، وقال : «والذي ذكروه من أن جبريل -عليه السلام- هو الذي رباه فبعيد» . ولعل هذا القول من الروايات الإسرائيلية التي ذكرت في هذا الباب .

سخي»[١][٢] . فقال له موسى : ﴿فَٱذۡهَبۡ﴾ ؛ أي من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ . قال ابن عباس : «لك[٣] ولولدك»[٤] . والمساس : فِعال من المساسة ومعنى لا مساس : لا يمس بعضنا بعضاً[٥] .

قال الكلبي : «يقول : لا يخالط أحداً ولا يخالطك»[٦] . وأمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يؤاكلوه ولا يقربوه[٧] .

وقال أبو إسحاق : «التأويل : أن موسى حرَّم[٨] مخالطة السامري ، والمعنى : أنك في الدنيا لا تخالط جزاء لفعلك»[٩] . وعلى هذا ، كأن موسى صيَّره مهجوراً ، وأمر قومه بمجانبته ، وأن لا يخالطوه ولا يؤاكلوه ولا يبايعوه ، هذا معنى ما ذكر

---

(١) السخاوة والسخاء : الجود ، والسخي : الجواد . انظر : تهذيب اللغة (سخا) ٧/ ٤٨٧ ، والقاموس المحيط (السخي) ٤/ ٣٤١ ، ولسان العرب (سخا) ٩/ ٢٠٨ ، ومختار الصحاح (سخا) ٢٩١ .

(٢) الكشف والبيان ٣/ ٢٤ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤١ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٥٦ . وهذا القول من الروايات الإسرائيلية التي ذكرها أهل التفسير في هذه الآية .

(٣) قوله : (لك) ساقط من نسخة (ص) .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٩٢ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٥٦ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (مس) ٤/ ٣٣٩ ، ومقاييس اللغة (مس) ٥/ ٢٧١ ، ولسان العرب (مس) ٧/ ٤٢٠١ ، والمفردات في غريب القرآن (مسس) ٤٦٧ .

(٦) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٠٦ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٤ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٠ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٢٠٦ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٤ أ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٤ ، ومعالم التنزيل ٣٥/ ٢٩٢ .

(٨) قوله : (حرم) ساقط من نسخة (ص) .

(٩) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٤٧٣ .

في هذه الآية[١] . غير أن اللفظ لا يدل على هذا ؛ لأنه إذا هجر لم يقل : لا مساس إنما يقال له ذلك[٢] .

على أن ابن الأنباري ذكر في هذا وجهين ؛ أحدهما : «أن السامري ألهم هذا القول ، وأجبر عليه إذلالاً له وتصغيراً لشأنه . والثاني : أن الفعل نسب إلى السامري وهو في المعنى لغيره . وتلخيصه : فاذهب فإن لك في الحياة أن يقال لك : لا مساس ، فنسب إليه قول غيره تحقيقاً للزوم الفعل وبقائه»[٣] ، هذا كلامه .

والصحيح ما ذكر في التفسير من وجه آخر : أنه جعل يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لا يمس أحداً ولا يمسه أحد ، عاقبه الله بذلك»[٤] . وكان إذا لقي أحداً يقول : لا مساس ؛ أي لا تقربني ولا تمسني ، وصار ذلك عقوبة له ولولده حتى إن بقاياهم اليوم يقولون ذلك[٥] . وذكر : «أنه إن مس واحد من غيرهم أحداً منهم حمَّ كلاهما في الوقت»[٦] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٠٦ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٤ أ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٠ .

(٢) قال الرازي ـ رحمه الله ـ في تفسيره ٢٢/ ١١٣ : «وهذا الاعتراض ضعيف ؛ لأن الرجل إذا بقي طريداً فريداً فإذا قيل له كيف حالك ؟ فله أن يقول : لا مساس ؛ أي لا يماسني أحد ولا أماس أحداً ، المعنى : أني أجعلك يا سامري في المطرودين بحيث لو أردت أن تخبر غيرك عن حالك لم تقل إلَّا أنه لا مساس ، وهذا الوجه أحسن وأقرب إلى نظم الكلام» .

(٣) ورد نحوه بلا نسبة في زاد المسير ٥/ ٣١٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٧٥ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٥٦ .

(٤) النكت والعيون ٣/ ٤٢٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٢ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٤١ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢٠٦ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٤ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٤٩ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٩ .
قول المؤلِّف رحمه الله : «إن بقاياهم اليوم يقولون ذلك» هو قول يحتاج إلى دليل ؛ فليس في ظاهر الآية دليل على هذا القول ، وقد قال – تعالى – في سورة النجم : ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ٢٤ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٢ ، والكشاف ٢/ ٥٥١ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤١ .

وهذا معنى ما ذكره قتادة في قوله : ﴿لَا مِسَاسَ﴾ قال : «عقوبة لهم»[١] . ومعنى : أن ذلك في الحياة ؛ أي أنك ما دمت حيّاً تعاقب بهذه العقوبة فإذا صرت إلى الآخرة جوزيت بما تستحق ، وهو قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد موعد القيامة»[٢] . والموعد هاهنا مصدر يعني أن لك وعداً لعذابك ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ وقُرئ : بفتح اللام[٣] ، فمَن كسر اللام كان المعنى : لن تخلف ذلك الوعد ؛ أي ستأتيه ولا مذهب لك عنه ، ومَن فتح اللام كان المعنى : لن تخلف ذلك الوعد أي سيأتيك به الله ولن يتأخر عنك .

قال أبو إسحاق : «أي يكافئك الله على ما فعلت في القيامة ، والله لا يخلف الميعاد . ومَن قرأ : ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ فالمعنى : أنك تبعث وتوافي القيامة لا تقدر على غير ذلك»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد الذي طفقت تعبده وظللت عليه مقيماً»[٥] . وظلْتَ أصله ظلَلت .

---

(١) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٨ .

(٢) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٢ من دون نسبة .

(٣) قرأ نافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بفتح اللام ، وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو (لن تخلِفه) بكسر اللام . انظر : السبعة ٤٢٤ ، والحجة ٥/ ٢٤٩ ، وحجة القراءات ٤٦٣ ، والتبصرة ٢٦١ .

(٤) معاني القرآن للزجّاج ٣/ ٣٧٥ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢٠٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٩ ، وفتح القدير ٣/ ٥٤٩ .

قال الزجَّاج : «ولكن الـلام حذفت لثقل التضعيف والكسر»[(١)] . والعرب تفعل ذلك كثيراً ، قال ابن مغراء[(٢)(٣)] :

مَـسْنَـا السَّمَاءَ فَنِلْنَـاهَا وطَـالَهُمُ حَـتَى رأَوا أُحُـداً يَمْشِي وَثَهْلَانَا

فحذفوا أحد السينين من (مسسنا) استثقالاً للجمع بينهما ومثله كثير .

وقوله تعـالى : ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾(قـال ابن عبـاس في رواية الوالبـي : «يقول بالنار»[(٤)] . وروي عنه : «فحرقه بالنار ثم ذراه في البحر»[(٥)(٦)] .

وقال الكلبـي : «أحرق العجل بالنار ، ثم دق ، ثم ذري في البحر»[(٧)] ، وهو النسف .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٥ .

(٢) أوس بن مغراء من بني ربيعة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد ، شاعر اشتُهِر في الجاهلية ، وعاش زمناً في الإسـلام ، له شعر في الهجاء والمدح . انظر : الشـعر والشعراء ٤٥٧ ، وسمط اللآلئ ٧٩٥ ، والأغاني ٥/ ١٢ ، والأعلام ٢/ ٣١ .

(٣) البيت لأوس بن مغراء السـعدي . انظر : تهذيب اللغة (مس) ٤/ ٣٣٩ ، ولسـان العرب (مسـس) ١٧/ ٤٢٠١ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٢٠٨ ، وتفسـير القرآن العظيم ٣/ ١٨٢ ، والدر المنثـور ٤/ ٥٤٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٥٧ .

(٥) في (ص) : (في اليم) .

(٦) جامـع البيان ١٦/ ٢٠٨ ، والكشـف والبيـان ٣/ ٢٤ أ ، والـدر المنثـور ٤/ ٥٤٩ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٥٨ .

(٧) ذكرت كتب التفسـير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٥٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٣ ، وزاد المسير ٥/ ٣١٩ ، والقرطبي ١١/ ٢٤٢ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١١٣ .

وقال السُّـدِّي : «أخذ موسى العجل فذبحه ، فسـال منه دماً كما يسيل من العجل إذا ذبح ، ثم حرقه بالمـبِّرد ، ثم ذراه في اليم»[١] . وهذا على ، معنى حرق عظامه بالمبرِّد ، كما قال الكلبي : «ثـم دق» . وهذا على قراءة مَن قرأ : (لَنُحْرِقَنَّه) وليسـت قراءته في مشـهور القراءة[٢] . والصحيح : أن ذلك العجل صار لحماً ودمـاً ، وإذا كان كذلك فالحرق بالمبرِّد فيه بعيد . وفي حرف عبدالله : لنذبحنه ثم لنحرقنه[٣] .

وروى عطاء عن ابن عباس : «فبرد بالمبارد ثم ألقي في البحر»[٤] .

وهـذا يحمل على برد عظامـه ، إلَّا على قول مجاهد فإنـه لم يجعله لحماً ودماً ، وحينئـذ برد العجل بالمبرِّد وهو من الذهـب . والدليل على أن المبرِّد كان للعظام قول ابن مسـلم في قولـه : ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ «أي لنطيرن تلك البرادة والرمـاد في البحر»[٥] . والرماد يكون لما أحرق بالنار . ومعنى النسـف : نقض الشيء لتذهب به الريح ، وهو : التذرية[٦] .

---

(١) الكشـف والبيان ٣/ ٢٤ أ ، والقرطبي ١١/ ٢٤٢ ، وذكر نحوه في جامع البيان ١٦/ ٢٠٨ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٠ .

(٢) قرأ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (لَنَحْرُقنه) بفتح النون وضم الراء ، وقرأ الحسـن (لنُحْرِقنه) بضم النون وسكون الحاء وكسر الراء . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٠٨ ، والمحتسب ٢/ ٥٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٥٧ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٢٨١ ، وغريب القرآن لابن الملقن ٢٤٩ .

(٣) جامـع البيان ١٦/ ٢٠٨ ، والكشـف والبيان ٣/ ٢٤/ أ ، وبحر العلـوم ٢/ ٣٥٣ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٨٧ ، والكشف ٢/ ٥٥٢ .

(٤) ذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥٤٩ ، وعزاه لابن أبي حاتم .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسـبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٠٨ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٣ .

(٦) انظر : تهذيـب اللغة (نسـف) ٤/ ٣٥٦١ ، والقاموس المحيـط ٣/ ١٩٩ ، والصحاح ٤/ ١٤٣١ ، ولسان العرب ٧/ ٤٤١١ ، والمفردات في غريب القرآن ٤٩٠ .

٩٨. قوله تعالى : ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا أيضاً إخبار عن موسى أنه قال لقومه . والمعنى : إلهكم الذي يستحق العبادة الله لا العجل ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ تاماً لم يضق علمه عنه ، فلا يخفى عليه شيء ، والتقدير : وسع كل شيء علمه ، ثم نقل الفعل عن العلم ونصب على التفسير ، وهي لفظة عجيبة في الفصاحة .

٩٩. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ؛ كما قصصنا عليك نبأ موسى وقومه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد القرآن»[(١)] .

ثم أوعد على الإعراض عنه وترك الإيمان به .

١٠٠. فقال : ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ . قال مجاهد : «إثماً»[(٢)] . قال أهل المعاني : «إثماً عظيماً»[(٣)] . لأن الوزر معناه : الحمل الثقيل[(٤)]

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٤ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٠٩ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٧٨ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٩ .

(٣) القرطبي ١١/ ٢٤٤ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٧٨ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٥٩ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (وزر) ٤/ ٣٨٨٣ ، والقاموس المحيط (الوزر) ٢/ ١٥٤ ، والصحاح (وزر) ٢/ ٨٤٥ ، ولسان العرب (وزر) ٨/ ٤٨٢٣ .

١٠١. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ ؛ أي في عذابه عـذاب ذلك الوزر ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ . قال الوالبي عن ابن عباس : «يقول : بئس ما حملوا»[١] . [وقال عطاء عنه : «يريد : بئس يوم القيامة ﴿حِمْلًا﴾ يريد : سوء العذاب»[٢] .

وقال الكلبي : «بئس ما حملوا][٣] على أنفسهم من المآثم كفراً بالقرآن»[٤] .

قال أبو إسحاق : «المعنى : بئس الوزر لهم حملاً يوم القيامة . و (حملاً) منصوب على التمييز»[٥] .

١٠٢. قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ . وقرأ أبو عمرو (ننفخ) بالنون ، والوجه قراءة العامة[٦] لقوله : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾[٧] ، وقوله : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ :١٨] ؛ ولأن النفخ يكون من المَلَك الموكل بالصور بأمر الله ، فالأجود أن يقرأ على غير تسمية الفاعل ، ووجه قراءة أبي عمرو : أنه على معنى إضافة الأمر بالنفخ إلى الله تعالى ، ويقوي ذلك ما عطف عليه من قوله : ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ يقال : زَرِقَتْ عينه ، تَزْرَقُ ، زَرَقاً ، وزُرْقَةً ، وازْرَاقَّت ، ازرِقَاقاً[٨] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٠٩ ، والدر المنثور ٤/ ٥٤٩ ، وفتح القدير ٣/ ٣٨٥ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٤ ، وفتح القدير ٣/ ٣٨٥ .

(٣) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س) .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٩٣ ، ومجمع البيان ٧/ ٤٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٧٨ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٦ .

(٦) قرأ نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وحمزة والكسائي ، وعاصم ﴿يُنفَخُ﴾ بالياء ، وقرأ أبو عمرو البصري (تنفخ) بالنون .
انظر : السبعة ٤٢٤ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٥٠ ، وحجة القراءات ٤٦٣ ، والتبصرة ٢٦١ .

(٧) وردت هذه الآية في سور عدة : الكهف : الآية ٩٩ ، ويس : الآية ٥١ ، والزمر : الآية ٦٨ ، وق : الآية ٢٠ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (زرق) ٢/ ١٥٢٥ ، والقاموس المحيط (الزرق) ٣/ ٢٤٠ ، والصحاح (زرق) ٤/ ١٤٨٩ ، ولسان العرب (زرق) ٣/ ١٨٢٧ .

قال ابن عباس : «يريد : بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله إلهاً»[١] .

قال : «يريد : زرق العيون سود الوجوه»[٢] . وإلى هذا ذهب جماعة من المفسرين : «أن معنى الزرق هاهنا أن في عيونهم زرقاً ، وهي الخضرة في سواد العين»[٣] . كعين السَّنَّوْرُ[٤] والعرب تتشاءم بالزرق وتذمه[٥] . والمعنى في هذا : تشويه الخلق بسواد الوجوه وزرقة العيون .

وقال الكلبي : «زرقاً : عمياً»[٦] .

وذكره الفرَّاء ، وابن الأعرابي ، والزجَّاج[٧] ، قال الزجَّاج : «يخرجون من قبورهم بصراء ويعمون في المحشر . قال : وإنما قيل للعمي : زرق ؛ لأن السواد يزرق إذا ذهبت نواظرهم»[٨] ، هذا كلامه ، ولم يكشف عن المعنى . وذكر ابن قتيبة فقال : «أي بيض العيون من العمى قد ذهب الناظر والسواد»[٩] ، وهذا كلامه كما

---

(١) ذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٢١ من دون نسبة .

(٢) روح المعاني ١٦/ ٢٦٠ ، وذكره البغوي في تفسيره ٥/ ٢٩٤ من دون نسبة .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٢٤ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٤ ، وفتح القدير ٣/ ٥٥١ .

(٤) السَّنَّوْرُ : الهر ، مشتق منه ، وجمعه السَّنَانيرِ . انظر : لسان العرب (سنر) ٤/ ٢١١٧ ، والمعجم الوسيط (السنور) ١/ ٤٥٤ .

(٥) قال الزمخشري في تفسيره ٢/ ٥٥٣ : «إن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب ؛ لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ، ولذلك قالوا في صفة العدو : أسود الكبد ، أصهب السبال ، أزرق العين» .

(٦) زاد المسير ٥/ ٣٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٤ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١١٤ ، وذكرته بعض كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢١٠ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٤ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩١ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٦ ، وتهذيب اللغة (زرق) ٢/ ١٥٢٥ .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٦

(٩) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٢ .

قال ؛ لأن العرب تسمي كل أبيض صافي البياض : أزرق ، ويقال للمياه الصافية : زرق ، قال زهير[١] :

فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ

ويقال للأسنة : زرق لصفاء لونها[٢] . وهذا التفسير يوافق قوله : ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ [الإسراء :٩٧] ، وحكى الفرَّاء والزجَّاج في تفسير ﴿زُرْقًا﴾ : «عطاشاً»[٣] .

ورواه أيضاً أبو العباس عن ابن الأعرابي[٤] .

قال أبو إسحاق : «ومَن قال : عطاشاً فجيد أيضاً ؛ لأنهم من شدة العطش يتغير سواد أعينهم ، حتى يزرق»[٥] . وهذا الذي ذكره صحيح ؛ لأن العطش يؤثر في العين ، ومَن مات عطشاً ظهر ذلك في سواد عينيه ، ويشهد لهذا التفسير قوله تعالى : ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم :٨٦] . وحكى ثعلب عن ابن الأعرابي

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى .
زرقاً : الزرقة ، وهي شدة الصفاء ، يقال : ما أزرق إذا اشتد صفاؤه . والجمام : جمع جم ؛ الماء ، وجمته وهو : ما اجتمع منه في البئر والحوض وغيرهما . ووضع العصي : كناية عن الإقامة . والحاضر المتخيم : الحاضر النازل على الماء والمتخيم المقيم ، وأصله من تخيم إذا نصب الخيمة . انظر : ديوان زهير ٧٨ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٩١ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٧٩ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٣٣ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ١٤١ ، وتهذيب اللغة (زرق) ٢/ ١٥٢٥ ، ولسان العرب (زرق) ٣/ ١٨٠٢٧ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (زرق) ٢/ ١٥٢٥ ، والقاموس المحيط (الزرق) ٣/ ٢٤٠ ، ولسان العرب (زرق) ٣/ ١٨٢٧ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩١ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٦ .

(٤) تهذيب اللغة (زرق) ٢/ ١٥٢٥ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٦ .

في تفسير ﴿زُرْقًا﴾ : «طامعين في ما لا ينالونه»[(١)] . ووجه هذا التفسير : أن مَن يتطلع إلى شيء وطال به انتظاره يقول : قد ابيضت عيني بطول انتظاري[(٢)] .

١٠٣. قوله تعالى : ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «يتسارون بينهم»[(٣)] ، وذكرنا معنى هذا الحرف عند قوله : ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء :١١٠] . ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ ، وذلك لهول ما عاينوا ، نسوا مقدار مدة لبثهم في الدنيا ، فيقولون هذا القول[(٤)] .

وقيل : «يذهب عنهم طول لبثهم في الدنيا فيقولون هذا القول»[(٥)] .

وقيل : «يذهب عنهم طول لبثهم في قبورهم لشدة ما يرون من أحوالهم التي دهمتهم فكأنهم كانوا نياماً فانتبهوا»[(٦)] .

وقال عطاء عن ابن عباس : «﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ : يريد من النفخة الأولى إلى الثانية ، وذلك أنه يكف العذاب عنهم بين النفختين ، فإذا كانت النفخة الثانية بعثوا»[(٧)] . وذلك قوله : ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس :٥٢] .

---

(١) تهذيب اللغة (زرق) ٢/ ١٥٢٥ .

(٢) يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف :٨٤] .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢١١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥١ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٤ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٩٢ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٢١١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٤ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٥ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢١١ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٤ ب ، وزاد المسير ٥/ ٣٢١ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ٢٤ ب ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٤ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢١ .

(٧) زاد المسير ٥/ ٣٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٥ ، وذكره البغوي في تفسيره ٥/ ٢٩٤ من دون نسبة .

١٠٤. قال الله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾؛ أي بالنجوى بينهم، ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: «أعدلهم»[١]. [وقال الكلبي: «أعدلهم][٢] قولاً»[٣]. وقال السُّدِّي: «أمثلهم حالاً»[٤].

وقال سعيد بن جبير: «أوفاهم عقلاً»[٥]. وعنه أيضاً: «أعلمهم في نفسه»[٦]، وهو اختيار الزجَّاج قال: «أعلمهم عند نفسه بما يقول»[٧].

وقال الفرَّاء: «أجودهم قولاً في نفسه وعندهم»[٨]. والمعنى في ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أشبههم طريقة بأهل العقل. وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ [طه: ٦٣].

﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾؛ أي في الدنيا، أو في القبور، أو في ما بين النفختين على ما ذكرنا. ﴿إِلَّا يَوْمًا﴾. قال ابن عباس: «وقد لبثوا أربعين سنة؛ لأن ما بين النفختين أربعين سنة»[٩].

---

(١) ذكره السمرقندي في تفسيره ٥/ ٢٩٤ من دون نسبة.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٣/ ٢٣١ من دون نسبة.

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة. انظر: الكشف والبيان ٣/ ٢٤ ب، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٤، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٤، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٥.

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢١١، وذكر في بحر العلوم ٢/ ٣٥٤ من دون نسبة، وكذلك في معالم التنزيل ٥/ ٢٩٤.

(٦) جامع البيان ١٦/ ٢١١، والدر المنثور ٤/ ٥٥٠.

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٦.

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩١.

(٩) زاد المسير ٥/ ٣٢١، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٥، وروح المعاني ١٦/ ٢٦١، وذكره البغوي في تفسيره ٥/ ٢٩٤ من دون نسبة.

١٠٥. قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾. قال ابن عباس: «سأل رجال من ثقيف[١] رسول الله ﷺ فقالوا: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله هذه الآية»[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾. قال الكلبي: «يقلعها قلعاً»[٣].

وقال الزجَّاج: «النسف: التذرية تصير الجبال كالهباء المنثور تذرى تذرية»[٤].

وقال المفسرون: «يصيرها الله رملاً يسيل سيلاً ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا»[٥].

١٠٦. ﴿فَيَذَرُهَا﴾؛ أي يدع أماكنها من الأرض إذا نسفها ﴿قَاعًا﴾ قال الفرَّاء: «القَاع: ما انبسط من الأرض، وفيه يكون السَّراب نصف النهار، وجمعه: قِيْعَة، كما قالوا: جَارٌ وجِيْرَة»[٦].

---

(١) ثقيف: بطن من هوازن من العدنانية، يُنسبون إلى ثقيف، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوزان بن قيس بن عيلان بن مضر، وقيل: إن اسم ثقيف: قيس. ونزلت هذه القبيلة بالطائف، وانتشرت منها في البلاد. انظر: نهاية الأرب ١٩٨، والأنساب ١/ ٥٠٨، والمنتخب في ذكر أنساب العرب ٤١٢.

(٢) بحر العلوم ٢/ ٣٥٤، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٦٤، والمحرر الوجيز ١٠/ ٩٢، وزاد المسير ٥/ ٣٢٢، وذكر نحوه الهواري في تفسيره ٣/ ٥٢، ولباب النقول في أسباب النزول ١٤٦، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١٦.

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة. انظر: جامع البيان ١٦/ ٢١١، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٤، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٤، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٤٥، ولباب التأويل ٤/ ٢٨٠.

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٦.

(٥) النكت والعيون ٣/ ٤٢٥، والكشاف ٢/ ٥٥٣، وزاد المسير ٥/ ٣٢٢، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٥. يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

(٦) معاني الفرَّاء ٢/ ٢٥٤.

وقال الليث والأصمعي : «القَاع : أرض واسعة سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والأكام»[١] . وقال : «هذه قَاع ، ثلاث أَقْوَع ، وأَقْوَاع كثيرة ، وتجمع القِيعَة والقِيعَان ، وهو ما استوى من الأرض وما حواليه أرفع منه ، وهو مصب المياه ، ويصغر : قُوَيْعَةً في قول مَن أَنَّث ، ومَن ذكَّر قال : قُوَيْعٌ ، ودلت هذه الواو أن ألفها واواً»[٢] . وقال رؤبة[٣] :

وَوَدَّعْنَ أَقْوَاعَ الشَّمَالِيلِ بَعْدَمَا ذَوَى بَقْلُهَا أَحْرَارُهَا وذُكُورُهَا

وقوله تعالى : ﴿صَفْصَفًا﴾ . قال الفرَّاء : «هو الأملس الذي لا نبات فيه»[٤] .

وقال الزجَّاج : «المستوي من الأرض»[٥] . وقال ابن الأعرابي : «الصفصف : القرعاء»[٦] . وأنشد شمِر[٧] :

إِذَا رَكِبْتَ دَاوِيَّةً مُدْلَهِمَّةً وَغَرَّدَ حَادِيهَا لَهَا بِالصَّفَاصِفِ

---

(١) تهذيب اللغة (قاع) ٣/ ٢٨٥٨ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (قاع) ٣/ ٢٨٥٨ ، ومقاييس اللغة (قوع) ٥/ ٤٢ ، والقاموس المحيط (قاع) ٣/ ٧٧ ، والصحاح (قوع) ٣/ ١٢٧٤ ، ولسان العرب (قوع) ٦/ ٣٧٧٥ ، والمفردات في غريب القرآن (قيع) ٤١٥ .

(٣) هذا البيت يُنسب إلى ذي الرمة ، ولم أقف عليه منسوباً إلى رؤبة . الأقواع : جمع قاعٍ ، وهي الأرض المستوية حرة الطين لا رمل فيها ولا حجارة . والشمالِيل : مكان . وأحرار البقل : ما روق منه وحلى ، والذكر : ما خشن منه . انظر : ديوان ذي الرمة ٣٠٥ ، وتهذيب اللغة (قاع) ٣/ ٢٨٥٨ ، ولسان العرب (قوع) ٦/ ٣٧٧٥ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩١ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٧ .

(٦) تهذيب اللغة (صف) ٢/ ٢٠٢٨ .

(٧) البيت يُنسب إلى شمِر . الدو : الفلاة الواسعة ، وداوية : إذا كانت بعيدة الأطراف ، مستوية واسعة . مدلهمة : المدلهم الأسود ، وادلهم الليل والظلام ، وفلاة مدلهمة : لا علامة فيها . وغرد : طرب في الصوت والغناء ، والتغريد الصوت . وحاديها : حدى الإبل وحدابها زجرها وساقها ، والحدو سوق الإبل والغناء لها . انظر : تهذيب اللغة (صف) ٢/ ٢٠٢٨ ، ولسان العرب (صفف) ٤/ ٢٤٦٢ .

قال ابن عباس والمفسرون في قوله : ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ : «مستوياً لا نبات فيه أملس»[(١)] . هذا قول مجاهد ، والسُّدِّي ، وابن زيد[(٢)] .

١٠٧. قوله تعالى : ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ . العِوَج (بكسر العين) في الدين ، وفي الطرف ، وفي ما لا ينتصب . والعَوَج (بالفتح) في العود[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ قال أبو عبيدة : «الأمت : ارتفاع وهبوط ، يقال : مَدَّ حَبْلَه حتى ما ترك فيه أَمَتاً ، ومَلأَ سقاءه حتى لم يدع فيه أمتاً»[(٤)] .

وأنشد ليزيد بن ضبة النميري[(٥)][(٦)] :

لَهَا صُوْرَةٌ كَالشَّمْسِ أَشْرَقَ ضَوؤُهَا لُبَاخِيَّـةٌ هَيْفـاءُ لَيـسَ بِهَـا أَمْـتُ

قال المُبرِّد : «اللُّبَاخِيَّة الممتلئة الخلق»[(٧)] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢١٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٦ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢١٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (عاج) ٣/ ٢٢٦٤ ، ومقاييس اللغة (عوج) ٤/ ١٧٩ ، والقاموس المحيط (عوج) ١/ ٢٠١ ، ولسان العرب (عوج) ٥/ ٣١٥٥ ، والمفردات في غريب القرآن (عوج) ٣٥١ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٩ . ومن قوله (أمتاً) سقط من (س) حتى ٥٥٨ .

(٥) يزيد بن مقسم الثقفي ، من مواليهم ، وضبة أمه ، وهو شاعر كبير من أهل الطائف ، مات أبوه وخلفه صغيراً فحضنته أمه فنُسب إليها ، انقطع إلى الوليد بن يزيد فكان لا يفارقه ، ولّما انتقلت الخلافة إلى هشام أبعده ، وبقي في الطائف ، يقال : إن له ألف قصيدة اقتسمها شعراء العرب وانتحلوها فدخلت في أشعارهم ، وكان يتعمد الإتيان بغريب اللغة ، مات بالطائف سنة ١٣٠هـ . انظر : تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٥٠ ، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣١٧ ، وتقريب التهذيب ١/ ٦٠٥ .

(٦) ورد هذا البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣٠ .

(٧) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (لبخ) ١٤/ ٤٢٣ .

وقال الليث : «الأَمت : أن يصب في السِّـقا ماء فـلا يمتلئ فينثني ، فذلك الشيء هو الأَمْت . وتقول للقربة إذا امتلأت : لاَ أَمْتَ فيها»[١] .

وقال الفرَّاء : «الأَمْـت موضع النَّبْكِ[٢] من الأرض وهـو ما ارتفع منها ، وسمعت العرب يقولون : مَلأَ القِربة مَلأً لا أَمْتَ فيه»[٣] .

وقال ابن الأعرابي : «الأَمْتُ : وَهْدَةٌ بَين نُشُوزٍ»[٤] .

قـال ابن عباس في روايـة الوالبـي : «﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ : يقول : وادياً ، ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ : يقول : رابيةً»[٥] .

وقال قتادة : «﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ ؛ أي صدعاً ، ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ ؛ ولا أكمةً»[٦] . وهذا كقول ابن عباس سواء .

---

(١) ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (أمت) ١/ ١٩٤ ، والصحاح (أمت) ١/ ٢٤١ ، ولسان العرب (أمت) ١/ ١٢٤ .

(٢) النَّبْك : الأرض فيهـا صعود وهبوط ، والجمع نَبَك بالتحريك ، وقال الأصمعي : «النبك : ما ارتفع من الأرض» ، وقيل : كل رابية من روابي الرمال كانت مسـلكة الرأس ومحددته . انظر : تهذيب اللغة (نبـك) ٤/ ٣٤٩٩ ، والقاموس المحيط (النبكة) ٣/ ٣٢١ ، والصحاح (نبك) ٤/ ٢٦١٢ ، ولسـان العرب (نبك) ٧/ ٣٤٢٨ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩١ .

(٤) تهذيب اللغة (أمت) ١/ ١٩٤ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢١٣ ، وتفسـير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٦ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٠ .

(٦) تفسـير القرآن للصنعـاني ٢/ ١٩ ، وجامع البيـان ١٦/ ٢١٣ ، ومعالم التنزيـل ٥/ ٢٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٠ .

وقال الكلبي : «﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ ؛ وهي الأودية ، ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ يعني النَّبَاك»[١] . وقال مجاهد : «لا انخفاضاً ولا ارتفاعاً»[٢] .

وقال عكرمة عن ابن عباس : «ليس فيها منخفض ولا مرتفع»[٣] .

وقال في رواية ابن الأزرق : «الأَمْت : الشيء الشاخص من الأرض»[٤] . وقال في رواية عطاء : «﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ يريد نتواً»[٥] .

وقال السُّدِّي : «العوج : الطريق في الجبال ، والأمت : الروابي»[٦] . فهذه أقوال أهل اللغة والمفسرين في الأَمْت أنه : المرتفع .

وروى أبو بكر الهذلي عن الحسن قال : «العوج : ما انخفض من الأرض ، والأمت : ما نشز من الروابي»[٧] .

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٢٣ من دون نسبة ، وكذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٤٦ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢١٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٤ ب ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٥ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٠ .

(٤) الدر المنثور ٤/ ٥٥٠ ، وعزاه لابن الأنباري .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشاف ٢/ ٥٥٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٨٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٦٣ ، وأنوار التنزيل ٤/ ٣٠ .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٩٥ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٣ .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ٢٩٥ . قال الطبري ـ رحمه الله ـ في جامع البيان ١٦/ ٢١٣ : «أصوب الأقوال في تأويله : ولا ارتفاع ولا انخفاض ؛ لأن الانخفاض لم يكن إلَّا عن ارتفاع ، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام لا ترى فيها ميلاً عن الاستواء ولا ارتفاعاً ولا انخفاضاً ولكنها مستوية ملساء كما قال جل ثناؤه : ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾» .

١٠٨. قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾. قال الفـرَّاء: «صوت الداعي للحشر»[١].

قال المفسرون: «يتبعون صوت داعي الله - تعالى - الذي يدعوهم إلى موقف القيامة»[٢].

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾. قال الفـرَّاء: «لا عوج لهم عن الداعـي، وجاز أن يقول: ﴿لَهُۥ﴾؛ لأن المذهـب إلى الداعي وصوته، فهو كما تقـول في الكلام: دَعَوتني دَعْوةً لا عوج لك عنها؛ أي إني لا أعوج لك ولا عنك»[٣].

وقال أبو إسـحاق: «المعنـى لا عِوَج لهم عـن دعُائه، لا يقـدرون أن لا يَتَّبِعوا»[٤]. وهذا معنى قول ابن عباس: «يريد: البعيد والقريب سواء كلهم يتبع الصوت ولا يتعوج عنه»[٥].

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾. قال الوالبي عنه: «يريد: سكنت»[٦].

وقال عطاء: «يريد: خضعت وذلت»[٧]. وهو قول السُّـدِّي: «ذلت»[٨]. وهو قوله: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾. همـس الأقدام أخفى ما يكون من الصوت،

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٢.

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢١٤، والكشف والبيان ٣/ ٢٤، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٢، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٥.

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٢.

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٧.

(٥) ذكره الطبري في جامع البيان ١٦/ ٢١٤ من دون نسبة.

(٦) جامع البيان ١٦/ ٢١٤، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٧، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٤.

(٧) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٩٥ من دون نسبة.

(٨) ذكرته كتب التفسـير من دون نسبة. انظر: بحر العلوم ٢/ ٣٥٥، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٥، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٧.

وقال أبو عبيدة : «الهمس والرِّكْز واحد ، وهو الصوت الخفي . ويقال : همس لي بكذا ؛ أي أخفاه إلي»[١] . وذكر عن ابن عباس أنه تمثل بقول الراجز[٢] :

وَهُنَّ يَمْشِيْنَ بِنَا هَمِيْسَا

يعني : صوت أخفاف الإبل في سيرها . وقال أبو الهيثم : «إذا مَضَغَ الرجل الكلام وفُوه مُنضَمٌّ قيل : هَمَس يَهْمِس هَمْساً»[٣] . قال[٤] :

يَأْكُلْنَ مَا فِي رَحْلِهِنَّ هَمْسَا

والهَمُوسُ من أسماء الأسد ؛ لأنه يَهْمِس في الظلمة ؛ أي يطأ وطأً خفياً[٥] . ومنه قول أبي زبيد[٦][٧] :

فَيأْتوا يُدْلِجُونَ ويَأْتِ يَسرِي بَصيرٌ بِالدُّجَى هَادٍ هَمُوسُ

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣٠ .

(٢) هذا صدر بيت من الرجز ذكرته كتب التفسير واللغة بلا نسبة ، وعجزه :

إنْ يصدقُ الطيرُ تبكي لميسا

انظر : جامع البيان ١٦/ ٢١٤ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥ أ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٧ ، ومجمع البيان ٧/ ٤٩ ، وروح المعاني ١٦/ ١٦٤ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٢ ، وتهذيب اللغة (همس) ٤/ ٣٧٩٣ ، ولسان العرب (همس) ٨/ ٤٧٠٠ .

(٣) تهذيب اللغة (همس) ٤/ ٣٧٩٣ .

(٤) لم أهتدِ إلى قائله ، وقد ذكرته كتب التفسير بلا نسبة ، وقبله :

لقدْ رأيتُ عجباً قدْ أمسا عجائزاً مثلَ السعالي خمساً

انظر : خزانة الأدب ٧/ ١٦٧ ، وشرح شذور الذهب ١٢٨ ، والكتاب ٣/ ٢٨٤ ، والمقاصد النحوية ٤/ ٣٥٧ ، وأوضح المسالك ٤/ ١٣٢ ، وجمهرة الذهب ٨٤١ ، وشرح المفصل ٤/ ١٠٦ ، وتهذيب اللغة (همس) ٤/ ٣٧٩٣ ، وتاج العروس (همس) ٤/ ٢٧٥ ، ولسان العرب (همس) ٨/ ٤٧٠٠ .

(٥) تهذيب اللغة (همس) ٤/ ٣٧٩٣

(٦) تقدمت ترجمته في سورة البقرة .

(٧) البيت لأبي زبيد الطائي . الدلجة : سير السحر ، يقال : أدلج القوم : ساروا من آخر الليل ، والدجى : سواد الليل . انظر : تهذيب اللغة (همس) ٤/ ٣٧٩٣ ، ولسان العرب (همس) ١/ ٤٧٠٠ .

يعني : الأسد .

قال ابن عباس في رواية الوالبي في قوله : ﴿إِلَّا هَمْسًا﴾ : يقول : «الصوت الخفي»[١] .

وفسر ذلك الصوت في رواية سعيد بن جبير وعطاء فقال : «يريد صوت وقع الأقدام كمشي الإبل»[٢] .

وهذا قول أكثر المفسرين قالوا : «يعني : صوت ثقل الأقدام إلى الحشر» . وهذا قول عكرمة ، وسفيان ، والحسن والسُّدِّي[٣] ، واختيار الفرَّاء ، والزجَّاج[٤] .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ «يعني تحريك الشفاه بغير نطق»[٥] . وهو قول مجاهد : «الكلام الخفي»[٦] .

قال الليث : «الهمس : حس الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر ، ولا جهارة في المنطق ، ولكنه كلام مهموس في الفم كالسر»[٧] . والمعنى

(١) جامع البيان ٦/ ٢١٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥١ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥١ .

(٣) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٨ ، وجامع البيان ١٦/ ٢١٥ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥ أ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٣ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٣ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٢ ، ومعاني الزجَّاج ٣/ ٣٧٧ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ٢٩٥ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥١ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٢١٥ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٥ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٧ .

(٧) تهذيب اللغة (همس) ٤/ ٣٧٩٣ .

على هذا التفسير : سكنت الأصوات ، ولا يجهر أحد بكلام إلَّا كالسر في الإشارة بالشفة وتحريك الفم بغير صوت .

١٠٩. قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ . قال الفرَّاء : «﴿مَنْ﴾ في موضع نصب ، لا تنفع الشفاعة إلَّا مَن أذن له أن يشفع فيه»[(١)] ، هذا كلامه والمعنى : لا تنفع الشفاعة أحداً من الناس إلَّا مَن أذن الله أن يشفع له فذلك الذي تنفعه الشفاعة ، والكناية في قوله : ﴿لَهُۥ﴾ تعود إلى ﴿مَنْ﴾ وهو المشفوع له المأذون له في شفاعته[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ يعني قال : لا إله إلَّا الله . قاله ابن عباس ، والكلبي[(٣)] .

قال الفرَّاء : «يقال : رضيت لك عملك ، ورضيته منك»[(٤)] . وهذا يدل على أنه لا حظ في الشفاعة لغير المؤمن ، وذكر في الآية وجه آخر وهو : أن المعنى لا تنفع الشفاعة إلَّا شفاعة مَن أذن له الرحمن ، فعلى هذا ، مَن أذن هو الشفيع لا المشفوع له ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ إن كان مؤمناً ، فإن الكافر لا يؤذن له في الشفاعة ، ولا يكون شفيعاً ولا مشفوعاً له ، وعلى هذا التأويل الكنايتان تعود إلى الشفيع[(٥)] . والآية تدل على أن الشفيع إنما يشفع بعد الإذن إذا كان مؤمناً .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٢ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢١٥ ، والمحرر الوجيز ١١/ ٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٧ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٧ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٦٥ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٢ .

(٥) المحرر الوجيز ١٠/ ٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٧ .

قال الكلبي : «وذلك أن الأنبياء يشفعون ، والملائكة يشفعون ، والآباء والأبناء يشفعون»(١) .

وقال رسول الله ﷺ : «وإن الرجل من أمتي ليشفع بالقبيلة ، ويشفع للفئام من الناس ، ويشفع للعصبة ، والثلاثة وللرجلين وللرجل»(٢)(٣) .

١١٠ . قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الكناية راجعة إلى الذين ذكروا في قوله : ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ ؛ [طه :١٠٨] أي يعلم ما يصيرون إليه من الثواب والعقاب . ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ؛ ما قد وقع من أعمالهم . قال ابن عباس : «يريد ما قدموا وما خلفوا»(٤) .

---

(١) لم أقف عليه ، ويشهد له ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً ، قال : «فيقول الله : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبقَ إلَّا رحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط» .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة ٤/ ٥٤١ ، وقال : «هذا حديث حسن» ، وأخرجه الإمام أحمد ٣/ ٢٠ . وفي إسناده عطية العوفي ، وهو ضعيف مدلس ، قال الذهبي في الميزان : «قال أحمد : بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير ، وكان يكنيه بأبي سعيد ، فيقول : قال أبو سعيد» . قلت : «يوهم أنه الخدري» . وقال النسائي وجماعة : «ضعيف» .

(٣) الشفاعة نوعان ؛ الأول : شفاعة نفاها القرآن وأخبر أنها لا تُقبل ، وهي الشفاعة للكفار والمشركين ، فقال تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر :٤٨] .
النوع الثاني : شفاعة أثبتها القرآن ، وهي الشفاعة للمؤمنين الموحدين ، ولا تحصل إلَّا بشرطين : الأول : إذن الله للشافع بالشفاعة كما قال تعالى : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة :٢٥٥] . الثاني : رضاه – سبحانه – عن المشفوع له بأن يشفع له كما قال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء :٢٨] . انظر : العقيدة الطحاوية ٢٥٢ ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٢٠٤ .

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٨ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١١٩ ، ومجمع البيان ٧/ ٥٠ .

وقال الكلبي : «﴿يَعْلَمُ مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الآخرة ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا»[١] .

وقال مجاهد : «﴿مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ؛ ما مضى من الدنيا ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الآخرة»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ . الظاهر أن الكناية في قوله ﴿بِهِۦ﴾ تعود إلى ﴿مَا﴾ في قوله : ﴿مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ . أي هو يعلم ذلك وهم لا يعلمونه[٣] . وعلى هذا كلام ابن عباس حيث قال : «يريد ولا يحيطون بشيء من علمه ؛ أي بما علمه»[٤] . ويجوز أن تعود الكناية إلى الله تعالى ؛ لأن عباده لا يحيطون به علماً[٥] .

١١١ . قوله تعالى : ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ . قال ابن عباس في رواية الوالبي وقتادة : «ذلت»[٦] .

---

(١) ذكر في جامع البيان ١٦/ ٢١٥ ، ونسبه إلى قتادة ، وذكره الهواري في تفسيره ٣/ ٥٣ من دون نسبة ، وكذلك البغوي في تفسيره ٥/ ٢٩٦ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : التفسير الكبير ٢٢/ ١١٩ ، ومجمع البيان ٧/ ٥٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٦٥ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢١٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٨ .

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٨ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١١٩ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٨ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥١ .

(٦) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٨ ، وجامع البيان ١٦/ ٢١٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٨ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٢ .

وقال مجاهد وسفيان : «خشعت»[١] . وقال السُّدِّي : «استسلمت»[٢] .

قال عطاء عن ابن عباس : «خضعت»[٣] .

قال أبو إسحاق : «معنى ﴿وَعَنَتِ﴾ في اللغة : خضعت ، يقال : عَنَا يعنو إذا خَضعَ ، ومنه يقال : أخذت البلاد عَنْوَةً إذا أخذت غَلَبَةً ، وأُخِذت بِخِضوعٍ من أهلها»[٤] .

وقال أهل المعاني : «معنى ﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت وذلت خضوع الأسير في يد المالك القاهر له ، والعاني : الأسير لخضوعه وذله»[٥] .

قال أبو عبيدة : «وكل مَن ذل واستكان فقد عَنَا ، والاسم منه العنوة»[٦] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢١٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٧ ، وتفسير سفيان الثوري ١٩٦ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ٣/ ٢٥ من دون نسبة .

(٣) الدر المنثور ٤/ ٥٥٢ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٢/ ٥٢ من دون نسبة ، وذكره ابن الملقن في تفسير غريب القرآن ٢٥٠ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٧ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (عنا) ٣/ ٢٥٨٠ ، ومقاييس اللغة (عنى) ٤/ ١٤٦ ، والقاموس المحيط (عنوت) ٤/ ٢٦٧ ، والصحاح (عنا) ٦/ ٢٤٤٠ ، ولسان العرب (عنت) ٥/ ٣١٢٠ ، والمفردات في غريب القرآن (عنت) ٣٤٩ .

(٦) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (عنا) ٣/ ٢٥٨٠ ، وورد نحوه مختصراً في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣٠ .

وأنشد للقطامي[١] :

وَنـأَتْ بِـحَـاجَتِنَـا وَرُبَّتَ عَنْوَةٍ لَكَ مِن مَوَاعِدِها التـي لَمْ تَصْدُقِ

أي رب ذلة وخضـوع منك لها لأجل مواعدها . ومـن هذا يقال : أخذت الـشيء عَنْوَةً ؛ أي غلبةً بِـذل المأخوذ منه ، ومن صريح التفسـير وعنت ، قال : «والعاني الأسـير ، والعاني العبد»[٢] . وقال الفـرَّاء : «عَنَا يعنو عَنْواً إذا خضع ، وقولهم : أخذت الشيء عَنْوةً يكون غلبةً ، ويكون عن تسـليم وطاعة ممن يؤخذ منه الشيء ؛ لأنه على طاعة الذليل للعزيز»[٣] . وأنشـد أهل التفسير في ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ بمعنى : ذلت وخضعت ، قول أمية[٤] :

مَلِيكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ لِعِزَّتـه تَعْنُـو الوجُوهُ وتَسْـجُدُ

وفسَّر طلق بـن حبيب[٥] عَنْو الوجوه في هذه الآية : «بالسـجود»[٦] . هذا الذي ذكرنا قول أكثـر أهل التأويل . وقال الكلبـي : «وعملت الوجوه . قال : ويقال نصبت»[٧] .

---

(١) البيت لعمير القطامي . انظر : ديوانه ٣٥ ، وتهذيـب اللغة (عنا) ٣/ ٢٥٨٠ ، ومعجم مقاييس اللغة (عنى) ٤/ ١٤٦ ، ولسان العرب (عنن) ٥/ ٣١٣٩ .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٣٠ ، وتهذيب اللغة (عنا) ٣/ ٢٥٨٠ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٢ .

(٤) البيت لأمية بن أبي الصلت . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٨ .

(٥) تقدمت ترجمته في سورة الإسراء .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٢١٦ ، والكشـف والبيان ٣/ ٢٥ أ ، والنكت والعيـون ٣/ ٤٢٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٦ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٩٦ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٢ .

(٧) النكت والعيون ٣/ ٤٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٨ .

واختاره الفرَّاء فقال في تفسيره : «يقال : نصبت به ، وعملت له»[١] . وعلى هذا ، عَنَت من العَنَا بمعنى التعب ، والعَنَا : الحبس في شدة وذل ، هذا أصل معناه ، ثم قيل لكل تعب : عَنَا ، يقال : لقيت من فلان عَنْيَةً وعَنَاءً ؛ أي تَعَباً ، وعَنَّيْتُه أُعَنِّيه تَعْنِيةً إذا أسرته فحبسته مضيقاً عليه في الشدة ، وكل حبس طويل عَنية[٢] ، ومنه قول الشاعر[٣] :

قَطَعْتَ الدَّهْرَ كَالسَّدِمِ المُعَنَّى تُهَدِّرُ في دِمَشْقَ ومَا تَرِيمُ

قال ابن قتيبة : «والعاني بمعنى الأسير»[٤] من هذا ، فالقولان إذاً يعودان إلى أصل واحد ومعنى واحد ؛ لأن نصب الوجوه يعني به : السجود لله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد خسر مَن أشرك بالله عز وجل»[٥] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (عنا) ٣/ ٢٥٨٠ ، ومقاييس اللغة (عنى) ٤/ ١٤٦ ، والقاموس المحيط (عنوت) ٤/ ٣٦٧ ، والصحاح (عنا) ٦/ ٢٤٤٠ ، ولسان العرب (عنت) ٥/ ٣١٢٠ .

(٣) البيت للوليد بن عقبة يخاطب فيه معاوية رضي الله عنهما .
السَّدِمُ : الذي يرغب عن فحلته فيحال بينه وبين أُلَّافِهِ ويقيد إذا هاج ، فيرعى حوالي الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فمه . والهدير : تردد صوت البعير في حنجرته . والريم : البراح يقال : ما يريم يفعل ذلك ؛ أي ما يبرح ، وريم المكان : أقام به . انظر : تهذيب اللغة (عنى) ٣/ ٢٥٨٠ ، والصحاح (عنا) ٦/ ٢٤٤١ ، ولسان العرب (سدم) ٤/ ١٩٧٦ .

(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٢ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ٢٩٦ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٤ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٦٦ .

١١٢. قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ . يجوز أن تكون ﴿مِنَ﴾ للتبعيض فيكون المعنى: شيئاً من الصالحات، ويجوز أن تكون للجنس فيكون المعنى: ومَن يعمل الصالحات. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ جملة في موضع نصب على الحال.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ في موضع جواب الشرط، والمبتدأ محذوف مراد بعد الفاء، المعنى: فهو لا يخاف[١]. وهذا كقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥]، ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ﴿فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣].

وقرأ ابن كثير: (فلا يخف) على النهي[٢]. وهو حسن؛ لأن المعنى: ومَن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فيأمن؛ لأنه لم يفرط في ما وجب عليه، ونهيه عن الخوف أمر بالأمن، ولفظ الآية في قوله: (فلا يخف) على النهي، والمراد الخبر بأن المؤمن الصالح لا خوف عليه، وإذا كان كذلك كان معنى القراءتين واحد[٣].

وقوله تعالى: ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾. قال الفرَّاء: «تقول العرب: هضمت لك من حقي؛ أي تركته»[٤].

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٥٢.

(٢) قرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ بالألف على الخبر، وقرأ ابن كثير المكي (فلا يخف) على النهي. انظر: السبعة ٤٢٤، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٥١، وحجة القراءات ٤٦٤، والمبسوط في القراءات ٢٥٠.

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٥٢.

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٣.

وقال المُـبِّرد والزجَّاج : «الهضم النقص ، يقـال : فلان هضمني حقي ؛ أي نقصني ، وكذلك هذا يهضم الطعام ؛ أي ينقص ثقله»[١] . ومنه للدواء هَاضُوم ؛ لأنه يقع في الطعام الذي كظ فيهضمه ، وقيل للخميص البطن : هضم[٢] . وقال أبو عبيدة : «﴿وَلَا هَضْمًا﴾ نقيصة[٣] ، وأنشد للبيد[٤] :

ومُقَسِّمٌ يُـعْطِي الـعَشِيْرَةَ حَقَّهَا ومُغَذْمِـرٌ لِحُقُوقِهَـا هَضَّامُهَـا» .

قال ابن عباس في رواية الوالبي : «لا يخاف أن يظلم فيزاد عليه في سـيئاته ، ولا أن يهضم من حسناته»[٥] . ونحو هذا قال الحسن[٦] .

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٢/ ٣٧٧ .

(٢) انظـر : تهذيب اللغة (هضـم) ٤/ ٣٧٦٧ ، ومقاييس اللغـة ٦/ ٥٥ ، والقاموس المحيط ٤/ ١٩١ ، ولسان العرب ٨/ ٤٦٧٢ ، والمفردات في غريب القرآن ٥٤٣ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣١ .

(٤) البيت للبيد بن ربيعة العامري .
غَذْمَـر : المغذمر الذي يركب الأمور فيأخذ من هـذا ويعطي هذا ويدع لهذا من حقه ، ويقال للرئيس الذي يسوس عشيرته بما شاء من عدل وظلم : مغذمر . انظر : ديوانه ١٧٩ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣١ ، وشرح القصائـد العشر للتبريزي ٢٠٥ ، وشرح المعلقات السـبع للزوزني ٢٥٠ ، وتهذيب اللغة (غذمر) ٣/ ٢٦٤٢ ، ولسان العرب (غذمر) ٦/ ٣٢٢٢ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢١٨ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥/ ب ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٦ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٤ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٢ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٢١٧ ، والكشـف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٨ .

وقال في رواية عطاء : «لا ينتقص من ثوابه ، ولا يحط من حسناته»[١] . وأجاد الضحاك في قوله : ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ : «لا يؤخذ بذنب لم يعمله ، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ لم يبطل حسنة عملها»[٢] .

وقال الكلبي : «﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ يعني ذهاباً لعمله كله ، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ يقول : لا ينتقص من عمله شيء»[٣] .

١١٣ . قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ؛ أي وكما بيَّنَّا في هذه السورة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ ؛ أنزلنا هذا الكتاب ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ ؛ أي بيَّنَّا فيه ضروب الوعيد وما فيه العقاب .

قال قتادة : «يعني : عذابه ووقائعه في الأمم قبلكم»[٤] . ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ؛ ليكون سبباً لاتقائهم الشرك بالاتعاظ من قبلهم . ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ . قال ابن عباس : «موعظة فينتفعون بها»[٥] . يعني : يحدد لهم القرآن ذكراً واعتباراً واتعاظاً فيتذكرون به عقاب الله للأمم المكذبة فيعتبرون ويتفكرون ، وهذا معنى قول قتادة في قوله : ﴿ذِكْرًا﴾ : «جداً وورعاً»[٦] .

---

(١) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢١٨ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٩٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٤ .

(٢) الكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٤ .

(٣) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢١٦ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٩٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٩ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٢١٨ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ٩٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٦٧ .

(٦) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ١٨ ، وجامع البيان ١٦/ ٢١٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٠ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٢ .

وذكر الفرَّاء قولين هما للكلبي ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ يقول : «لو أخذوا به كان القرآن لهم شرفاً بإيمانهم به»[(١)] . وهذا كقوله : ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف :٤٤] ويقال : «﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ عذاباً ؛ أي يتذكرون حلول العذاب الذي وعدوه»[(٢)] .

١١٤. قوله تعالى : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ﴾ ؛ أي جل عن إلحاد الملحدين ، ونزه عما يقول المشركون في صفته[(٣)] . ويجوز أن يكون المعنى : تعالى ؛ استحق في المدح صفات لا تساوى ؛ لأنه أقدر من كل قادر ، وأعلم من كل عالم ، وقادر سواه محتاج إليه ، وهو غني عنه . ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الذي بيده الثواب والعقاب»[(٤)] . يعني أنه يملكها . و﴿ٱلْحَقُّ﴾ معناه : ذو الحق ، وقد مرَّ وتقدم الكلام فيه[(٥)] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٣ ، وذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢١٩ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٥ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٩٧ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٣ ، وذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٥٥ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٠ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢١٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٥ .

(٤) ذكر نحوه الألوسي في روح المعاني ١٦/ ٢٦٧ من دون نسبة ، وكذلك الشوكاني في فتح القدير ٣/ ٣٨٩ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام :٦٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء وأبي صالح : «كان النبي ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي ، ولا يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة حتى يتكلم النبي ﷺ بأوله حرصاً منه على ما كان ينزل عليه ، وشفقة على القرآن مخافة الانفلات والنسيان ، فنهاه الله عن ذلك»[(١)] . فقال : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ ؛ أي بقراءته ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ ؛ من قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته عليك . وقال المفضل : «من قبل أن يوفَّى ويتمم»[(٢)] .

وقال السُّدِّي : «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يستوعبه يتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه فينسى ما علمه ، فأنزل الله هذه الآية»[(٣)] . قال عطاء عن ابن عباس : «وهذا كقوله : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة :١٦]»[(٤)] . وهذا قول الكلبي ، واختيار الفرَّاء وابن قتيبة[(٥)] .

---

(١) الكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٥ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٤٧ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١٧ ، وأخرج نحوه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ ٩/ ١٨٧ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الصلاة ، باب الاستماع للقراءة ١/ ٣٣٠ ، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ٥٥٢ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٠ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٢٢ .

(٣) الدر المنثور ٤/ ٥٥٢ ، وعزاه لابن أبي حاتم .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢١٩ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٩٨ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٣ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٣ .

وقال مجاهد وقتادة : «لا تتله عـلى أحد حتى نبيِّنه لك»[١] . وعلى هذا ، نهى عن تلاوة الآية التي تنزل عليه ، وإملائه على أصحابه قبل أن يتبين له معناها .

وهذا معنى رواية عطية عن ابن عباس قال : «لا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله»[٢] .

وذكر بعض أهل التفسير أن معنى هذه الآية : «لا تسأل إنزال القرآن من قبل أن يأتيك وحيه»[٣] . وروى جرير[٤] عن الحسـن في سبب نزول هذه الآية : «أن رجلاً لطم امرأته ، فجاءت إلى النبي ﷺ تطلب القصاص فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص ، فأنزل الله هذه الآية ، فوقف النبي ﷺ حتى نزلت : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء :٣٤]»[٥] . ولا تعلق لهذه الآية بالقصة التي ذكرها الحسن حتى يقال : إنها نازلة فيها ، إلَّا لقوله : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ وذلك أن النبي ﷺ حكم بالقصاص ، وأبـى الله ذلك وأنـزل : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ وقد تقدم

---

(١) جامـع البيان ١٦/ ٢٢٠ ، والكشـف والبيـان ٣/ ٢٥ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، وزاد المسـير ٥/ ٣٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٠ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٢٠ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب .

(٣) النكت والعيون ٢/ ٤٢٩ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٠ .

(٤) جرير بن حازم بن زيد بن عبدالله بن شجاع الأزدي البصري ، أحد التابعين وعُدَّ من صغارهم ، روى عن الحسن وابن سـيرين وقتادة وغيرهم ، وروى عنه ابنه وابن المبارك وغيرهما ، وثقه أكثر العلماء ، توفي ـرحمه اللهـ سنة ١٧٥هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٢/ ٥٠٤ ، وميزان الاعتدال ١/ ٣٩٢ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٦٩ .

(٥) بحـر العلوم ٢/ ٣٥٦ ، وزاد المسـير ٥/ ٣٢٦ ، والجامع لأحكام القـرآن ١١/ ٢٥٠ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٣ ، ولباب النقول في أسباب النزول ٦٨ .

بيانه[١] . وأمره في هذه الآية بأن يسأل الله - تعالى - زيادة علم ، والمعنى : علمني ما لا أعلمه[٢] .

وقيل معناه : «زدني علماً بالقرآن ومعانيه»[٣] . وهذا موافق للتفسير الأول في الآية .

١١٥. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ ؛ أي أمرناه وأوصينا إليه . قال الكلبي والسُّدِّي : «عهدنا إليه ألَّا يأكل من الشجرة»[٤] .

وقال ابن عباس : «ألَّا يقرب الشجرة»[٥] . ﴿مِن قَبْلُ﴾ . قال الكلبي : «من قبل أن يأكل من الشجرة»[٦] . وقال غيره : «من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي»[٧] . وهم الذين ذكرهم في قوله : ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ

---

(١) عند قوله تعالى : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء : ٣٤] .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٢٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، والكشاف ٢/ ٥٥٥ .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ .

(٤) ذكر في زاد المسير ٥/ ٣٢٧ من دون نسبة .

(٥) الدر المنثور ٤/ ٥٥٣ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٢٤ .

(٦) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : تفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٤ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥١ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٢٢٠ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٧ ، وقال ابن عطية ـ رحمه الله ـ في المحرر الوجيز ١٠/ ١٠٠ : «وهذا التأويل ضعيف وذلك أن يكون آدم مثالاً للكفار الجاحدين بالله ليس بشيء وآدم إنما عصى بتأويل ، ففي هذا غضاضة عليه وأمَّا الظاهر في هذه الآية إمَّا أن يكون ابتداء قصص لا تعلق له بما قبله وإمَّا أن يجعل تعلقه أنه لمّا عهد إلى محمد أن لا يعجل القرآن مثل له بنبي قبله عهد إليه فنسي فعوقب لتكون أشد في التحذير وأبلغ في العهد إلى محمد» .

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [طـه :١١٣] والمعنى : أنهم نقضوا العهد ، فـإن آدم أيضاً عهدنا إليه ﴿فَنَسِيَ﴾ . قال ابن عباس : «فترك عهدي»(١) . وقال مجاهد : «ترك ما أمر به»(٢) .

وقال السُّدِّي : «ترك عهدنا»(٣) .

وقال أبو إسحاق : «﴿فَنَسِيَ﴾ هاهنا فترك ؛ لأن الناسي لا يؤاخذ بنسيانه»(٤) . هذا قول الجميع في أن نسي هاهنا : ترك . وحمل ابن زيد النسيان هاهنا على الذي هو ضد الذكر(٥) . ولا يصح هذا ؛ لأن الناسي لا يؤاخذ بنسيانه ، ولأن إبليس حين استغواهما ذكرهما النهي فقال :﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا﴾ [الأعراف :٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ . معنى العزم : عقد القلب على أمر يفعله ، وهو توطين النفس على الفعل ، هذا معناه في اللغة(٦) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد صبراً عن أكل الشجرة»(٧) . والمعنى : أنه لم يصبر على ما وطن عليه نفسه من ترك ما نهي عن أكله ، وهو معنى قول الحسن : «صبراً عما نهي عنه»(٨) .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٢٠ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٧ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٢٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٣٠ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٥ .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٢٠ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٥ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٨ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢٢١ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥١ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (عزم) ٣/ ٢٤٢٥ ، والقاموس المحيط ٤/ ١٤٩ ، والصحاح ٥/ ١٩٨٥ ، ولسان العرب ٥/ ٢٩٣٢ ، والمفردات في غريب القرآن ٣٣٤ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٦٩ .

(٨) معالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ .

وقال عطية العوفي : «عن ما حفظنا لما أمر به»[١] .

وقال السُّـدِّي : «صبراً على الذنـوب»[٢] . وقال عبدالله بن مسـلم : «رأياً معزوماً عليه»[٣] . وقيل : «عقداً ثابتاً حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له»[٤] .

١١٧. قولـه تعالى : ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد شقاء الدنيا ونصبها»[٥] .

وقال الحسن : «عني به شقاء الدنيا ، ألا ترى ابن آدم إلَّا ناصباً شقياً»[٦] .

وقال سـعيد بن جبير : «أهبط إلى آدم ثور أحمر كان يعتمل عليه ، ويمسـح العرق عن جبينه ، فكان ذلك شقاؤه»[٧] .

وقال السُّدِّي : «الحرث والزرع والعجن والخبز»[٨] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٢١ ، والكشـف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٣٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٧ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٤ .

(٢) بحر العلوم ٢/ ٢٥٦ .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٣ .

(٤) زاد المسير ٥/ ٣٢٨ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ١٠١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٣ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٥ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٢٢٢ ، والكشـف والبيـان ٣/ ٢٥ ب ، وبحر العلـوم ٢/ ٣٥٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٨ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١٠١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٥ .

(٨) معالم التنزيل ٥/ ٢٩٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٥٣ .

وقال زيد بن علي : «فتشقى في كد المعيشة»[١] .

قال الفرَّاء : «ولم يقل : فتشــقيا ؛ لأن آدم المخاطب وفي فعله اكتفاء من فعل المرأة»[٢] . يعني : أن أول الآية خطاب لآدم ، وصرف الخطاب في آخرها إلى آدم لوفاق الفواصل ، وكان في خطابــه اكتفاء عن خطاب حواء كما قال : ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ اكتفى بالقعيد عن صاحبه .

١١٨. قوله تعالى : ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ﴾ ﴿إِنَّ﴾ في موضع نصب بأن ، كما تقول : إن لك مالاً[٣] . ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾ بمعنى الشــبع ، كأنه قيل : إن لك الشبع فيها والاكتساء . قال الكلبي : «من لباس الثور»[٤] .

قــال ابن عباس : «يريــد أن لك ما دمت في الجنة ألَّا تجــوع فيها»[٥] . ﴿وَلَا تَعْرَىٰ﴾ يقــال : عَرِيَ فلان من ثوبه يَعْرَى عُرْياً فهو عَارٍ وعُرْيَانٌ ، والأنثى عُرْيَانَةٌ وعَرِيَّةٌ والمصدر العُرِي وســمي العُرْيَان العُرِي[٦] . ومنه الحديث : «أن النبي ﷺ ركب فرساً لأبي طلحة عُرْياً»[٧] .

---

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نســبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٢٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٨ ، وزاد المسير ٥/ ٣٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٦ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٣ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٣ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٥٩ .

(٤) ذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نســبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٢٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٩ ، والقرطبي ١١/ ٢٥٣ ، وابن كثير ٣/ ١٨٦ .

(٦) فرس عــري ؛ أي لا سرج عليه ولا غيره . يقال : دابة عري ، وخيــل أعراء ، ورجل عريان ، وامرأة عريانــة إذا عريا من أثوابهما . انظــر : تهذيب اللغة (عرا) ٣/ ٢٣٧٣ ، والقامــوس المحيط (العرى) ٤/ ٣٦١ ، والصحاح (عرا) ٦/ ٢٤٢٤ ، ولسان العرب (عرا) ٥/ ٢٩١٩ .

(٧) أخرج نحوه البخاري في كتاب الجهاد ، باب مبادرة الإمام عند الفزع ٣/ ١٠٨٤ ، ومســلم في كتاب الفضائل ، باب في شــجاعة النبي وتقدمه في الحرب ، والترمذي في جامعــه ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الخروج عند الفــزع ٤/ ١٧١ ، وابن ماجه في كتاب الجهاد ، باب الخروج في النفير ٢/ ٩٩٦ ، والإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٤٧ .

قال الأزهري : «والعـــرب تقول : فَرَس عُرْيٌ . وخَيل أَعْرَاءٌ ولا يقال رَجل عُرْيٌ»[١][٢] .

١١٩. قوله : ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا﴾ . قال أبو إسحاق : «﴿وَأَنَّكَ﴾ في موضع نصب نسقاً على قوله : ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾ ، ويجوز أن تكون في موضع رفع ، وإن كان معطوفاً على اســـم إن ؛ لأن معنى إن زيـــداً قائم : زيد قائم ، فيكون المعنى ذلك أنـــك لا تظمأ»[٣] . يعني كأنه لم يذكر (أن) في أول الآيـــة الأولى . ومَن قرأ : (وإنك) بالكسر على الاســـتئناف ، وعطف جملة كلام على جملة[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ يقال : ضَحَا الرجل إذا برز للشـــمس فأصابه حرها ، ضَحَا ، وضُحِيّاً[٥] . وقال النضر : «ضَحَا للشمس يَضْحَى ، ضُحُوّاً»[٦] .

---

(١) تهذيب اللغة (عرا) ٣/ ٢٣٧٣ .

(٢) من قوله : (أمت وملأ سقاءه . . .) ٥٢٣ إلى هنا ساقط من نسخة (س) .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٨ .

(٤) قرأ نافع ، وعاصم في رواية أبي بكر ﴿وَأَنَّكَ﴾ بكسر الألف ، وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكســـائي ، وحفص عن عاصم (وأنك) مفتوحة الألف . انظر : الســـبعة ٤٢٤ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٥١ ، والمبسوط في القراءات ٢٥١ ، وحجة القراءات ٤٦٤ .

(٥) انظـــر : تهذيب اللغة (ضحـــا) ٣/ ٢٠٩٣ ، ومقاييس اللغة (ضحـــى) ٣/ ٢٩١ ، والقاموس المحيط (الضحو) ٤/ ٣٥٤ ، والصحاح (ضحا) ٦/ ٢٤٠٦ ، ولسان العرب (ضحا) ٥/ ٢٥٥٩ .

(٦) تهذيب اللغة (ضحا) ٣/ ٢٠٩٣ .

وقال ابن الأعرابي : «ضَحِيْتُ للشمس ، وضَحَيْتُ ، أَضْحَى منهما جميعاً»[١] . وحكى شمِر : «ضَحِي ، يَضْحَى ، ضُحِياً ، وضَحَا ، يَضْحُو ، ضُحُوّاً»[٢] . وأنشد الزجَّاج[٣] :

رَأَتْ رَجُلاً أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
فَيَضْحَى وأَمَّا بِالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

قال ابن عباس في رواية الضحاك يقول : «لا تعطش فيها كما يعطش أهل الدنيا ، ولا يصيبك فيها حر كما يصيب أهل الدنيا»[٤] .

وقال في رواية عكرمة : «لا تصيبك الشمس»[٥] . وقال في رواية الوالبي وعطاء : «لا يصيبك فيها حر ولا عطش»[٦] . والمعنى : لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها ؛ لأنه ليس في الجنة شمس إنما هو ظل ممدود .

١٢٠. وقوله تعالى : ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ كقوله : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف :٢٠] ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ . قال الكلبي : «على شجرة مَن أكل منها لم يمت»[٧] . ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ ؛

(١) تهذيب اللغة (ضحا) ٣/ ٢٠٩٣ ، ولسان العرب (ضحا) ٥/ ٢٥٥٩ .
(٢) تهذيب اللغة (ضحا) ٣/ ٢٠٩٣ ، ولسان العرب (ضحا) ٢٥٥٩ .
(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة . انظر : ديوانه ٩٤ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٨ ، والأغاني ١/ ٨١ ، وخزانة الأدب ٥/ ٣١٥ ، والمحتسب ١/ ٢٨٤ ، ومغني اللبيب ١/ ٥٥ ، والممتع في التصريف ١/ ٣٧٥ ، وتهذيب اللغة (ضحا) ٣/ ٢٠٩٣ ، ولسان العرب (ضحا) ٥/ ٢٥٥٩ .
(٤) ذكر نحوه الطبري ١٦/ ٢٢٣ من دون نسبة ، وكذلك السيوطي في الدر ٤/ ٥٥٥ .
(٥) جامع البيان ١٦/ ٢٢٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٩٩ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٥ .
(٦) جامع البيان ١٦/ ٢٢٣ .
(٧) ذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٥٧ من دون نسبة .

لا يفنى . قال ابن عباس : «وهذا كقوله : ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف : ٢٠]»[١] .

١٢١. قوله تعالى : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ . قال الكلبي : «بأكله من الشجرة»[٢] . ﴿فَغَوَىٰ﴾ ؛ أي فعل ما لم يكن له فعله[٣] . وقيل : «ضلَّ حيث طلب الخلد والملك بأكل ما نهي عن أكله»[٤] . هذان قولان حكاهما المفسرون .

وقال ابن الأعرابي : «الغي : الفساد»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ ؛ أي فسد عليه عيشه ، وقال ابن قتيبة : «الغي ضد الرشد ، كما أن المعصية ضد الطاعة»[٦] .

وقد أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها باستزلال إبليس وخداعه إياه بالله ، والقسم إنه لمن الناصحين[٧] ، حين دلاه بغرور ولم يكن ذنبه عن إرصاد وعداوة وإرهاص كذنوب أعداء الله ، فنحن نقول : عصى وغوى ، كما قال الله في القرآن ولا نقول : آدم عاصٍ وغاوٍ ؛ لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدم ، ولا نية

---

(١) ذكر القول ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٢٩ من دون نسبة .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٥/ ٢٢٣ من دون نسبة ، وكذلك السمرقندي في تفسيره ٢/ ٣٥٧ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٢٤ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٥ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٩ .

(٤) بحر العلوم ٢/ ٣٥٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٢٣ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ٢٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٧ ، وتهذيب اللغة (غوى) ٨/ ٢١٨ ، وذكره الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٥٣٥ ، وقال : «وهذا خلاف الظاهر» .

(٦) قال القرطبي في تفسيره ١١/ ٢٥٧ : ﴿فَغَوَىٰ﴾ ؛ فسد عليه عيشه بنزوله إلى الدنيا ، والغي الفساد ، وهو تأويل حسن ، وهو أولى من تأويل من يقول : (غوى) معناه ضل من الغي الذي هو ضد الرشد .

(٧) يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف : ٢١] .

صحيحة كما تقول لرجل قطع ثوبه وخاطه : قد قطعه وخاطه ، ولا تقول : خياط حتى يكون معاوداً لذلك الفعل معروفاً به[١] .

١٢٢. وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ . قال ابن عباس : «اصطفاه وتاب عليه»[٢] . عاد عليه بالعفو .

هَدَى . قال الكلبي : «هداه بالتوبة»[٣] .

١٢٣. ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد آدم وإبليس»[٤] .

والآية مفسرة في سورة البقرة[٥] .

---

(١) قال أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٢٦١ : «لا يجوز لأحد منا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم إلَّا إذا ذكرناه في أثناء قوله – تعالى – عنه ، أو قول نبيه ، فأمَّا أن يتبدئ ذلك من قبل نفسه فليس بجائز في آبائنا الأدنين إلينا ، المماثلين لنا ، فكيف في أبينا الأقدم الأعظم الأكرم النبي المقدم ، الذي عذره الله وتاب عليه وغفر له» . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٥ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٢٨ ، وأضواء البيان ٤/ ٥٣٨ .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان ١٦/ ٢٢٤ من دون نسبة ، وكذلك البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٣٠٠ .

(٣) ذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٥٧ من دون نسبة ، وكذلك البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٣٠٠ .

(٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٢٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٨ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٥٣٩ : «الظاهر أن ألف الاثنين في قوله : ﴿ٱهْبِطَا﴾ راجعة إلى آدم وحواء ، خلافاً لمَن زعم أنها راجعة إلى إبليس وآدم ، والتثنية باعتبار آدم وحواء فقط ، والجمع باعتبارهما مع ذريتهما» .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة :٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ ؛ أي في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [في الآخرة . قال ابن عباس : «أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة ، ثم قرأ : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾]»[(١)(٢)] .

١٢٤ . ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ . قال ابن عباس : «يريد عن موعظتي»[(٣)] . وقال الكلبي : «عن القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه»[(٤)] .

﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ . الضَّنْك أصله في اللغة : الضيق والشدة ، وكل ما ضاق فهو ضَنْك يقال : منزل ضَنْك ، وعيش ضَنْك ، وضَنُك عيشه يَضْنَك ضَنَاكَةً وضَنْكاً[(٥)] .

وأنشد أبو عبيدة قول عنترة[(٦)] :

إِنَّ المَنِيـةَ لَـو تُمَثَّـلُ مُـثِّـلَـتْ مِثْـلِي إِذَا نَزَلُـوا بِضَنْـكِ المَنْـزِلِ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٢٤ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٦ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٣١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٠ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٦ .

(٣) زاد المسير ٥/ ٣٣٠ .

(٤) زاد المسير ٥/ ٣٣٠ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٥٧ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ٣٠١ من دون نسبة .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (ضنك) ٣/ ٢١٣٨ ، ومقاييس اللغة (ضنك) ٣/ ٣٧٣ ، والقاموس المحيط (الضنك) ٤/ ٣١١ ، والصحاح ٤/ ١٥٩٨ ، ولسان العرب ٥/ ٢٦١٣ ، والمفردات في غريب القرآن ٢٩٩ .

(٦) قال القرطبي في تفسيره ١١/ ٢٥٧ : «﴿فَغَوَىٰ﴾ فسد عليه عيشه بنزوله إلى الدنيا ، والغي الفساد ، وهو تأويل حسن ، وهو أولى من تأويل مَن يقول (غوى) معناه ضل ، من الغي الذي هو ضد الرشد» .

ومنه قيل للمرأة الضخمة الكثيرة اللحم : ضِنَاك ؛ لأن جلدها قد ضاق بلحمها ، والضَّنَك في الأصل مصدر ثم وصف به ، ولذلك قيل معيشة ضَنْكاً[١] .

وأكثر ما جاء في التفسير المعيشة الضَّنْك : «أنه عذاب القبر» عن النبي ﷺ ، وعن أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وابن مسعود[٢] .

وقال الحسن ، والكلبي ، وابن زيد ، وقتادة : «هو عذاب النار ، وأكل الزقوم ، والغسلين ، والضريع»[٣] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد : ضغطة القبر حتى تختلف أضلاعه»[٤] .

---

(١) تهذيب اللغة (ضنك) ٣/ ٢١٣٨ .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٦/ ٢٢٧ ، والصنعاني في تفسيره ٢/ ٢١ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٦ أ ، والهواري في تفسيره ٣/ ٧٥ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٥٧ ، والماوردي في النكت ٢/ ٤١٣ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ٣٠١ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥٥٧ ، والحاكم في المستدرك ، كتاب التفسير (سورة طه) ٢/ ٣٨١ ، وقال : «هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي ، وذكره مجمع الزوائد في كتاب التفسير (سورة طه) ٧/ ٦٧ ، وقال : «رواه الطبراني ، وفيه المسعودي وقد اختلط ، وبقية رجاله ثقات» .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٢٦ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٦ أ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٣١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠١ ، والكشف ٢/ ٥٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٢٥٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٧ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٨ . ولعل المراد ما جاء في الآيات الآتية : الزقوم ورد في قوله تعالى : ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة :٥٢] .
والغسلين ورد في قوله تعالى : ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة :٣٦] .
والضريع ورد في قوله تعالى : ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية :٦] .

(٤) زاد المسير ٥/ ٢٢٨ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٧٧ ، وذكره الطبري في جامع البيان ١٦/ ٢٢٦ ، ونسبه إلى أبي سعيد الخدري ، وكذلك البغوي في تفسيره ٥/ ٣٠١ .

وقال في رواية الوالبي : «الشقي»[١][٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ . قيل في التفسير : «أعمى البصر»[٣] . وقيل : «أعمى الحجة»[٤] .

قال أبو إسحاق : «وتأويله أنه لا حجة له يهتدي إليها ، لا أن له حجة وأنه يعمى عنها»[٥] .

وقال غيره : «العمى إذا أطلق كان الظاهر عمى البصر»[٦] . وعلى هذا يدل ما بعده من :

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٢٦ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٦ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٧ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٧ .

(٢) قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٥٤٨ : «قد جاء عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة أن المعيشة الضنك في الآية : عذاب القبر . وبعض طرقه بإسناد جيد كما قاله ابن كثير في تفسير هذه الآية ، ولا ينافي ذلك شمول المعيشة الضنك لمعيشته في الدنيا ، وطعام الضريع ، والزقوم ، فتكون معيشته ضنكاً في الدنيا والبرزخ والآخرة ، والعياذ بالله تعالى» . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٧ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٢٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٦ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٣١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠١ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١٠٧ .

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٢٠ ، وجامع البيان ١٦/ ١٦٥ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٦ أ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠١ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٨ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٩ .

(٦) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ١٠٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٨٧ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٨٧ ، وإرشاد العقل السليم ٦/ ٤٨ .

١٢٥. قولـه : ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ عن حجتـي ، ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ بها في الدنيـا ، ولا أدري كيف وجه هذا ؟ ومتـى كان الكافر بصيراً بحجته ؟ ولا حجة له في الدنيا ولا في الآخرة[١] .

١٢٦. قوله تعالى : ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ ؛ أي قال الله مجيبـاً لهذا الكافر كذلك الأمر كما ترى .

﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ ؛ تركتها ولم تؤمن بها ، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ؛ وكما تركتها ، ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ ؛ تترك في النار . هذا قول ابن عباس ، والكلبي ، وأهل التفسير[٢] .

١٢٧. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ؛ كما ذكرنا ﴿نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ . قال ابن عباس : «أشرك»[٣] . ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ ؛ أفظع وأعظم مما ذكر في عـذاب القبر ، وهـذا يدل على أن المـراد بقوله : ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ عذاب القبر .

---

(١) قال الطبري ـرحمه اللهـ في تفسـيره ١٦/ ٢٢٩ : «والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله – عز شـأنه وجل ثناؤه – عم بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر ولم يخصص منه معنى دون معنى فذلك على ما عمه ، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية : قال رب لِمَ حشرتني أعمى عن حجتي ورؤية الأشياء وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كلـه» . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ١٠٨ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٨٧ ، وأضواء البيان ٤/ ٥٤٨ ، ويشـهد لهذا قوله تعـالى : ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء :٩٧] .

(٢) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٢٠ ، وجامع البيان ١٦/ ٢٣٠ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٦ أ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٨ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٨ ، ومعـالم التنزيل ٥/ ٣٠١ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١٠٨ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٨ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٦/ ٢٣١ من دون نسبة ، وذكر في الدر المنثور ٤/ ٥٥٩ ، ونسبه إلى سفيان .

١٢٨. قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ؛ نبين لهم إذا نظروا يعني لكفار مكة ، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ . قال الفرَّاء : «﴿كَمْ﴾ في موضع نصب بأهلكنا ، ومثله من الكلام : أو لم يتبين لكم مَن يعمل خيراً يجز به ، فجملة الكلام فيها معنى رفع ، ومثله أن تقول : قد تبين لي أقام عبدالله أم زيد»[(١)] .

قال أبو إسحاق : «والمعنى أفلم يتبين لهم الأمر بإهلاك مَن قبلهم من القرون»[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ ؛ يعني أهل مكة كان يتَّجرون ويسيرون في مساكن عاد وثمود ، وفيها علامات الإهلاك يقول : فلا يخافون أن يقع بهم مثل ما وقع بالذين رأوا مساكنهم[(٣)] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٥ . قال ابن جرير الطبري في تفسيره ١٦/ ١٦٧ بعد أن ذكر قول الفرَّاء : «وليس الذي قال الفرَّاء من ذلك كما قال ؛ لأن كم ، وإن كانت من حروف الاستفهام ، فإنها لم تجعل في هذا الموضع للاستفهام بل هي واقعة موقع الأسماء الموصوفة ، ومعنى الكلام ما قد ذكر قبل ، وهو أفلم يتبين لهم كثرة إهلاكنا قبلهم القرون التي يمشون في مساكنهم ؟ أو أفلم تهدهم القرون الهالكة ؟ وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبدالله : أفلم يهد لهم مَن أهلكنا ، فكم واقعة موقع مَن في قراءة عبدالله هي في موضع رفع بقوله : يهد لهم ، وهو أظهر وجوهه وأصح معانيه ، وإن كان للذي قاله وجه ومذهب على بعد» .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٩ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٣١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٢ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١١١ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٠ ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم :٤٥] .

١٢٩. وقولـه تعـالى : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ ؛ أي في تأخير العذاب عن هـؤلاء الكفار إلى يوم القيامة وهو قوله : ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يعني القيامة وهو عطف على الكلمة ، وقد أُخِّر عن موضعه والتقدير : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً[١] . هذا قول الجميع .

وقال مجاهد : [﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يعني الدنيا[٢] . وعلى هذا الأجل في تركهم عن العذاب ، ومَن قال : هو القيامـة][٣] فهو أجل تعذيبهم ، واللِّزَام يجوز أن يكون فعـالاً من الملازمة ، ويجوز أن يكون مصدراً كاللـزوم ، والمعنى : لكان العذاب لازماً لهم ، فهو مصدر وصف به ، وأضمر اسـم كان ، وهو العذاب لتقدم ذكره وللعلـم به[٤] ، والمعنى : لعذبوا في الدنيا ولزمهم العذاب كما لزم القرون الماضية لمّا كذبوا الرسل ، هذا معنى الآية . وقال أبو عبيدة : «اللزام : الفيصل»[٥] .

ونحو هذا روى ثعلـب عن ابن الأعرابي : «اللَّـزْمُ : فصل الشيء من قوله تعالى : ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ ؛ أي فيصلاً»[٦] . وعلى هـذا ، معنى الآية : لكان العذاب فصلاً بينك وبين قومك ؛ أي لوقع الفصل بتعذيبهم . وتخبط المفسرون في تفسير

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٣٢ ، والكشـف والبيان ٣/ ٢٦ أ ، وبحر العلـوم ٢/ ٣٥٨ ، والنكت والعيون ٢/ ٤٣٢ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٩ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٣٢ .

(٣) ما بين المعقوفين مكرر في الأصل ، وفي نسخة (س) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (لزم) ٤/ ٣٢٦٠ ، والقاموس المحيط ٤/ ١٧٥ ، والصحاح ٥/ ٢٠٢٩ ، ولسان العرب ٧/ ٤٠٢٧ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣٢ .

(٦) تهذيب اللغة (لزم) ٤/ ٣٢٦٠ .

اللِّـزَام فقالوا : «أخذاً وموتاً ، وعذاب يوم بدر»[(١)(٢)] . وكل ذلك وَهْم لا يصح تفسير اللزام به ، وتصحيحه أن يقال : لكان الأخذ أو الموت أو القتل كما وقع ببدر لزاماً ؛ أي لازماً لهم فالذي ذكروا في تفسير اللزام هو تفسير المضمر من اسم كان لا تفسير اللزام[(٣)] .

١٣٠. قوله تعالى : ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ . أمره بالصبر إلى أن يحكم الله ، ثم حكم فيهم بالقتل ، فنسخ الصبر على ما يسمع من أذاهم[(٤)] . ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ؛ صل لله بالحمد له والثناء عليه[(٥)] . ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾

---

(١) بدر : هو ماء مشهور بين مكة والمدينة ، أسفل وادي الصفراء ، بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخاً ، وفيه حصلت الموقعة المشهورة بين المسلمين وكفار قريش في رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وبدر الآن فيها إمارة تابعة لإمارة المدينة المنورة ، وغالب سكانها بنو سالم بن حرب . انظر : معجم ما استعجم ١/ ٢٣١ ، ومعجم البلدان ١/ ٣٥٧ ، ومعجم المعالم الجغرافية ٤١ ، ومراصد الاطلاع ١/ ١٧٠ ، وقاموس الأمكنة والبقاع ٤٦ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٢٣٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٣٢ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١١١ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٩ .

(٣) قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره ١٦/ ٢٣٢ : «ولولا كلمة سبقت من ربك يا محمد ، أن كل من قضى له أجلاً فإنه لا يخترمه قبل بلوغه أجله ، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يقول : وقت مسمى عند ربك سماه لهم في أم الكتاب وخطه فيه هم بالغوه ومستوفوه لكان لزاماً ؛ يقول : للازمهم الهلاك عاجلاً» . انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٠٩ ، وغريب القرآن ٢٨٣ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٥ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٨٠ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٢٦ أ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٢ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٠ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٢٣ .

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنه لا نسخ في هذه الآية ، فالآية تأمر النبي ﷺ بالصبر على ما كان يفعله كفار قريش وما يقولونه ويتهمونه به ، وفي الوقت نفسه تتوعد المشركين بعقاب الله الشديد في الآخرة ، فلا تعارض بين الأمر بالصبر وقتالهم . انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢٥١ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٣٩٩ ، وقلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ ١٤٠ ، وناسخ القرآن العزيز ومنسوخه ٤٠ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢٣٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٢ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٣ .

يريد : الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يريد : العصر[١] . ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾[٢] ساعاته واحدها إِنْيٌ مثل : نِحْيٍ وأَنْحَاء ، وإِنْىً مثل : مِعىً وأَمْعَاء[٣] ، قال الأعشى[٤] :

بِكُلِّ إِنْيٍ قَضَاهُ اللَّيلُ يَنْتَعِلُ

وأنشد ابن الأعرابي في الإنى[٥] :

أَتَمَّتْ حَمْلَهَا فِي نِصْفِ شَهرٍ وَحَمْلُ الحَامِلاتِ إِنىً طَوِيلُ

قال ابن عباس : «يريد أول الليل المغرب والعشاء»[٦] . ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ يريد : الظهر . هذا الذي ذكرنا في تفسير هذه الآية من أوقات الصلاة المكتوبة ، قول ابن عباس في رواية عطاء ، ومذهب مجاهد ، وقتادة[٧] . وعلى هذا سمي وقت صلاة الظهر أطراف النهار ؛ لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف

(١) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٢٠ ، وجامع البيان ١٦/ ١٦٨ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٦/ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٨ .

(٢) في نسخة (ص) :(أناء الليل ساعاته) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (أنى) ١/ ٢٢٥ ، والقاموس المحيط (أنى) ٤/ ٣٠١ ، والصحاح (أنا) ٦/ ٢٢٧٣ ، ولسان العرب (أنى) ١/ ١٦٧ .

(٤) هذا عجز بيت ينسب إلى أبي أثيلة المتنخل الهذلي ، ولم أقف عليه منسوباً إلى الأعشى ، وصدر البيت :
حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعَطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ
انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٠٢ ، وشرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٨٣ ، والشعر والشعراء ٢/ ٦٦٦ ، والمنصف ٢/ ١٠٧ ، وحروف المدود والقصور ٦٤ ، وتهذيب اللغة (أنى) ١/ ٢٢٥ ، ولسان العرب (أنى) ١/ ١٦١ ، والصحاح (أنا) ٦/ ٢٢٧٣ .

(٥) لم أقف على قائله ، وذكرته كتب اللغة بلا نسبة . انظر : تهذيب اللغة (أنى) ١/ ٢٢٥ ، ولسان العرب (أنى) ١/ ١٦١ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ٣٠٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٣٠ .

(٧) تفسير القرآن للصنعاني ٢/ ٢٠ ، وجامع البيان ١٦/ ٢٣٣ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٥٩ .

الأول وطـرف النصف الثـاني ، فجعل الطرفان أطرافاً على مذهبهم في تسـمية الاثنين باسـم الجمع كقوله : ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ وقد مرَّ . وهذا قول الفرَّاء في هذه الآية[١] . وقال أبو العباس : «جمع الطرفين ؛ لأنه يلزم في كل نهار يعود»[٢] . ومـن المفسرين مَن حمل أطـراف النهار على : الغدوة والعشـية[٣] . وعلى هذا ، اسـتفاد من الآية بقولـه : ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ . وقال ابن الأعرابي : «أطراف النهار : ساعاته»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : الثواب والمعاد واجباً من الله لك»[٥] وفيه قراءتان :

ضم التاء وفتحهـا[٦] . فمَن فتح التاء وهو الذي فسَّره ابن عباس فحجته قوله : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى :٥] . ومَن ضم التاء فحجته قوله : ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم :٥٥] ويكون المعنى لعلك ترضى بفعل ما أمرك به من الأفعال التي يرضاها الله ، أو ترضى بما تعطاه من الدرجة الرفيعة[٧] . واختار أبو عبيد هذه القراءة لاحتمالها معنيـين ؛ أحدهما : ترضى : تعطى الرضى ، والآخر :

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٥ .

(٢) تهذيب اللغة (طرف) ٣/ ٢١٨١ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٣٣ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٥٩ .

(٤) تهذيب اللغة (طرف) ٣/ ٢١٨١ .

(٥) لم أقف عليه ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى :٥] . والحق أن الله - تعـالى - لا يجب عليه شيء لخلقه ، ومـا يعطيهم فهو فضل منه وكرم . قال الألوسي في روح المعاني ١٦/ ٢٨٣ : «رجاء أن تنال عنده ما ترضى به نفسك من الثواب ، واستدل به على عدم الوجوب على الله تعالى» .

(٦) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، وعاصم في رواية حفص ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بفتح التاء ، وقرأ الكسـائي ، وعاصم في رواية أبي بكر (لعلك تُرضى) بضم التاء . انظر : السـبعة ٤٢٥ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٥٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٥١ ، والتبصرة ٢٦١ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٢٣٤ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٩ .

يرضاك الله ، قال : «وتصديقها قوله : ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم :٥٥] قال : وليس في الآخرة إلَّا وجه واحد»[١] ، هذا كلامه .

١٣١ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية . قال أبو رافع[٢] : «نزل رسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال : «قل له : إن رسول الله ﷺ يقول : بعني وأسلفني إلى رجب» . وأتيته فقلت له ذلك ، فقال : والله لا أبيعه ولا أسلفه إلَّا برهن[٣] . فأتيت رسول الله ﷺ وأخبرته ، فقال : «والله لو باعني أو أسلفني لقضيته ، وإني لأمين في السماء أمين في الأرض ، اذهب بدرعي الحديد إليه» ، قال : فنزلت هذه الآية»[٤] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٥٣ ، وحجة القراءات ٤٦٤ .

(٢) أبو رافع ، مولى رسول الله ﷺ ، اشتُهِر بكنيته ، واسمه على المشهور أسلم ، دخل في الإسلام قبل بدر ولم يشهدها ، وشهد أُحداً وما بعدها ، وروى عن النبي ﷺ وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، توفي رضي الله عنه في آخر خلافة عثمان بن عفان ، وقيل في أول خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين . انظر : الاستيعاب ١/ ٦١ ، والإصابة ١/ ٥٤ ، والكاشف ٣/ ٢٩٤ .

(٣) الرهن : ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه . يقال : رهنت فلاناً داراً رهناً ، وارتهنته إذا أخذه رهناً .
انظر : تهذيب اللغة (رهن) ٢/ ١٤٩١ ، والقاموس المحيط (رهن) ٤/ ٢٣٠ ، والصحاح (رهن) ٥/ ٢١٢٨ ، ولسان العرب (رهن) ٣/ ١٧٥٧ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٢٣٥ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٦ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٣٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥٦٠ ، وأسباب النزول للواحدي ٣١٣ ، ولباب النقول في أسباب النزول ١٤٧ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١٧ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٦ في كتاب البيوع ، باب البيع إلى أجل ، وقال : «رواه الطبراني في الكبير ، والبزار ، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف» ، وذكره ابن حجر في الكافي الشاف ١٠٩ ، وقال : «وفيه موسى بن عبيدة وهو متروك» . وقال ابن عطية ـرحمه اللهـ في تفسيره ١٠/ ١١٦ بعد ذكر هذا القول : «وهذا معترض أن يكون سبباً ؛ لأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي ﷺ ؛ لأنه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة التي ذكرت ، وإنما الظاهر أن الآية متناسقة مع ما قبلها وذلك أن الله - تعالى - وبَّخهم على ترك الاعتبار بالأمم السالفة ثم توعدهم بالعذاب المؤجل ، ثم أمر نبيه بالاحتقار لشأنهم والصبر على أقوالهم والإعراض عن أموالهم وما في أيديهم من الدنيا ؛ إذ ذاك منحصر عندهم صائر بهم إلى خزي» .

وقولــه تعالى : ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ قال أُبي بن كعب : «أشــباهاً من الكفار»[١] . يعني أشــكالاً من المزاوجة بين الأشــياء وهي المشــاكلة ، وذلك أنهم أشكال في الذهــاب عن الصواب . وقــد فسَّرنا هذه الآية في آخر ســورة الحجر[٢] . وقال أُبي بــن كعب في هــذه الآية : «فمَن لم يتعز بعزة الله تقطعت نفســه حسرات على الدنيا ، ومَن يتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه ، ولا يشــفى غيظه ، ومَن لم يرَ الله عليه نعمة إلَّا في مطعمه ومشربه نقص علمه وحضر عذابه»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ . قال ابن عباس والسُّدِّي : «زينة الدنيا»[٤] . وقال أهل اللغــة : «زهرة الدنيا بهجتها ونضارتها وحســنها ، وأصلها من زهرة الشجرة ، وهي الأنوار التي تروق عند الرؤية»[٥] . قال أبو إسحاق : «و﴿زَهْرَةَ﴾ منصوب بمعنى متعنا ؛ لأن معناه جعلنا لهم ما متعناهم به زهرة الحياة الدنيا»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ . قال السُّدِّي : «لنبتليهم»[٧] . والمعنى : لنعاملهم معاملة المبتلى المختبر شكرهم بما أنعمنا عليهم .

---

(١) ذكرت نحوه كتب التفســير مــن دون نســبة . انظر : جامع البيــان ١٦/ ٢٣٥ ، والمحــرر الوجيز ١٠/ ١١٦ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٣٦ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٨٣ .

(٢) عنــد قولــه تعــالى : ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر :٨٨] .

(٣) معالم التنزيل ٣/ ٢٣٧ .

(٤) تفســير القرآن العظيم ٣/ ١٨٩ ، وذكره الطبري في تفســيره ١٦/ ٢٣٥ ، ونســبه إلى قتادة ، وكذلك الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٣٣ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥٦٠ .

(٥) انظــر : تهذيب اللغة (زهر) ٢/ ١٥٦٩ ، ومقاييس اللغة (زهر) ٣/ ٣١ ، والقاموس المحيط (الزهرة) ٢/ ٤٣ ، والصحاح (زهر) ٢/ ٦٧٤ ، ولسان العرب (زهر) ٣/ ١٨٧٧ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٨٠ .

(٧) ذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٥٩ من دون نسبة ، وكذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٢ .

وقال أبو إسحاق : «لنجعل ذلك فتنة لهم»[١] .

قال ابن عباس : «ضلالة مني لهم»[٢] . وعلى هذا ، معنى ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنضلهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً . وهذا تفسير أشبه بحال الكفار وبمعاملة الله معهم .

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : في المعاد»[٣] . وقال السُّدِّي وغيره : «يعني الجنة»[٤] ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ؛ أكبر وأدوم .

١٣٢ . قوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾ ؛ روي : «أنه لّما نزلت هذه الآية كان رسول الله ﷺ يذهب إلى علي وفاطمة كل صباح فيقول : «الصلاة» فكان يفعل ذلك أشهراً متواليةً»[٥] .

ومعنى الأهل هاهنا : قومه ومَن كان على دينه[٦] . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ﴾ الآية .

﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ ؛ للاستعانة على الصبر عن محارم الله عز وجل ؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر[٧] . ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ . قال ابن مسلم : «لا نسألك رزقاً

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٨١ .

(٢) التفسير الكبير ٢٢/ ١٣٦ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ١١٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٤ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٥ ، والكشاف ٢/ ٥٦٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٨٧ .

(٤) الدر المنثور ٤/ ٥٦٠ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٥٩ من دون نسبة .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٣ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٣٧ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٨٤ ، وفتح القدير ٣/ ٥٦٤ .

(٦) تفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٦١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٥٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٤٣٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٤ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٥ .

(٧) يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿اتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت :٤٥] .

لخلقنا ، ولا رزقاً لنفسنا»[١] . ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ قال عبدالله بن سلام : «كان النبي ﷺ إذا أنزل بأهله ضيق ، أو قال شدة ، أمرهم بالصلاة ثم تلا هذه الآية»[٢] .

وقوله : ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ . قال ابن عباس والسُّدِّي : «يريد : بالعاقبة الجنة»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ . قال الأخفش : «أي لأهل التقوى»[٤] . قال ابن عباس : «يريد : الذين صدقوك واتبعوك واتقوني»[٥] .

١٣٣ . قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا۟﴾ ؛ يعني المشركين : ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ ؛ هلاَّ يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى بها الأنبياء نحو الناقة والعصا[٦] . قال أبو إسحاق : «وقد أتتهم الآيات ، ولكنهم طلبوا أن يأتيهم ما يقترحون»[٧] .

قال الله : ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ ؛ يعني : أو لم تأتهم بالقرآن ببيان ما في التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة ، وذلك أعظم آية إذ أخبر أُمِّي بما

---

(١) ذكرته كتب التفسير من غير نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣٥٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٤ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٣ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٣٠٤ ، والدر المنثور ٥/ ٥٦١ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٣٧ ، وروح المعاني ١٦/ ٢٨٥ ، وفتح القدير ٣/ ٥٦٤ .

(٣) الدر المنثور ٤/ ٥٦١ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٣٧ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣١ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ٣٠٤ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٢٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٤ ، وفتح القدير ٣/ ٥٦٤ ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود : ٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء : ٣٢] .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٨١ .

فيهـــا من غير قراءة كتاب عـــلى ما تصدقه أهل الكتب . هـــذا معنى قول الكلبي وغيره[١] .

وفيـــه قول آخر وهو : «أن المعنى أو لم تأتهم ببيان ما في الكتب من أنباء الأمم التي أهلكناهم لمّا ســألوا الآيات ثم كفروا بها ، فـــماذا يؤمنهم أن يكون حالهم في ســؤال الآية كحال أولئك ؟ وإنما أتاهم هذا البيـــان في القرآن»[٢] . وقال بعض أهل التفســـير : «﴿بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ ؛ ما تقدم من البشارة بمحمد ﷺ في الكتب المتقدمة وبيان نعته وصفته»[٣] .

١٣٤. قوله تعـــالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم﴾ ؛ يعنـــي مشركي مكة . ﴿بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ ؛ من قبل بعث محمد ونزول القرآن ﴿لَقَالُوا﴾ يوم القيامة : ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ ؛ هلَّا أرسلت إلينا رسولاً يدعونا إلى طاعتك ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ ؛ نعمل بما فيها ؛ يعني بما نزل على ذلك الرسول ويأتينا به ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ في جهنم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء :١٥] .

---

(١) الكشف والبيان ٣/ ٢٧ أ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٩٠ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٣٧ .

(٢) جامـــع البيان ١٦/ ٢٣٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٤ ، وزاد المســـير ٥/ ٣٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٤ .

(٣) بحر العلوم ٢/ ٣٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٤ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٣٧ ، ويشهد لهذا قوله تعالى :
﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف :٦] .

١٣٥. قوله تعالى : ﴿قُلْ﴾ ؛ أي قل لهم يا محمد : ﴿كُلٌّ﴾ منَّا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ ؛ نحن نتربص بكم وعداً لنا فيكم ، وأنتم تتربصون بنا الدوائر فتستريحون منَّا[1] . ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ ؛ أي فانتظروا .

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاء أمر الله وقامت القيامة ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الدين المستقيم»[2] .

﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ ؛ أي من الضلالة أنحن أم أنتم ؟

* * *

(١) يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور : ٣٠ ، ٣١] .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٤٣٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣٠٥ ، وزاد المسير ٥/ ٣٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٦٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٩٠ .